

أخلاق الرسول وحانيته

في تمهيد يبا للنفس والسلوك
إلى الله

تأليف

الشيخ محمد الجاسر الطاهري
(حفظه الله)

نشر وتوزيع

جوة الإمام الرضا عليه السلام العلمية



هوية الكتاب :

- الكتاب: **الإخلاص والسياسة في تهذيب النفس والسلوك إلى الله**
- المؤلف: **ميرزا محمد باقر خراساني**
- الناشر: **جفنة الإمام الرضا عليه السلام العملية**
- التنضيد والإخراج: **دار المودة**
- القطع: **وزيري = 17 × 25 سم**
- الطبعة الثانية - بيروت - لبنان 1426 هـ / 2005 م .
- عدد الصفحات: **(400 صفحة)** .
- المطبوع: **2000 نسخة** .

كل الحقوق
محفوظة

جفنة الإمام الرضا عليه السلام العملية

www.bagyat.com

أَخْلَاقُ الرُّوحَانِيَّةِ

فِي تَهْدِيَةِ النَّفْسِ وَالسَّلْوَكِ
إِلَى اللَّهِ

تَأَلَّفَ

الشيخ جواد الخاسمي الطاهري

(حفظه الله)

حَفِظَهُ الإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَلِيَّةُ



الإهداء

إلى ساحة القداسة العظمى وأمل المستضعفين ومنقذ البشرية ومحقق العدالة الإلهية ومظهر التوحيد الإلهي أهدي .. هذا الجهد المتواضع ولسان حالي يقول (يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بَبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)

وإلى والدي العزيز الذي رباني فأحسن تربيتي وعلمني فأحسن تعليمي وإلى والدتي خادمة الزهراء عليها السلام راجياً من الله أن يحفظهما ويطيل في عمريهما بصحة وعافية

وإلى زوجتي العزيزة أم محمد تقي ..

وإلى روح من لا وارث له ...

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين .
عندما تنفخ الروح في الجنين وهو في عالم الظلمات تبقى متلازمة مع الجسد إلى الأجل المحتوم، وعندما ينزل الحِمَامُ بابن آدم تبدأ الروح بالنزاع لنزول الأمر بذلك من الحي القيوم .
وما بين النفخ والنزع تكون فترة الحياة في البدن التي يقضيها في دار الممر - الحياة الدنيا - والتي يقع بها الابتلاء والمكابدة والامتحان.

وعلى هذه المرحلة تترتب النتائج الأخروية، والإنسان في هذه الدار إما أن يعيش بروحه أو ببدنه أو بكليهما، وأرقى مراتب الإنسان العيش بالمعنى الروحي فهنا تتكامل قدسيته ويصل إلى أعلى درجاته الإنسانية الرحمانية، وتكون نتائجها بإذن الله تعالى الجنة والرضوان.

وأما المعيشة البدنية فإنها أدنى مراحل العيش وهي الحالة البهيمية الشيطانية المتسافلة عن المراتب العليا التي أريدت للإنسان، وتكون نتائجها الشر والهوان في النيران. وأما المعيشة المشتركة فهي الحالة الوسطية التي يكون أمرها إلى رحمة الله تعالى وشفاعة أوليائه.

وفي المراتب الثلاث تكون الأخلاق الروحانية هي المعيار الضابط للقيمة الإنسانية التي تعود عليه نتائجها في عاقبة الأمور وخاتمة الحياة .

من هنا بدأت كتابة هذا المؤلف في محاولة مني للرفي
بالإنسان إلى أعلى مراتبه مساهمة في عمل الخير وعوناً
للاخوان للتخلص من الشيطان.

وقد كانت سيرة علمائنا الأبرار منهجاً واضحاً في تجسيد
الأخلاق الروحانية وقد استفدنا من حياتهم وقصصهم وروايات
أهل البيت عليهم السلام ومواقف الأنبياء عليهم السلام في
تدعيم منهج الكتاب .

أتم الله به علينا النفع بالعمل الصالح والسلوك الحسن من
خلال تطبيق ما فيه من خير على واقعنا المعاصر الحاضر
ومستقبلنا الزاهر .

ابن

حرم السيدة زينب عليها السلام

الطاهر

جواد الجاسم الطاهري

١٤١٩/٣/١٤ هـ



الفصل الأول

النهج الواضح والقوة التغيرية

- ❖ صلاة الليل .
- ❖ الاقتصاد هدف روحاني في الحياة
- ❖ النهج الإلهي في الحياة .
- ❖ كلمة الإخلاص وحقيقتها .
- ❖ الحجب المعنوية .
- ❖ حقيقة الإنسان .
- ❖ القوة التغيرية في الإنسان .

صلاة الليل

قال الله ﷻ ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (١).

حاجات الجسم والروح :

يحتاج الإنسان في هذه الدنيا إلى الغذاء لكي تستمر حياته، وهو في ذلك يبحث عن أجود وأفضل الأطعمة التي تزود جسمه بالقوة اللازمة حتى يكون قادراً على العمل والعطاء.

وإذا ما كان الإنسان مريضاً فإنه لا ينفك يفكر في اتخاذ أفضل الطرق التي تساعد على تخطي مرحلة المرض، فيبدأ باتباع أفضل نظام غذائي لكي يلائم ما يأكله من غذاء مع حالته الصحية حتى يتمكن من تجاوزها بأسرع وقت ممكن.

كما أن لكل مرحلة من مراحل عمر الإنسان ما يناسبها من الغذاء، فهو في الحولين الأولين من حياته لا يتغذى إلا باللبن،

(١) سورة المزمل، الآية: ٢ - ٤

وإذا ما كبر قليلاً لم يوافقهُ اللبن فاحتاج إلى الطعام الغليظ الذي يتوافق مع إمكانية الهضم لديه، ويغطي حاجات جسمه من الطاقة الحرارية.

وكما الطفل الصغير الذي يحتاج إلى غذاء معين كذلك الإنسان الكبير، فكلما تقدم به العمر احتاج إلى من يرشده إلى أفضل طريقة غذائية تبقيه قادراً على أداء أعماله بقوة ونشاط. وإذا ما شعر الإنسان بضعف ما في قواه الجسدية فإنه لا يتردد لحظة واحدة في الحضور إلى دكتور أخصائي وسؤاله عما ينقص جسمه من (فيتامينات) أو (كاربوهيدرات) أو (نشويات)، وكيفية تعويض ذلك، وعن أي نوع من الأطعمة من خضراوات وفواكه تؤمن له حالة النقص الموجودة لديه. ثم نراه يخسر الكثير من المال لتأمين أنواع خاصة من الأدوية، وهو طوال تلك الفترة يعيش حالة من التفكير المتواصل في كيفية الخروج من تلك الحالة.

ولكن.. ماذا عن أرواحنا؟ هل فكرنا أو بحثنا عن نظام معين يلبي حاجة النقص الموجودة فيها، أم أننا لا نرى حالة الحاجة أو النقص إلا في الأشياء الزائلة؟ وهل ما يحتاجه أطفالنا إلى الغذاء فقط؟ ، فنهمل روحه تنمو كيفما اتفق لها، ومن أي مصدر تأخذ غذاءها.

وهل يكفي الإنسان الكبير ما حصل عليه من غذاء روحي طوال حياته دون أن يرمم ما يفقده خلال مسيرته في الحياة أو يتهدم من بناء الروح ؟ وهل أننا فقدنا القدرة في العثور عما يناسب أرواحنا من غذاء فصرنا نأخذ ذات اليمين وذات الشمال دون أي تفكير ؟

تلك أسئلة كثيرة ولكل إنسان طريقته الخاصة في الإجابة عليها، إلا أن ما يهمنا هنا هو كيف يمكن لنا أن نغذي أرواحنا ؟ إن صلاة الليل هي إحدى القنوات التي تمدّ روح الإنسان بما تحتاجه من غذاء، ويبقيها نشطة ينبعث الإيمان من جوانبها. وقد وردت العديد من الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد على أهمية صلاة الليل.

وكان بعض العلماء يقول لطلابه : من كمال إيمان المرء أن لا يترك صلاة الليل وطالب علم يترك صلاة الليل لا يستحق أن يسمى طالب علم .

وحرصا من أساطين الشريعة على هذه السنة التي كانت واجبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وواجبة على آله عليهم السلام كتبوا الكتب وألفوا المصنفات المستقلة .

صلاة الليل :

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطرده الداء عن أجسادكم»^(١) .

وقال عليه السلام: «شرف المؤمن صلاة الليل، وعزّ المؤمن كفه عن الناس»^(٢) .

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(٣) .

كما أن صلاة الليل تدفع الكثير من الأمراض عن الجسم، وتسد الكثير من حاجاته، وتغلق الطريق بوجه الفقر، وهي فوق كل هذا مرضاة للرب وحب للملائكة وسنة للأنبياء كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: «صلاة الليل مرضاة الرب وحب للملائكة، وسنة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وراحة الأبدان، وكراهية الشيطان، وسلاح على الأعداء، وإجابة للدعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرزق، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج في قبره وفراش تحت جنبه، وجواب مع منكر ونكير، ومؤنس وزائر في قبره إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلاً فوقه، وتاجاً على

(١) ثواب الأعمال ، ص ٤١ .

(٢) ثواب الأعمال ، ص ٤١ .

(٣) بحار الأنوار ٨٤/١٥٩/٤٧ .

رأسه، ولباساً على بدنه، ونوراً يسعى بين يديه، وستراً بينه وبين النار، وحجة للمؤمن بين يدي الله تعالى، وثقلاً في الميزان، وجوازاً على الصراط، ومفتاحاً للجنة، لأن الصلاة تكبير وتحميد وتسبيح وتمجيد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وإن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها»^(١).

إن صلاة الليل شرف المؤمن، وبها تطيب الريح، والقائمين بها من أحسن الناس وجهها، وفيها يكون العبد أقرب إلى الله، والله منه قريب يكسيهم بنوره أحلى الحلل، ويباهي الله به ملائكته.

عن علي بن عبد العزيز قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: ألا أخبرك بأصل الإسلام وفرعه وذروته وسنامه .

قال : قلت بلى جعلت فداك .

قال: أصله الصلاة، وفرعه الزكاة، وذروته وسنامه الجهاد

في سبيل الله، ألا أخبرك بأبواب الخير ؟

قلت : نعم جعلت فداك .

قال : الصوم جنة من النار، والصدقة تحط الخطيئة، وقيام

الرجل في جوف الليل يناجي ربه، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ

الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢)،^(٣).

(١) بحار الأنوار ٥٢/١٦١/٨٤.

(٢) المحاسن ١/٤٥٠ ح ١٠٣٨.

(٣) سورة السجدة آية ١٦

وسئَلَ الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «ما بال
المتجهدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟

قال: لأنهم خلوا بربهم فكساهم الله من نوره»^(١).

وعن أبي يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له
أخبرني جعلت فداك أي ساعة يكون العبد أقرب إلى الله، والله منه
قريب؟

قال: إذا قام في آخر الليل والعيون هادئة فيمشي إلى وضوءه
حتى يتوضأ فأسبغ وضوءه، ثم يجيء حتى يقوم في مسجده فيوجه
وجهه إلى الله، ويصف قدميه، ويرفع صوته ويكبر، وافتتح الصلاة
وقرأ جزءاً وصلى ركعتين، وقام ليعيد صلاته، ناداه منادٍ من عنان
السماء عن يمين العرش: أيها العبد المنادي ربه، إن البر لينشر
على رأسك من عنان السماء والملائكة محيطة بك من لدن قدميك
إلى عنان السماء والله ينادي: عبدي لو تعلم من تناجي، إذا ما
انفتلت.

قال: قلت: جعلت فداك يا ابن رسول الله ما الانفتال؟

قال: تقول بوجهك وجسدك هكذا ثم ولى وجهه فذاك

الانفتال»^(٢).

(١) بحار الأنوار ٤٨/١٥٩/٨٤.

(٢) مستدرک الوسائل ٦/٣٣٣-٣٣٤-٦٩٣٩.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً : إن كان الله عز وجل قد قال :
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) فإن الثماني ركعات التي
يصليها العبد آخر الليل زينة الآخرة»^(٢) .

النظام الروحاني :

قد يقول قائل : كيف لنا أن نصلي صلاة الليل، وهي أحد
عشر ركعة، وإنها تحتاج إلى وقت طويل.
الحقيقة أن صلاة الليل هي ثلاث ركعات، ركعتين لوحدهما
وتسمى الشفع، وركعة واحدة لوحدها تسمى الوتر تصلى بقيام
واحد يقرأ فيها ثلاث مرات قل هو الله أحد ، ومرة قل أعوذ برب
الفلق ، وقل أعوذ برب الناس، ثم يقنت ويركع ويقوم من الركوع
ويقنت بعد الركوع ويسجد ويجلس ويسلم.
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان
يقرأ في الركعتين من الشفع في الأولى سبح اسم ربك الأعلى،
وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الوتر التي يقنت فيها بقل
هو الله أحد ثلاث مرات وذلك بعد فاتحة الكتاب^(٣) .

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦ .

(٢) ثواب الأعمال ص ٤١ .

(٣) بحار الأنوار ٨٤/٢٢٣ .

إن الإنسان إذا ما أقدم على أي عمل فإنه يطلب الشيء السهل كيما يتعود عليه، وكما تبدأ الأم بنظام غذائي خفيف مع ابنها الذي فطمته لتوها، كذلك الإنسان الذي يريد أن يبدأ ويصلي صلاة الليل لأول مرة.

عن يعقوب بن الضحاك عن رجل من أصحابنا سراح وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال:

« بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة وهو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه، قال: فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتمين، قال: وكان فراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحالٍ فرميت بنفسي، فبينما أنا كذلك إذ أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل.

قال: فقال: قد أتيناك أو قال جنناك، فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشي، فسألني عما بعثني له، فأخبرته فحمد الله ، ثم جرى ذكر قوم .

فقلت: جعلت فداك، إنا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول.

قال: فقال: يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرعون منهم؟!!

قال قلت: نعم .

قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟

قال: قلت: لا، جعلت فداك.

قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه اطرشنا ؟

قال: قلت: لا والله جعلت فداك ما نفعل ؟.

قال : فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم، إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان ومنهم من له ثلاثة أسهم ومنهم من له أربعة أسهم ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يُحْمَلَ صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة، وسأضرب لك مثلاً، إن رجلاً كان له جار وكان نصرانياً فدعاه إلى الإسلام وزينه له فأجابه، فأتاه سُحيراً فقرع عليه الباب.

فقال له: من هذا ؟

قال : أنا فلان .

قال : وما حاجتك ؟

قال : توفضاً والبس ثوبيك، ومر بنا إلى الصلاة؛ قال:

فتوفضاً ولبس ثوبيه وخرج معه، قال: فصليا ما شاء الله، ثم

صليا الفجر ثم مكثا حتى أصبحا، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله.

فقال له الرجل: أين تذهب؟ النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل. قال: فجلس معه إلى أن صلى الظهر ثم قال: وما بين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتى صلى العصر، قال: ثم قام وأراد أن ينصرف إلى منزله.

فقال له: إن هذا آخر النهار وأقل من أوله. فاحتبسه حتى صلى المغرب، ثم أراد أن ينصرف إلى منزله.

فقال له: إنما بقيت صلاةً واحدةً. قال فمكث حتى صلى العشاء الآخرة ثم تفرقا .

فلما كان سحيراً غداً عليه ف ضرب عليه الباب .

فقال: من هذا ؟

قال : أنا فلان .

قال : وما حاجتك ؟

قال : توضأ ، والبس ثوبيك، واخرج بنا نَصَلِّ .

قال : اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني وأنا إنسان

مسكين وعلي عيال .

قال أبو عبد الله عليه السلام: ادخله في شيء وأخرجه منه
أو قال: أدخله من مثل ذه، وأخرجه من مثل هذا»^(١) .

ترويض النفس على حب الخير:

هناك الكثير من الناس وخصوصاً الشباب منهم من تعود على السهر أمام شاشة التلفزيون لساعات طويلة قد تستمر حتى الصباح، مما يجعله يعيش خارج النظام الذي سنّه الله للإنسان حيث يقول: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا»^(٢) وقوله تعالى أيضاً: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا»^(٣) فبدل أن ينام الليل فإنه سيضطر نتيجة لسهره أن ينام في الصباح حتى الغروب مما يفقده رزقه الذي يسيّر به حياته المعيشية، في وقت يحثنا النظام الإلهي وسنّه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على الاستيقاظ مبكراً. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر إليها فإني سألت ربي أن يبارك لأمتي في بكورها»^(٤) .

(١) الكافي ٤٢/٢-٤٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية : ٤٧.

(٣) سورة النبا ، الآيتان: ١٠-١١.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٣/١٥٧/٣٥٧٤.

وحدثنا إسحاق بن جعفر بن محمد عن محمد بن هلال المذحجي قال: قال لي أبوك جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إذا كانت لك حاجة فاعُدْ فيها فإن الأرزاق تقسم قبل طلوع الشمس، وإن الله تعالى بارك لهذه الأمة في بكورها، وتصدَّق بشيء عند البكور فإن البلاء لا يتخطى الصدقة»^(١).

إلا أن السؤال الذي قد يطرحه بعض الشباب هو: كيف نتخلص من حالة السهر أمام شاشة التلفزيون حتى الصباح، وكيف أروض نفسي على تغيير حالة استمرت معي طويلاً.

يجيب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»^(٢) فإذا ما وجد الشاب في نفسه حب قراءة القرآن فليقرأ، وإذا ما شعر بالحب والرغبة في صلاة الليل فليبدأ فإنما هي فرصة، وكما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: " اغتتموا فرص الخير فإنها تمر مر السحاب " ^(٣). كما أن إكراه النفس على شيء لا ترغب فيه فإنه يؤدي إلى جموحها.

(١) أمالي المفيد ص ٥٤.

(٢) نهج البلاغة ٤١٧.

(٣) قصار الحكم رقم ٢١.

قضاء الليل مع الكتاب :

سأل فضيلة السيد كمال الحيدري أستاذه المفكر الإسلامي آية الله
الشهيد السيد محمد باقر الصدر **قدس سره** : - لو سألكم أحد

كيف صار محمد باقر الصدر ، محمد باقر الصدر ؟

فأجاب السيد : إن محمد باقر الصدر يساوي (١٠%) مطالعة
و (٩٠%) فكر .

وأضاف السيد الحيدري سائلاً : في اليوم واللييلة كم ساعة
تطالعون ؟

فأجاب السيد الصدر : لا تسألني هكذا ، ولكن اسألني بشكل آخر
، قل لي في اليوم واللييلة كم ساعة كنتم مع الكتاب ؟

قلت له : ما الفرق بين السؤالين ؟

قال : إذا سألتني كم ساعة تطالع ؟ أقول لك أطلع عشر ساعات
أو ثماني ساعات

ولكن إذا سألتني كم ساعة كنت مع الكتاب ؟ أقول لك : مادمت
مستيقظاً وغير نائم فأنا مع الكتاب .

كيف ؟

عندما أسير في الشارع أتأمل مسألة أريد حلها ، وعندما أقف
على القصاب ففي ذهني مسألة أحاول حلها ، وعندما أجلس على
الطعام للأكل ففي ذهني مسألة أريد حلها ، وعندما أستلقي على

الفراش للنوم ففي ذهني مسألة أريد حلها ، إذا كنت دائماً مع الكتاب ، فالكتاب كان يعيش معي وأعيش مع الكتاب (١).

إلا أنه لا ينبغي أن يقف في وجه الشاب الطموح الذي يسعى لبناء المستقبل المشرق له ولوطنه ومجتمعه عادة السهر أمام شاشة التلفزيون، كما لا تقف في طريق الشاب الذي يسعى لبناء مستقبله بجهد واجتهاد أن يفقد بعضاً من ساعات نومه في الليل. يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

أَعَاذَتِي عَلَى إِتْعَابِ نَفْسِي

وَرَعِي فِي السُّرَى رَوْضَ السُّهَادِ

إِذَا سَامَ الْفَتَى بَرْقَ الْمَعَالِي

فَأَهْوَنُ فَائِتِ طَيْبِ الرُّقَادِ (١)

(1) قصص وخواطر - ص ٧٥

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ١٨٠.

الشيخ الأوحـد قـدس سره والتزامه بصلاة الليل والنوافل :

قال الشيخ عبدالله الأحسائي قدس سره في وصف والده الشيخ الأوحـد قـدس سره : (كان قدس سره في عبادته وتهجده حريصاً جداً ، بحيث إنه منذ أيام التمرين والطفولة حتى آخر لحظة من عمره الشريف ، لم تفتنه نافلة واحدة من النوافل ، بل إنه لم يصلها من جلوس .

وكم مرّة من المرات ، كان قد تعرض لأمراض صعبةٍ سلبت منه قراره وراحته وقوته ، ولكنه كان في وقت الصلاة ينهض بلا اختيار ، حتى لكأنّ أحداً ينهضه إليها ، وبعد إتمام الصلاة وأدائها كان يقع كالमित ، لا حراك فيه .

وكان طوال عمره الشريف مهتماً بصلاته أيما اهتمام ، بحيث لم تفتنه فضيلة صلاة واحدة. (١)

وذكر الميرزا التتكابني في كتابه (قصص العلماء) قصة طريفة ، تبين لنا التزام الشيخ الأحسائي قدس سره في النوافل اليومية ، فقال : (عندما نزل الشيخ في أصفهان على الحاج الكلباسي كان يجلس قبل الظهر على زقاق مسجد حكيم ، ويضع آلة الساعة

(1) سيرة الشيخ الأحسائي II بقلم نجله الشيخ عبدالله ص: ١٢٥ .

والقطب (البوصلة) ونحو ذلك ، حتى إذا صار الظهر ينوي النافلة ويصلي ، وهو متجه إلى المسجد ، فيصل إلى المحراب وقد صلى في الطريق عدة ركعات نوافل ، وعندما يصل إلى المحراب يصلي مكان الحاج الكلباسي ، ويقتدي به الحاج أيضاً . وكان اهتمامه بالنافلة وأول الوقت شديداً ، فقد مرض الشيخ فلم يستطع الصلاة من قيام ، فنصب حبلاً متديلاً من السقف ، فيصلي النوافل والفرائض من قيام ، وعند القيام يتمسك بالحبل^(١)،^(٢)

رقيق القلب سريع العبرة :

قال فضيلة الشيخ محسن قراءتي في حديث عبر تليفزيون الجمهورية الإسلامية ليلة (١٧ / رمضان / ١٤١٤ هـ) نقلاً عن سماحة السيد أحمد الخميني : بأن الإمام الراحل قدس سره كان يجلس قبل أذان الصبح بساعتين لصلاة الليل والدعاء ، ومما كان عليه الإمام في تهجده آناء الليل بكاؤه الكثير حتى كانت مناشفه تبتلّ فيستبدلها بمناشف أخرى .
وأما بكاؤه في مصائب أهل البيت (عليهم السلام) فقد كان الخطيب الحسيني البارع السيد الكوثري يأتيه حجرته فيقرأ أشعاراً في المصائب فيجهدش الإمام بالبكاء عالياً .

(1)،(2) قصص العلماء ص: ٤١ ، صلاة الليل ثوابها ، أحكامها ، وكيفيتها ص: ٢٧-٢٨

هكذا كان (قدس سره) رقيق القلب سريع العبرة في عباداته الخاصة وولائه الشديد للمظلومين من آل محمد (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)^(١) .

وأما المولى المقدس الميرزا موسى الحائري الأحقائي قدس سره فقد كان يحيي ليله بالعبادة وكان إذا أوى إلى فراشه جعل بجانب فراشه ركوة ماء حتى إذا أفاق في منتصف الليل لا يرجع إلى النوم إلا بعد أن يتوضأ ويصلي ما شاء من الركعات وهو بذلك يشابه أنصار الإمام الحجة (عجل الله فرجه) الذين ينتظرون ظهور الإمام الحجة ليلة ظهوره فلا يستيقظون إلا ويتوضئون ويصلون صلاة الليل .

وأما العبد الصالح والإمام المصلح المولى الميرزا حسن الحائري الأحقائي قدس سره رغم طول عمره الشريف فقد اتخذ له آخر عمره كرسيًا يجعله بهيئة القائم حتى لا يفوته قيام الليل.

(1) قصص وخواطر - ص ٩٣

الاقتصاد هدف روحاني في الحياة

Her&

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾^(١).

الأمَل الزائف :

يعيش بعض الناس في متاهات خيالية، ويتوقع حصول أمور أشبه ما تكون بتوقعات ذلك الإنسان الذي كان جالساً يوماً من الأيام أمام جرة من عسل، ثم راح يحدث نفسه بصوت عالٍ ويقول :

سوف أبيع هذه الجرة وأشتري بها جرتين، ثم أبيع الجرتين بعد فترة وأشتري أربع ، وأبيع الجرار الأربع وأشتري ثماني جرار، وأبيع الثماني ليكون عندي ثمن بقرة. وإذا ما اشتريت البقرة، سأبيع حليبها كل يوم، وسوف أجمع المال لكي أشتري قطيعاً من الأبقار، ثم أتزوج ابنة الوالي، وإذا ما عصتني في أمر سأضربها في بطنها، هكذا، وما أن دفع رجله حتى سقطت الجرة على الأرض فانكسرت وضاع ما فيها من عسل على الأرض.

(١) سورة النحل ، الآية : ٩ .

إن أمنية هذا الرجل هي الأساس الذي يقوم عليه اقتصاد هذا الرجل، واقتصاد أمثاله قائمة على الأمانى أما مقومات الاقتصاد الحقيقي هي تلك التي تحدث عنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر لما بعثه بعهد الولاية على مصر : «ونفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه صلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح من سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً»^(١) .

وفي عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلام يشابه كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا العهد وهو قوله: «واعلم أن قوام أمرك بضرورة الخراج ودرور الخراج بعمارة البلاد ويلوغ الغاية في ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم والمعونة لهم، فإن بعض الأمور لبعض سبب، وعوام الناس لخواصهم عدة وبكل صنف منهم إلى الآخر حاجة فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك وليكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية واسترسل إلى كل امرئ منهم شخصاً يضطلع به ويمكنه من تعجيل الفراغ منه فإن اطلعت على أن أحداً منهم خان أو تعدى فنكّل به وبالغ في عقوبته وأحذر أن تستعمل على الأرض الكثير خراجها إلا البعيد الصوت العظيم شرف

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٦.

المنزلة. ولا تولين أحداً من قواد جنك الذين هم عُدّة للحرب وجُنّة من الأعداء شيئاً من أمر الخراج فلعلك تهجم من بعضهم على خيانة في المال أو تضييع للعمل فإن سوّغته المال وأغضيت له على التضييع كان ذلك هلاكاً وإضراراً بك وبرعتك وداعيةً إلى فساد غيره، وإن أنت كافأته فقد استفسدته وأضقت صدره وهذا أمر توقّيه حزم والإقدام عليه خُرق والتقصير فيه عجز...» (١) .

من هنا لا بد من الانطلاق من الواقع العملي للإنسان وليس من خلال الأماني عندما نريد أن نتحدث عن الاقتصاد، يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ (٢) فما معنى قصد السبيل ؟ إن حقيقة القصد هو الاقتصاد على ما يقوم حياة الإنسان وعدم التبذير في حياته.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بالقصد في المطاعم فإنه أبعد من السرف وأصح للبدن وأعون على العبادة» (٣) .
ويقول عليه السلام: «من صحب الاقتصاد دامت صحبته الغنى له وجبر الاقتصاد فقره وخلله» (٤) .

ويقول الإمام الرضا عليه السلام: «وليكن نفقتك على نفسك وعيالك قصداً فإن الله سبحانك يقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ

(١) شرح نهج البلاغة ١٧/٧٤.

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩ .

(٣) غرر الحكم ٣٥٣/٦٨٠٦٨.

(٤) غرر الحكم ٣٥٤/٨٠٧١.

الْعَفْوُ»^(١) والعفو الوسط. قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا»^(٢) .

إننا نرى الكثير من الناس من يبذّر في حياته بداعي السخاء مثلاً، إلا أن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ليس السخي المبذّر الذي ينفق ماله في غير حقه ولكنه الذي يؤدي إلى الله عز وجل ما فرض عليه في ماله من الزكاة وغيرها، والبخيل الذي لا يؤدي حق الله عز وجل في ماله»^(٣) .

كما نرى البعض من يبذر أمواله هنا وهناك لأجل التبذير أو لعدم قدرته على التصرف بأمواله و «من لم يُحسن الاقتصادَ أهلكه الإسراف»^(٤)، وقد يبذر البعض أمواله إرضاءً لشهواته النفسية.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «عليك بالقصد فإنه أعونُ شيءٍ على حُسنِ العيش، ولن يهلكَ امرؤٌ حتى يُؤثرَ شهوته على دينه»^(٥).

وهل تراه مؤمناً من يؤثر شهوته على دينه ؟

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٧ .

(٣) مستدرك الوسائل ٧/١٥-١٦/٧٥١٨ .

(٤) مستدرك الوسائل ١٣/٥٤ (باب ١٩) .

(٥) غرر الحكم ٣٥٣/ح ٨٠٦٧ .

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «المؤمنُ سيرتهُ القصدُ وسنته الرشدُ» (١) .

قال الصادق عليه السلام: «أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هوان به عليه؟ لا، ولكن المال مال الله، يضعه عند الرجل ودائع، وجوّز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ويلمّوا به شعثهم. فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً، وما عدا ذلك كان عليه حراماً ثم قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢) .

أترى الله ائتمن رجلاً على مال خوّل له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم، ويجزيه فرس بعشرين درهماً، ويشتري جارية بألف دينار ويجزيه جارية بعشرين ديناراً وقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣)، (٤) .

(١) غرر الحكم ٣٥٣/ح ٨٠٥٢ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٤١ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٤١ .

(٤) تفسير العياشي ١٦/٢-١٧ ح ٢٣ .

الاقتصاد :

إن كلمة الاقتصاد تطلق على موردين :

الأول : مورد الاقتصاد الذاتي .

الثاني : مورد الاقتصاد التجاري .

أما الذاتي: فهو عبارة عن الاقتصاد في حياة الإنسان وعدم وصول حد التبذير، كما نرى ذلك في هذه الأيام.

ولو أن الله ﷻ سلَّط بعض الأمور على من أوتي من النعمة شيئاً فإنه لا بد أن يعلم مدى تبذيره، ولكن حتى لا يسلط الله علينا من خلال عدم اقتصادنا أماً لا نرضاه علينا أن نرضى بنعمة الله علينا ولا نبذر أموالنا ولكي نبقى نرفل في نعمه .

إننا نرى في هذه الأيام كثرة موارد العيش، وذلك من نعم الله علينا، فهل يا ترى شكرنا نعمة الله علينا ؟

«إن حقيقة الشكر عبارة عن عرفان كل النعم من الله مع صرفها في جهة محبة الله، فالشكر على كل نعمة أن تعرف كونها من الله وتصرفها في جهة محبته.

ولا بد من الشكر على كل حال، ولا يمكن أن تنتهي سلسلة الشكر إلى ما لا يحتاج إلى شكر، فغاية شكر العبد أن يعرف عجزه عن أداء حق شكره تعالى إذ عرفان عجزه مسبب عن

عرفان جميع النعم، حتى شكره من الله، وهذه غاية ما يمكن للعبد»^(١) .

فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : «يا موسى ! اشكرني حق شكري .

فقال : يا رب، كيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليّ ؟

قال: يا موسى: الآن شكرتني، حيث علمت أن ذلك مني»^(٢) .

وروي: أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا قرأ هذه الآية: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٣) يقول: «سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها!»^(٤) .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : «ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه، فتم كلامه، حتى يؤمر له بالمزيد»^(٥) .

إن الشكر أفضل منازل الأبرار، وعمدة زاد المسافرين إلى عالم الأنوار، وهو موجب لدفع البلاء، وزيادة النعماء.

(١) جامع السعادات ٣/٢٤١-٢٤٢ .

(٢) جامع السعادات ٣/٢٤٢ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٤ .

(٤) الكافي ٨/٥٩٢/٣٩٤، وجامع السعادات ٣/٣٤٢ .

(٥) الكافي ٢/٩٥٠ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ينادي مناد يوم القيامة: ليقوم الحمّادون ! فيقوم زمرة. فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة.

فقيل : من الحمّادون ؟

فقال : الذين يشكرون الله على كل حال»^(١) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «اشكر من أنعم عليك، وأنعم من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت. الشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير»^(٢)، أي من التغيير. وشكر النعمة في مرحلة الاقتصاد الذاتي هو أن يقتصد في عيشه ويوجد مجالاً آخر يصرف فيه المال الزائد عن حاجته، يقول تعالى : «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»^(٣) ويقول تعالى : «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»^(٤). فإذا ما أسرفنا في أكلنا وشربنا وفي أموالنا وصرفناها في أشياء غير ضرورية ثم أهملنا حق الله تعالى فيها فإن الله سيحاسبنا .

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «أيما رجل له مال لم يعط حق الله

(١) جامع السعادات ٣/٢٣٩ .

(٢) جامع السعادات ٣/٢٤١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٥٧ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٤١ .

منه إلا جعله الله على صاحبه يوم القيامة شجاعاً ثعباناً له زبانتان ينهشه حتى يقضي بين الناس .

فيقول: مالي ومالك ؟

فيقول: أنا كنزك الذي جمعت لهذا اليوم.

قال: فيضع يده في فيه فيقضمها»^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدى الزكاة إلى مستحقها وأقام الصلاة على حدودها، ولم يلحق بها من الموبقات ما يُبطلها، جاء يوم القيامة يغبطه كل من في تلك العرصات حتى يرفعه نسيم الجنة إلى عُرفها وعاليها بحضرة من كان يواليه محمد وآله الطاهرين .

ومن بخل بزكاته وأدى صلاته كانت محبوسَةً دُوِّين السماء إلى أن يجيء حين زكاته، فإذا أداها جُعِلت كأحسن أفراس مطية لصلاته فحملتها إلى ساق العرش. فيقول الله ﷻ: سر إلى الجنان فاركض فيها إلى يوم القيامة فما انتهى إليه ركضك فهو كله بسائر ما تمسه لباعتك، فيركض فيها على أن كل ركضة مسيرة سنة في قدر لمحة بصره من يومه إلى يوم القيامة حتى ينتهي به إلى حيث ما شاء الله تعالى، فيكون ذلك كله له ومثله عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه وفوقه وتحتة .

(١) مستدرک الوسائل ٢٠/٧ ح ٧٥٣١، وحوالي اللآلي ٨٤/١ ح ١٢ .

وإن بخل بزكاته ولم يؤدها أمر بالصلاة فردت إليه وأُفت كما يُلف الثوب الخلق ثم تضرب بها وجهه ويقال له: يا عبد الله ما تصنع بهذا دون هذا»^(١) .

ترى هل يكفي الإنسان العمل التجاري المادي في حياته أم أنه بحاجة إلى تجارة من نوع آخر. يقول تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٢)، تلك هي (التجارة الروحانية) قال تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾^(٢) التي ستتجيه من عذاب يوم القيامة.

فإذا ما أراد الإنسان أن يعمل في هذه التجارة فعليه أن لا يُعلم نفسه، مثلاً إذا ما أراد أن يخمس أمواله فعليه أن ينطلق من خلال فكره فلربما منعه نفسه عن ذلك لأن النفس تحب الشهوات وهي بخيلة أشد البخل في العطاء فيما تهوى وتشتهي، يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾^(٣)، يعني أن الناس جُبلوا على حب هذه الشهوات، ولكن هل يعني ذلك أن نترك النفس على ما هي عليه ؟

(٢) مستدرك الوسائل ٧/٢١/٧٥٣٣.

(١) سورة الصف، الآية : ١٠.

(٢) سورة فاطر الآية : ٢٩

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٤.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن تُوزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر»^(٤)

يقول تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٥)

نحن سنرجع إلى الله رضينا أم أبينا ، ولا بد أننا وجميع ما نملك إلى الله تعالى، فلماذا لا ننفق في سبيل الله ؟ يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

وإذا ما كانت عودتنا إلى الله رغماً عن أنفسنا فلماذا لا نعيدها برضانا ؟ ولماذا لا نزن أنفسنا ونحاسبها في هذه الدنيا قبل أن ترجع مرغمة ؟

الفروض المالية

الجسم يُبلى، إلا أن ما يبقى هو ذلك الاتصال الحقيقي بالله سبحانه وتعالى ويبقى أثره الذي يدخلنا الجنة، وذلك الاتصال يتم عبر الزكاة التي تطهر الأموال والخمس الذي يطهر النفوس.

(4) وسائل الشريعة ١٦/٩٩/٢١٠٨٢.

(5) سورة البقرة، الآية : ١٥٦.

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٠.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صَلُّوا خَمْسَكُمْ،
وصوموا شهركم، وأدوا زكاة مالكم، وحجوا بيتكم تدخلوا الجنة
ريكم»^(١).

ترى لماذا أُعطي أهل البيت عليهم السلام حق الخمس؟ هل
هم محتاجون له؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من زعم أن الإمام يحتاج إلى ما
في أيدي الناس فهو كافر، إنما الناس يحتاجون أن يقبل منهم الإمام،
قال الله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٢)»^(٤).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء أحب إلى الله من
إخراج الدراهم إلى الإمام، وإن الله ليجعل له الدرهم في الجنة مثل
جبل أحد، ثم قال: إن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٣) قال: هو والله صلة الإمام
خاصة»^(٤).

وفي الدعاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأنت الذي زدت
في السَّوْمِ على نفسك لعبادك تريد ربحهم في متاجرتهم لك، وفوزهم
بالوفادة عليك، والزيادة منك، فقلت تبارك اسمك وتعاليت: ﴿مَنْ جَاءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا

(٢) مستدرک الوسائل ٨/١١/٨٠٨٩٣٠.

(٣) سورة التوبة، الآية : ١٠٣.

(٤) الكافي ١/٥٣٧/١.

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٤٥.

(٢) الكافي ١/٥٣٧/٢.

مَثَلَهَا»^(١)، وقلت: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ»^(٢)، وقلت: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»^(٣) وما أنزلت من نظائرهن في القرآن من تضاعيف الحسنات»^(٤).

إذا فالمصلحة راجعة للإنسان في الخمس والزكاة، والخمس أعظم لأنه طهارة للنفوس، بينما الزكاة طهارة للأموال، وهي من أوساخ المال فلا يحل لهم عليهم السلام أخذها لأنهم أجل وأعظم من أن يأخذوا من أوساخ أموال الناس .

ومن زكى أمواله دون أن يطهر نفسه فهو إلى النار، ومن زكى ماله وطهر نفسه فهو إلى الجنة وذلك قوله تعالى: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»^(٥)، فريق هدى، وفريق حق عليه الضلالة.

إن حساب النفس سيقوم اقتصادنا في الحياة وسيسير تجارتنا مع الله بطريقة صحيحة، وسيفتح لنا صفحة بيضاء مشرقة في التعامل التجاري مع الله سبحانه وتعالى، وعلى الجميع أن يحاسبوا

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٦١.

(٥) سورة البقرة، الآية : ٢٤٥.

(٦) الصحيفة السجادية، ص ١٩٤.

(١) سورة الشورى، الآية : ٧.

أنفسهم وخصوصاً الشباب قبل أن يتراكم الحساب، وأوصيهم
بوضع البرنامج الصحيح للتعامل مع الله تعالى ليكسب لنفسه
الرضا والنجاح في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية والنهاية
السرمدية في الدنيا والآخرة.

النهج الإلهي في الحياة

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١﴾.

النظام الشرعي :

يحتاج الإنسان في حياته إلى منهج ينظم سلوكه في الحياة:
الأول: ينظم فيه علاقته مع الله ﷻ، ويُعبّر عنه بنظام العبادات أو نهج العلاقة مع الله.
الثاني: ينظم فيه الإنسان علاقته بأفراد مجتمعه، ويُعبّر عنه (بالنهج الاجتماعي) أو المعاملات .
إن هاتين العلاقتين، الرأسية والأفقية، يعبر عنهما في التعاليم القرآنية بالنظام الشرعي، ويتجسدان في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٢﴾ .

(١) سورة الأعلى، الآيات: ١٤-١٩ .

(٢) سورة الأعلى، الآيات: ١٤-١٥ .

سُئِلَ الإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى»^(١) قَالَ: مَنْ أَخْرَجَ الْفِطْرَةَ . فَقِيلَ لَهُ: «وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى»^(٢).

قال: خرج إلى الجبّانة فصلّى»^(٣) .

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا الصَّلَاةُ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ عَلَى مَنْ خَرَجَ إِلَى الْجَبَّانَةِ، وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ فَلَيْسَ عَلَيْهِ صَلَاةٌ»^(٤) .

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَوْلُهُ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى»^(٥) إِنَّهُ التَّصَدَّقُ بِصَدَقَةِ الْفِطْرِ.

وقال: لا أبالي أن أجد في كتابي غيرها لقوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى»^(٦) أَي أَعْطَاهُ زَكَاةَ الْفِطْرِ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَصْلِيِّ فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ^(٧) .

(١) سورة الأعلى، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الأعلى، الآية : ١٥ .

(٣) من لا يحضره الفقيه ١/١٠٠١ ح ١٤٧٤ .

(٤) تهذيب الأحكام ٣/٢٨٥ ح ٨٥١ .

(٥) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤-١٥ .

(٦) سورة الأعلى، الآية : ١٤ .

(٧) فقه القرآن ١/٢٦١ .

ومن خلال الأحاديث المتقدمة يظهر أن في الآية ثلاثة أقسام:

الأول: زكاة الفطر . (قد أفلح من تزكى)

الثاني: التكبيرات المستحبة. (وذكر اسم ربه)

الثالث: صلاة العيد. (فصلى)

إن هذه الأقسام الثلاثة تحتوي على النظام الشرعي والاجتماعي الذي يكفل للإنسان حياة منظمة مع المجتمع وفي كيفية التعامل مع الفقراء ، والعلاقة مع الله ﷻ كما تتضمن الآية الكريمة كيفية التعامل مع زكاة الفطر ومواردها وكيفية صرفها وكذلك طريقة الذكر والتعبد وهذا إشارة إلى النظام العباداتي .

معاني الزكاة :

وعلى الرغم من أن الزكاة تصرفُ مالي إلا أنها من مباني

الإسلام وفي ذلك ثلاثة معانٍ :

المعنى الأول: أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام بالتوحيد وشهادة

بأفراد الخالق، وشرط تمام الوفاء بذلك أن لا يبقى للموحد محبوب سوى

الواحد الفرد، ذلك أن المحبة لا تقبل الشُّركة، والتوحيد باللسان قليل

الفائدة، إنما تُمتحن درجةُ الحب في قلب العبد بمفارقة المحبوبات،

والأموال أحدها عند الإنسان لأنها آلة تمتعهم في هذه الدنيا، وبسببها

يأنسون بهذا العالم، ويهرون عن الموت مع أن فيه لقاء الله، ولذلك
امتحنوا في تصديق دعواهم في حب الله واستنزلوا عن المال .
ووفق هذا المعنى فقد انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: صدّقوا التوحيد ووفوا بعهده، ونزلوا عن جميع
أموالهم، فلم يدخروا ديناراً ولا درهماً، وأبوا أن يتعرضوا لوجوب
الزكاة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام «حين سأله رجل في كم تجب
الزكاة من المال ؟

فقال له: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد ؟

فقال : أريدهما جميعاً .

قال: أما الظاهر ففي كل ألف خمسة وعشرون، وأما الباطنة
فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك»^(١) .
وعن عبد الملك بن عمرو الأحول قال: «تلا أبو عبد الله
عليه السلام هذه الآية : «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا»^(٢) .

قال : فأخذ قبضة من حصي وقبضها بيده، فقال:

«هذا الإقتار الذي ذكره الله في كتابه»، ثم أخذ قبضة أخرى
فأرخی كفه، ثم قال: «هذا الإسراف»، ثم أخذ قبضة أخرى فأرخی
بعضها وأمسك بعضها وقال: «هذا القوام»^(٣) .

(١) الكافي ٣/٥٠٠/١٣ .

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧ .

(٣) الكافي ٤/٥٤-٥٥ باب كراهية السرف والتقتير .

وأما القسم الثاني: هم الممسكون أموالهم، المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التتعم وصرف الفاضل عن الحاجة في وجوه البر مهما ظهرت وجوهه، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة. ويرون أنه يجب على المؤسر مهما وُجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة.

وأما القسم الثالث: هم الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهو أقل المراتب، وقد اقتصر أغلب الناس على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِمْكُمْ تَبَخَّلُوا﴾ (١).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن الزكاة ليس يحمدها صاحبها، وإنما هو شيء ظاهر، إنما حُقن بها دمه وسمي بها مسلماً، ولو لم يؤدّها لم تُقبل له صلاة، وعليكم في أموالكم غير الزكاة.

فقلت : أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟

فقال : سبحان الله أما تسمع الله عز وجل يقول في كتابه :

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢).

قال: قلت : فما الحق المعلوم الذي علينا ؟

(١) سورة محمد، الآية: ٣٧.

(٢) سورة المعارج ، الآيتان: ٢٤-٢٥.

قال : هو والله الشيء يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر قلّ أو كثر غير أنه يدوم عليه. وقوله ﷺ: «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ»^(١) .

قال: هو القرض يقرضه والمعروف يصطنعه ومتاع البيت تعيره، ومنه الزكاة .

فقلت: إن لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه، فعلينا جناح أن نمنعهم ؟

فقال: لا ليس عليكم جناح أن تمنعهم إذا كانوا كذلك .

قال: قلت له: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً»^(٢) .

قال: ليس من الزكاة.

قال: قوله تعالى : «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً»^(٣) .

قال: ليس من الزكاة.

قلت له : قوله: «إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»^(٤).

قال : ليس من الزكاة، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة»^(٥).

(١) سورة الماعون ، الآية : ٧ .

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٧١ .

(٥) الكافي ٩/٤٩٩/٣ .

وقال عليه السلام أيضاً: «إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله عز وجل، ولم يعطكموها لتكنزوها»^(١).

المعنى الثاني: التطهير عن صفة البخل فإنه من المهلكات. يقول الله تعالى: «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا»^(٢). ويقول تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»^(٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «البخل شجرة تنبت في النار، فلا يلج النار إلا بخيل»^(٥).

وروي: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوف بالبيت، فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي!.

(١) الكافي ٥/٣٢/٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٤) جامع السعادات ١١٠/٢.

(٥) جامع السعادات ١١٠/٢.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «وما ذنبك ؟
صفه لي .

قال : هو أعظم من أن أصفه لك .

قال : ويحك ! ذنبك أعظم أم الأرضون ؟

قال : بل ذنبي يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : ويحك ! ذنبك أعظم أم الجبال

؟

قال : بل ذنبي يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : فذنبك أعظم أم البحار ؟

قال : بل ذنبي يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : فذنبك أعظم أم السماوات ؟

قال : بل ذنبي يا رسول الله .

قال : فذنبك أعظم أم العرش ؟

قال : بل ذنبي يا رسول الله .

قال : فذنبك أعظم أم الله ؟

قال : بل الله أعظم وأعلى وأجل .

قال : ويحك ! فصف لي ذنبك ؟

قال : يا رسول الله ، إني رجل ذو ثروة من المال، وإن

السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إليك عني ! لا تحرقني ببارك ! فوالذي بعثني بالهداية والكرامة، لو قمت بين الركن والمقام، ثم صليت ألفي ألف عام، وبكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار، ثم مت وأنت لنيم، لأكبك الله في النار ! ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار! ويحك أما علمت أن الله يقول : ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ﴾^(١) «(٢) .

إن صفة البخل تزول بتعويد النفس بذل المال، فحب الشيء لا ينفع إلا بقهر النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتياداً. كما أن الزكاة بهذا المعنى طهارة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

المعنى الثالث: شكر النعمة فإن الله علينا نعماً في أنفسنا وفي أموالنا، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال، وما أحقر من ينظر إلى الفقير وقد ضيق الرزق عليه وأحوج إليه ثم لا يُسمح لنفسه بأن يؤدي الشكر لله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه ببعض من ماله.

(١) سورة محمد، الآية : ٣٨ .

(٢) المحجة البيضاء ٦/٧٤ - ٧٥ .

زكاة الفطر :

إنما تجب زكاة الفطر بأربعة شروط :

- ١- البلوغ بمعنى أن يكون بالغاً ولا تجب على الصبي وإن كان ذو مال كثير .
- ٢- العقل ولا عبرة في المجنون والسفيه.
- ٣- الحرية فلا عبرة بالعبد.
- ٤- الجدية بمعنى أن يكون واجداً للمال.

آداب دفع الزكاة وقت الأداء :

١- إن من آداب وقت الأداء عند ذوي المال التعجيل على وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال، وإيصالاً للسرور إلى قلوب الفقراء، ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوّقه عن الخيرات، علماً بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض له العبد من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب.

٢- الإسرار في دفع الزكاة وذلك أبعد عن الرياء والسمعة.

يقول الله تعالى: ﴿وَأِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١).

سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أي الصدقة أفضل؟»

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧١ .

قال صلى الله عليه وآله وسلم: جهدّ من مقل إلى فقير (في سر)«(١).

وفائدة الإخفاء هو الخلاص من أفة الرياء والسمعة، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمر على أخيه المؤمن سوءاً»^(٢) والمتحدث بصدقته يطلب السمعة أمام الناس يطلب الرياء، والإخفاء والسكوت هو المخلص من ذلك .

٣- الإظهار ترغيباً للناس في الاقتداء به على أن يحذر في نفسه أي داعٍ للرياء، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾^(٣) وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء وأما لأن السائل إنما سأل على مأل من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء قدر الإمكان، وذلك لأن في الإظهار هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج.

٤- أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى، قال الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٤) ، وقد قيل: المن أن يذكرها، والأذى أن يظهرها، وقيل: المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن

(١) مستدرک الوسائل ٧/٢١٤/٢١٤/٨٠٧١.

(٢) الكافي ٢/٣٦١/٨.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧١.

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٦٤.

يعيّرهُ بالفقر، وقيل: المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة .

يقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله كره المنَّ بعد الصدقة ونهى عنه»^(١) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم

آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته»^(٢) .

٥- أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات ، وهو محبط للأعمال ، قال الله تعالى :
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾^(٣) .

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإنك إذا صغرتَه عظمتَه عند من تضعه إليه، وإذا سترته تممتَه، وإذا عجلته هنأتَه، وإن كان غير ذلك سخفته ونكدته»^(٤) .

وقال عليه السلام لعمار الساباطي: «يا عمار الصدقة والله في السر أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله العبادة في السر أفضل منها في العلانية»^(٥) .

(١) بحار الأنوار ٣/١٤٠-١٤١ ح ٣ .

(٢) بحار الأنوار ٩٣/١٤٢ ح ٨ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ٢٥ .

(٤) الكافي ٤/٣٠١ .

(٥) الكافي ٤/٨٢ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صدقة السر تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أسبغ الوضوء تمر على الصراط مر السحاب، افش السلام يكثر خير بيتك، أكثر من صدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب»^(٢).

٦- أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه، فإن الله لا يقبل إلا طيباً، وإذا ما كان المال المخرج من شبهة فلا يكون ملكاً ولن يقع الموقع .

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية فأنفقه في غير معصية وعاد به على أهل المسكنة»^(٣) .

وإذا ما كان المخرج من رديء المال فهو من سوء الأدب إذ يمسك الجيد لنفسه ولأهله فيكون قد آثر على الله غيره، فلو فعل هذا بضيفه وقدم إليه الطعام الرديء في بيته لأوغر به صدره، هذا إن كان نظره إلى الله، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقلي من يؤثر غيره على نفسه، وليس له من مال إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى والذي يأكله قضاء وطر في الحال، فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار

(١) الكافي ٣/٨/٤.

(٢) وسائل الشيعة ١/٤٨٩/١٢٩٣.

(٣) الكافي ٨/١٦٩/١٩٠.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ (١) .

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ (٢) قال: «كان أناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتصدقون بأشرف ما عندهم من التمر الرقيق القشر الكبير النوى يقال له: المعافاة، ففي ذلك أنزل الله ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾» (٣) (٤).

لقد كان آية الله المعظم الميرزا علي الحائري قدس سره حريصاً على الإنفاق بأفضل ما عنده وله في جدته الزهراء عليها السلام أسوة عندما تصدقت بثوب زفافها ليلة عرسها فقد ضرب لنا مثلاً رائعاً عندما يأتيه الفقراء كان يحرص أن يجود عليهم بكل ما عنده فقال له بعض أحبابه أنت تعطي جميع ما عندك وقد يأتي محتاجون آخرون فقال قدس سره : لا بد وأن يكون لهم رزقهم المقدر.

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٦٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٦٧ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٦٧ .

(٤) وسائل الشيعة ٢٠٦/٩ ح ١١٨٥٠ .

زكاة الجسد :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لأصحابه:
«ملعون كل مال لا يزكى، ملعون كل جسد لا يزكى، ولو في كل
أربعين يوماً مرة.

ف قيل له: يا رسول الله، أما زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة
الأجساد؟

فقال لهم: أن تصاب بآفة .

قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه.

قال: فلما رأهم قد تغيرت ألوانهم، قال: هل تدرون ما عنيت

بقولي؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : إنَّ الرجل يُخدش الخدشة، ويُكَب النكبة، ويَعثر العثرة،
ويمرض المرضة، ويشاك الشوكة وما أشبه هذا - حتى ذكر في
حديثه اختلاج العين»^(١) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «على كل جزء من أجزاءك زكاة
واجبة لله تعالى، بل على كل منبت شعر من شعرك، بل على كل
لحظة من لحظاتك زكاة، فزكاة العين النظرة بالعبرة والغض عن
الشهوات وما يضاهاها، وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن
وفوائد الدين من الموعدة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض

(١) الكافي ٢/٢٥٨/٢٦٦.

عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباههما، وزكاة اللسان النصح للمسلمين، والתיقظ للغافلين، وكثرة التسبيح والذكر وغيرها، وزكاة اليد البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به، وتحريكها بكتابة العلم، ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى، والقبض على الشر، وزكاة الرجل السعي في حقوق الله تعالى من زيارة الصالحين، ومجالس الذكر، وإصلاح الناس، وصلة الأرحام، والجهاد، وما فيه صلاح قلبك ودينك، هذا مما تحمل القلوب فهمه والنفوس استعماله وما لا يشرف عليه إلا عباده المخلصون المقربون أكثر من أن تُحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم»^(١).

الروابط الإنسانية في العيد :

إن الاحتفال بعيد أي عيد من شأنه أن يوقظ الوعي بالروابط التي بين أفراد الأمة، إذ لا تحتفل أي أمة ما بعيد من أعيادها إلا لذكريات تعيد لها صورة مجد أو صورة نصر وقع في الأيام التي تحتفل بها.

وهذا النصر أو هذا المجد الذي وقع في تاريخ الأمة، إنما وقع ما بين أفرادها من دوافع مشتركة نحو تحقيق هدف معين، فإذن الأحداث في تاريخ الأمة التي من شأنها أن تذكر بصور

(١) مصباح الشريعة ص ٥١-٥٢.

أمجادها وانتصاراتها تمثل أسباب قيام الأمة كما تصور مثلها الرفيعة التي تسعى إلى تحقيقها.

وعلى سبيل المثال في أمتنا الإسلامية - فإننا نرى العيدين: عيد الفطر ، وعيد الأضحى، يصوران مجداً ونصراً تم لأول مرة في اليوم الذي يحتفل به كل عام. وهو اليوم الأول من شوال في عيد الفطر، واليوم العاشر من ذي الحجة في عيد الأضحى. فاليوم الأول يمثل النصر بإتمام صوم شهر رمضان، بينما اليوم الثاني يصور الأداء لفريضة الحج.

إن كلاً من شهر رمضان، والوقوف بعرفات له شأن كبير في تاريخ الأمة الإسلامية، ومنزلة بين الفرائض التي فرضت في تعاليم الإسلام.

وفضلاً عن أن شهر رمضان هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، أساس الهداية للمسلمين، ومصدر الروابط المشتركة بين أفراد الأمة الإسلامية، وموضع تحقيق مُثلها وأهدافها - فإنه نفسه يعبر بصومه عن انتصار الإرادة الإنسانية على الشهوة والرغبات التي من شأنها أن تبعد الإنسان عن أن يكون صاحب سيادة على نفسه، وعن أن يكون فاعلاً في حياة مجتمعه.

والوقوف بعرفات - فضلاً عن أنه يصور انتصار المسلمين في اجتماعهم من جميع مشارق الأرض ومغاربها في مكان واحد وفي لحظة واحدة من اليوم الواحد - فإنه نفسه يعبر عن روح

المساواة بين المسلمين جميعاً، سواء في وقوفهم لله مجيبين دعوته ومطيعين أمره بقولهم: (لبيك اللهم لبيك)، أو في تجردهم من مظاهر الدنيا بحيث لا يُعرف فقيرهم من غنيهم، ولا يعرف وضيعهم من سيدهم، ولا يعرف مشرقيهم من مغربيهم إلا باللسان واللهجة.

إذن فالعيد يُعيد للمسلمين صورة ذلك النصر المؤزر، وهو نصر الإرادة الإنسانية والتلاقي بين أفراد الأمة الإسلامية على الإيمان وحب الله والمساواة.

وكما أن عيدي الفطر والأضحى يصوران هذا النصر للمسلمين، فإن هذا النصر نفسه لم يكن نصراً للأمة إلا بعد أن قامت روابط هذه الأمة على أساس من الإيمان بالإسلام وتحقيق أهدافها ومثلها العليا.

إذن لدينا عيدان يذكران المسلمين بتلك الروابط التي قام عليها مجتمعهم، كما يذكرانهم بتلك الأهداف التي يسعون إليها. وهي روابط لا تتصل بالدم ولا بعلاقة النسب، وإنما تتصل بالمثل الفاضلة، وهي تلك المثل التي تصور مستوى الإنسانية الرفيع. ومن هنا كان الاحتفال بأي عيد منهما هو تذكير بتلك الروابط الإنسانية التي جمعت بين المسلمين في الأساس والغاية.

ولأن وضع العيد في الأمة هو هذا الوضع، وهو الموقظ لذكريات تتصل بالعلاقات الإنسانية بين أفرادها - فإنه يتطلب الاحتفال به الإعلان عنه، تعريفاً به وتذكيراً قوياً لآثاره. ومن هنا كان من الاحتفال في العيدين: الفطر والأضحى في الإسلام جملة مظاهر تعبر عن هذا الإعلان.

أولاً: أن تكون القراءة في صلاته قراءة جهرية، وأن يكون اجتماع المسلمين لصلاة العيد في مكان خلوي، وأن يكون تكبيرهم في مكان الصلاة بصوت مسموع. هذا بالإضافة إلى ما يطلب من المسلمين من لبس الجديد، على أنه يستحب أيضاً - كطريق لهذا الإعلان - أن يكون الذهاب إلى الاجتماع من طريق والرجوع من طريق آخر .

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا خرج إلى العيد لم يرجع في الطريق الذي بدأ فيه بل يأخذ في طريق غيره»^(١) .

وهذه الصورة لإعلان الاحتفال بالعيد، ما هي إلا تعبير عن ذلك الشعور النفسي الداخلي بالفرح والسرور. وهو الفرح برباط الأخوة المشتركة، والسرور بالتقاء الأفراد على المثل العليا التي جمعت ووحدت بينهم.

(١) وسائل الشيعة ٧/٤٧٩/٦/٩٩٠٦.

ولأن النفس عادة إذا تمكّن منها داعي الفرح والسرور تخرج عن جديتها في الحياة لذلك نرى أن الإسلام قد أباح التعبير عن الفرح واللهو غير الضار وغير المفسد في هذا اليوم.

إن الاحتفال بيوم العيد إذا أيقظ الروابط المشتركة بين أفراد الأمة التي تحتفل بها - فإن في مقدمة هذه الروابط الوحدة في القيم والمبادئ، ووحدة القيم والمبادئ كما تُشجّع على قوة الترابط بين الأفراد وتزيد من تواصلهم، فإنها تحمّلهم على أن يستمروا في سبيل هذه الوحدة وتلك القيم التي جاء بها الإسلام.

إن أبرز شيء يمكن أن نستلهمه من ذكرى العيد والاحتفال به هو هذه الوحدة في القيم، والأخوة في الترابط التي تنشأ عنهما الصلات الأخرى من عطف القوي على الضعيف، وتودد الجار لجاره، ومواساته في الضراء، ومشاركته له في الفرح، ورعاية ذوي القربى واليتامى والمساكين، والمحافظة على الحرمات، من نفس ومال وعرض.

جمال الأعياد شوري المرجعيات :

بعد انقلاب (١٤ / تموز) العراقي سنة (١٩٥٨ م) ، سمح عبدالكريم قاسم للشيوعيين بالنشاط كما يحلو لهم . فأغرقوا العراق في حمامات الدم خلال ستة أشهر ، وكانت المظاهرات الشيوعية تجوب شوارع المدن العراقية وتهاجم

بيوت العلماء والوطنيين الأحرار وتمارس بحقهم أشنع الجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية . وقد قام في النجف الأشرف ما جعل المسلم يشعر نفسه غريباً فيها .

وذات مرة خرجت مظاهرة شيوعية في شوارع كربلاء المقدسة ويتقدمها قادة الشيوعية وبأيديهم قائمة بأسماء (٥٢) شخصية إسلامية ووطنية مجاهدة لغرض الهجوم على بيوتهم وقتلهم بسبب موقفهم الراض للشيوعية ونشاطهم في الناس ضد المد الأحمر) وكان من الأسماء اسم آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي والعلامة الخطيب السيد مرتضى القزويني) .

فما كان من الفقهاء المراجع إلا التصدي للمسؤولية ، فعقد ثلاثة منهم (وهم الإمام الحكيم والإمام الخوئي والإمام الميرزا مهدي الشيرازي) اجتماع في كربلاء المقدسة في دار السيد الشيرازي (قدس سره) وخرجوا من الاجتماع بقرارات مهمة لمكافحة المد الأحمر في العراق ، فأصدروا الفتاوى ونسقوا الأنشطة في صد الكفرة والفسقة والجهلة ، وكان الانتصار للوحدة الإسلامية .

أخبرني الأديب الحسيني (الشيخ محمد باقر الأيرواني النجفي) (حفظه الله) أن آية الله العظمى السيد محسن الحكيم **قدس سره** جاء ذات مرة لعيادة المرجع الديني الميرزا مهدي الشيرازي

قدس سره ونشرت صورتها في الستينات تحتها بيتان من الشعر

من إنشائي :

بدران في أفق الهداية أشرفاً أنبيك بالتفصيل والإيجاز
هذا هو " المهدي " يسمع " محسناً " وترى الحكيم يحدث الشيرازي

وفي هذا السياق نقول أن في لقاء المراجع لقاء أتباعهم وفي اجتماعهم اجتماع مقلديهم وفي تزاورهم تشجيع للتزاور بين الناس أنفسهم ، هذا ناهيك عن ضرورة تشكيل قمة مرجعية دائمة تجتمع دورياً لبحث سبل القضاء على مشاكل المؤمنين خاصة والأمة الإسلامية عموماً وما يهدد المسيرة والكيان الإسلامي في كل جيل⁽¹⁾ .

ومن جميل ما نقل عن آية الله المعظم خادم الشريعة الغراء المولى الميرزا عبدالرسول الحائري الإحفاقي قدس سره أنه كان يتمنى أن يتزاور العلماء ويتشاوروا في قضايا الأمة الإسلامية التي تحدد مصير المجتمع وكان يقول : العالم الذي لا يحرص على وحدة الأمة لا يمكن أن يكون قد استقى علومه من نبع محمد وآل محمد عليهم السلام .

(1) قصص وخواطر - ص ٣٥٢

كلمة الإخلاص وحقيقتها

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

مراتب التوحيد :

إن للتوحيد أربع مراتب وهو منقسم إلى لبّ ولبّ اللبّ، وإلى
قشر وقشر القشر.

فالرتبة الأولى من التوحيد : هي أن يقول الإنسان (لا إله
إلا الله) وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين.

والرتبة الثانية: أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به
عموم المسلمين وهو اعتقاد عامة المسلمين .

والرتبة الثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور
الحق، وهو مقام المقربين، وذلك بأن الأشياء كثيرة ولكنه يراها
على كثرتها صادرة من الواحد القهار.

(١) سورة الصافات، الآيتان: ٣٤-٣٥.

وأما الرتبة الرابعة: أن لا يرى إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين، وهو ما يسميه أهل المعرفة الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق مع إدراك ذل العبودية في نفسه وعزّ الربوبية في خالقه " العبودية جوهرية كنهها الربوبية " (١).

فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا إله إلا الله كلمة طيبة مباركة من قالها مخلصاً نجا مني ودخل الجنة، ومن قالها غير مخلص نجا مني ودخل النار» (٢).

وأما الثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه خال من التكذيب بما انعقد عليه قلبه، وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة إن توفي عليها ولم تضعف بالذنوب والمعاصي عقده.

(1) مصباح الشريعة ص ٧

(2) مستدرک الوسائل ٥/٣٦٤/٦٠٩٤.

والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذ انكشف له الحق كما هو عليه لا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم اللفظ وتلك هي رتبة العوام والمتكلمين.

والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل إنه واحد لأنه في محضر قدس الواحد .

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين وقائع الله، وكنز أسراره، ومعدن أنواره، ودليل رحمته على خلقه، ومطيبة علومه، وميزان فضله وعدله، قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا، ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله ومع الله ومن الله، فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله إليه متزود، والمعرفة أصل وفرع الإيمان»^(١) .

صحيح أن الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، وهو الذي تُحقن به الدماء والأموال ولكن هل يكفي ذلك؟ أم أنه لا بد من تطبيق عملي لهذه الشهادة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لكل قول مصداقاً من عمل يصدقه أو يكذبه، فإذا قال ابن آدم وصدق قوله

(١) مصباح الشريعة، ص ١٩١.

عمله رفع قوله بعمله إلى الله، وإذا قال وخالف عمله قوله رد قوله على عمله الخبيث وهوى به إلى النار»^(١) .

إن التوحيد كلمة مشتقة من التفعيل والمبالغة في الشيء، ووجد الله أي بالغ في توحيدِه.

وإن الإنسان مهما وصل وبالغ وأراد أن يصل إلى التوحيد فإنه لن يستطيع ذلك.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما عبدناك حق عبادتك، وما عرفناك حق معرفتك»^(٢) .

والغريب أن ترى التوحيد عند بعض الموحدين قائم على قوائم خشبية لا يقر لها قرار فلا يستطيع أن يبني عليها أي بناء، بمعنى أن توحيدِه قائم على الأوهام والتخيلات.

إلا أن التوحيد الحقيقي أن يُعرضَ الإنسان بجميع جوارحه عن الخلق ويتجه لله الواحد القهار.

إن من الأعمال التي يمكن أن تزرع في القلب حقيقة التوحيد هو أن يقول الإنسان لفظ الجلالة (الله) ١٦٦٩٦ في ثلاثة أيام، فإذا ما قالها الإنسان فإنه ستتجلى حقيقة التوحيد وسوف تنادي كل

(١) بحار الأنوار ١٦/٦٤ ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار ٦٨/٢٣.

ذرة من ذرات جسمه ستصرخ وتقول: يا رب، إذا ما تفكر في عظمة التكوين تجلت في نفسه حقائق التوحيد.

أما إذا وَحَّدَ الإنسان ربه بكلمات هي عين التوحيد فإنه يصل إلى مرحلة عين اليقين، إذ يشاهد بعينه كيف يتجلى التوحيد.

علم اليقين :

إذا ما نظر الإنسان إلى دخان متصاعد علم أن هناك ناراً فهذا علم اليقين، فلا يوجد دخان بلا نار.

عين اليقين :

وإذا نظر الإنسان إلى النار نفسها صار عنده عين اليقين بأنها نار .

حق اليقين :

أما إذا دخل الإنسان في وسط النار وبدأ يحترق بها، فإن النار تحرقه على وجه الحقيقة، ولذا علينا أن ندوب في علاقتنا مع الله سبحانه وتعالى، في حُبِّنا وشوقنا له، إذ لو رأى المؤمن ما أعده الله لأوليائه الصالحين لذاب قلبه، وزهقت نفسه شوقاً إليه «فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطيبون ويدخل عليهم فيها

الملائكة المقربون وهم مما يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون دار
لا يتغير فيها النعيم ولا يزول عن أهلها»^(١).

وإن من البشر من يأبى حتى القول ب: لا إله إلا الله، الذين
وصفهم الله تعالى بقوله: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ»^(٢).

عن أبي حمزة الثمالي قدس سره قال: «دخلت على محمد
بن علي H وقلت: يا ابن رسول الله حدثني بحديث ينفعني .
قال: يا أبا حمزة كلُّ يدخل الجنة إلا من أبى.

قال: قلت: يا بن رسول الله أحد يأبى يدخل الجنة ؟
قال : نعم .

قلت : من ؟

قال : من لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال : قلت: يا ابن رسول الله لا أروي هذا الحديث عنك.

قال : ولم ؟

قلت : إني تركت المرجئة والقدرية والحرورية وبني أمية كل

يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(١) الكافي ١٠٣/١٣٥/٨ (فيما وعظ الله ﷻ به عيسى ﷺ).

(٢) سورة الصافات، الآية : ٣٥ .

قال : أيها، أيها ، إذا كان يوم القيامة سلبهم الله تعالى إياها لا يقولها إلا نحنُ وشيعتنا والباقون برآء، أما سمعت الله يقول ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(١) .

قال: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم جالساً وعنده نفر من أصحابه فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذ قال: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة».

فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما تقبل شهادة أن لا إله إلا الله من هذا ومن شيعته الذين أخذ ربنا ميثاقهم.

فقال الرجلان: فنحن نقول لا إله إلا الله.

فوضع رسول الله يده على رأس علي عليه السلام ثم قال: علامة ذلك

أن لا تحلا عقده ولا تجلسا مجلسه ولا تكذبا حديثه^(٣) .

(١) سورة النبأ، الآية : ٣٨ .

(٢) بحار الأنوار ٢٠٦/٧-٢٠٧ .

(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٦/٢٧ .

وعن متعب مولى أبي عبد الله عليه السلام عنه عن أبيه H قال: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : يا رسول الله هل للجنة من ثمن ؟

قال : نعم .

قال : ما ثمنها ؟

قال : لا إله إلا الله يقولها العبد مخلصاً بها.

قال : وما إخلاصها ؟

قال : العمل بما بعثت به في حقه وحب أهل بيتي.

قال : فداك أبي وأمي وإنَّ حب أهل البيت لمن حقها ؟

قال : إنَّ حبهم لأعظم حقها»^(١) .

إنَّ لا إله إلا الله، حصن الله، من دخل فيه أمن من عذابه، وإنَّ الدخول في هذا الحصن لا يتم إلا بشروط، وإلا لكان مجرد القول يكفي ليدخل فيه كل مشركي قريش وعتاتها.

عن يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال: لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيشابور، فأراد أن يرحل منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث نستفيده منك؛ وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال:

(١) مستدرک الوسائل ٥/٣٥٨-٣٥٩/٦٠٨١.

«سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سمعت جبرائيل يقول: سمعت الله ﷻ يقول: (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي) .

فلما مرت الراحلة نادی: بشروطها وأنا من شروطها»^(١).

ألا «فلتلموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدين وحجة الله على الكافرين»، «وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا»^(٢) مشركين متباغضين متفرقين فألف بينكم بالإسلام، فكثرتم واجتمعتم وتحاببتهم، فلا تفرقوا بعد إذ اجتمعتم، ولا تتباغضوا بعد إذ تحاببتهم»^(٣) .

(١) ثواب الأعمال، ص ٦ - ٧ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٦ .

(٣) بحار الأنوار ٣٦/٣٤ ح ٩٠٦ وشرح نهج البلاغة ٤/٥٠٤ .

الحجب المعنوية

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ (١) .

يعيش الإنسان في هذه الحياة وهو ملبس بحجب معنوية لا يراها إلا عندما ينتقل إلى عالم الآخرة، وكما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢) ، ذلك أن الدنيا دار شكوك وارتياب وخطرات فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأموره وثوابه وعقابه ما تزول به الشكوك ويعلم به حقيقة قدرة الله ﷻ .

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أوصيكم بالعمل قبل أن يؤخذ بالكظم وباغتنام الصحة قبل السقم، وقبل أن تقول نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٥-٤٦ .

(٢) سورة ق، الآية : ٢٢ .

السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ (١)،
 وَأَنَّى وَمَنْ أَيْنَ وَقَدْ كُنْتَ لِلْهَوَى مُتَّبِعًا فَيُكْشَفُ لَهُ عَنْ بَصَرِهِ وَتَهْتِكُ
 لَهُ حُجْبُهُ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
 حَدِيدٌ﴾ (٢) أَنَّى لَهُ بِالْبَصْرِ، أَلَا أَبْصَرَ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ الضَّرَرَ قَبْلَ
 أَنْ تُحْجَبَ التَّوْبَةُ بِنَزُولِ الْكُرْبَةِ فَتَتَمَنَّى النَّفْسُ أَنْ لَوْ رُدَّتْ لِتَعْمَلَ
 بِتَقْوَاهَا فَلَا يَنْفَعُهَا الْمَنَى» (٣) .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «أوحش ما يكون هذا الخلق
 في ثلاثة مواطن يوم يولد، ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا.
 ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها
 في دار الدنيا» (٤) .

إن الحجب التي تلف نفس الإنسان وتجعلها أسيرة لها، وتمنعها
 من التوجه نحو خالقها إنما تحدث لأسباب عديدة نذكر منها:

د أكل الربا :

قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «من أكل الربا
 ملاً الله بطنه ناراً بقدر ما أكل منه فإن كسب منه مالاً لم يقبل الله
 شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما دام عنده منه
 قيراط» (٥) .

(١) سورة الزمر، الآيتان : ٥٦-٥٧ .

(٢) سورة ق، الآية : ٢٢ .

(٣) مستدرک الوسائل ١/١٤٧-١٤٨/٢٢٣ .

(٤) روضة الواعظين ٢/٥٢٥ ح ١٧٥٥ .

(٥) مستدرک الوسائل ١٣/٣٣٢/١٥٥٠٧ .

إن الريا وكما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
«مفتاح كل شر أولئك يظلمون الأبرار ويصادقون الفجار
والفسقة، الحق عندهم باطل، والباطل عندهم حق، هذا كله
للدنيا وهم يعلمون أنهم على غير حق ولكن ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ﴾^(١) ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٢)، واطمأنوا بها
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾^(٣)»^(٤).

إن أكل الريا يحيط نفسه بحجاب سميك من الذنوب التي لا
يمكن أن يخرقها أي دعاء منه فيما لو وقع في مصيبة ما،
ناهيك عن لعنة الله ورسوله والملائكة التي تنزل عليه.

عن الإمام الصادق عليه السلام : «إن رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله وسلم لعن الريا وآكله وموكله وبائعه ومشتريه وكاتبه
وشاهديه»^(٥).

٢- شرب الخمر :

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨ .

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٤ .

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٧-٨ .

(٤) بحار الأنوار ١٥١/٧٦ .

(٥) مستدرک الوسائل ١٣/٣٣٦/١٥٥٢٥ .

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل جعل للمعصية بيتاً ثم جعل للبيت باباً ثم جعل للباب غلقاً ثم جعل للغلق مفتاحاً فمفتاح المعصية الخمر»^(١).

وقال عليه السلام: «مدمن الخمر يلقي الله حين يلقاه كعابد وثن»^(٢).

٣- الظلم بأنواعه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زان، يقول الله عز وجل له يوم القيامة: عبدي زوجتك أمتي على عهدي فلم توف بعهدي وظلمت أمتي فيؤخذ من حسناته فيدفع إليها بقدر حقها، فإذا لم تبقى له حسنة أمر به إلى النار»^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ظلم أجييراً أجره أحبب الله عمله وحرّم عليه ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»^(٤).

(٦) الكافي ٦/٤٠٣/٦.

(١) الكافي ٦/٤٠٤/٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤/١٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤/١٢.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «يقول الله ﷻ اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرًا غيري»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أضر بالمرأة حتى تفتدي منه لم يرض الله عنه بعقوبته دون النار لأن الله يغضب للمرأة كما يغضب لليتيم»^(٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(٣) يا معاشر شيعةنا اتقوا الله واحذروا أن تكونوا لتلك النار حطباً وإن لم تكونوا بالله كافرين فتوقوها بتوقي ظلم إخوانكم المؤمنين، وإنه ليس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارك له في مولاتنا إلا ثقل الله تعالى في تلك النار سلاسله وأغلاله ولم يفله - يفكه - منها إلا بشفاعتنا، ولن نشفع له إلى الله تعالى إلا بعد أن نشفع له في أخيه المؤمن فإن عفا عنه شفعا وإلا طال في النار مكثه»^(٤).

٤- عدم دفع الخمس :

(٤) وسائل الشيعة ١٦/٥٠-٥١ ح ٢٠٩٥٥.

(٥) مستدرک الوسائل ١٥/٣٨٠/١٨٥٦٦.

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٤.

(٢) مستدرک الوسائل ١٢/١٠١/١٣٦٣٠.

عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي قال: «كان فيما ورد عليّ من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (قدس سره) في جواب مسائلي إلى صاحب الزمان عليه السلام :

وأما ما سألت عنه من أمر من يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا فمن فعل ذلك فهو ملعون ونحن خصماؤه، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: المستحل من عترتي ما حرم الله ملعون على لساني ولسان كل نبي مجاب، فمن ظلمنا كان من جملة الظالمين لنا، وكانت لعنة الله عليه بقوله عليه السلام: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(١). إلى أن قال: أما ما سألت عنه من أمر الضياع لناحيتنا هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية احتساباً للأجر وتقريباً إليكم؟ فلا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه فكيف يحل ذلك في مالنا؟! من فعل شيئاً من ذلك لغير أمرنا فقد استحل منا ما حرم عليه، ومن أكل من مالنا شيئاً فإنما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً»^(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عليه السلام: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ»^(٣) يعني الناقصين لخمسك يا محمد «الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

(١) سورة هود، الآية : ١٨ .

(٢) وسائل الشيعة ٩/٥٤٠-٥٤١/١٢٦٧٠ .

(٣) سورة المطففين، الآية: ١ .

يَسْتَوْفُونَ»^(١) أي صاروا إلى حقوقهم من الغنائم يستوفون
«وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ»^(٢) أي إذا سألوهم خمس آل
محمد عليهم السلام نقصوهم»^(٣) .

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «مَنْ أُعْطِيَ»^(٤)
الخمس «وَاتَّقَى»^(٥) ولاية الطواغيت «وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى»^(٦) بالولاية
«فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْيُسْرَى»^(٧). قال: لا يريد شيئاً من الخير إلا تيسر له
«وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ» بالخمس «وَاسْتَغْنَى»^(٨) برأيه من أولياء الله «وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى»^(٩) الولاية فلا يريد شيئاً من اليسر إلا تعسر له»^(١٠).

هـ عدم الإيمان بالمعاد :

ما فائدة إيمان الإنسان بالله وبرسله وأنبيائه إذا لم يكن مؤمناً
بأن هناك معاد يتحقق فيه العدل الإلهي ؟

-
- (٤) سورة المطففين، الآية: ٢ .
 - (٥) سورة المطففين، الآية: ٣ .
 - (٦) مستدرک الوسائل ٧/٢٧٨/٢٧٩ .
 - (٧) سورة الليل، الآية ٥ .
 - (٨) سورة الليل، الآية ٥ .
 - (٩) سورة الليل، الآية ٦ .
 - (١٠) سورة الليل، الآية ٧ .
 - (٢) سورة الليل، الآية ٨ .
 - (٣) سورة الليل، الآية ٩ .
 - (٤) مستدرک الوسائل ٧/٢٨٠/٢٢٢ .

إذا ما آمن الإنسان بأن هناك معاد، لم ينظر إلى الدنيا نظرة الطالب لها الذي لا يشبع، (فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلَّ الله له سلم، ومن تناولها من غير حلها هلك إلا أن يتوب أو يراجع)^(١).

فبسبب الإيمان بالمعاد والآخرة تتكون عند الإنسان الحالة الإيمانية الحقيقية، وعندما يقول الله ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾^(٢) لم يقصد الذين لا يؤمنون بالله أو بنبوة الأنبياء وإنما قصد به يوم المعاد.

فمن آمن بالآخرة وأن هناك جنةً وناراً ارتدع عن فعل المعاصي وبإيمانه بالمعاد يمزق حجاباً سميكاً يمنعه من الاقتراب من الله سبحانه وتعالى.

وقد نزلت الآية الكريمة ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾^(٣) في كفار قريش عندما كانوا يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن فإذا قام من الليل يصلي جاء أبو جهل والمشركون يستمعون قراءته، فإذا

(٥) الكافي ١/٤٦١ (من حديث للرسول 5).

(٦) سورة الإسراء، الآية : ١٠.

(١) سورة الإسراء، الآية : ٤٦.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم وضعوا أصابعهم في آذانهم وهربوا،
فإذا فرغ من ذلك جاءوا فاستمعوا.

قال : وكان أبو جهل يقول: إن ابن أبي كبشة ليردد اسم
ربه إنه ليحبه، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: صدق وإن كان
كذوباً، قال: فأنزل الله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى
أَنْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾^(١) . وهو بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢) .

لقد كان المشركون يهربون إذا ما سمعوا الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم يتلو القرآن خوفاً من أن يغير معتقدهم في
أصنامهم، ولهذا أسلم الكثير منهم بمجرد سماع كلامه ورؤيته
ومشاهدة نور وجهه ومنظره، وما ذاقوا من حلاوة لفظه وسرى
كلامه في آذانهم وملك قلوبهم وعقولهم حتى بذلوا المهج في
نصرته، وهذا من أعظم معجزات الرسول الكريم صلى الله عليه
وآله وسلم. إلا أن الذين لم يسلموا فلوجود تلك الأكنة التي جعلها
الله على قلوبهم، وعودتهم إلى شياطينهم كلما خلوا إلى أنفسهم.
تلك الشياطين التي جاءت تقاثل معهم في غزوة بدر.

جاء إبليس إلى قريش في صورة سراقه بن مالك فقال لهم:
أنا جاركم ادفعوا لي رايبتكم، فدفعوها إليه وجاء بشياطينه يهول بهم

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٤٦ .

(٣) مستدرک الوسائل ٤/١٨٥/٤٤٤٦ .

على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخيل إليهم ويفزعهم.

وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: **غضوا أبصاركم وعضوا على النواجذ، ولا تسلوا سيفاً حتى آذن لكم.**

ثم رفع يده إلى السماء وقال: **«يا رب إن تهلك هذه العصاة لم تعبد وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد»** ثم أصابه الغشي فسري عنه وهو يسלט العرق عن وجهه ويقول:

هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين... وقائل يقول: أقدم حيزوم أقدم حيزوم، وسمعنا قعقة السلاح من الجوى، ونظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع ورمى باللواء، فأخذ منية بن الحجاج بمجامع ثوبه ثم قال:

ويلك يا سراقاة تفت في أعضاد الناس، فركله إبليس ركلة في صدره، وقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله؛ وهو قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَءَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، ثم قال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ

(١) سورة الأنفال، الآية : ٤٨.

الْحَرِيقِ»^(١). قال وحمل جبرائيل على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر، وقال: رب أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين»^(٢).

وتظهر آثار تلك الحجب جلية في حالات الغضب والحسد وغيرها نظراً لحضور الشيطان في تلك اللحظات التي يمر بها الإنسان.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لما هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس فقال له: ما في الأرض رجل أعظم منةً عليّ منك، دعوت الله على هؤلاء الفساق فأرحمتني منهم ألا أعلمك خصلتين: إياك والحسد فهو الذي عمل بي، وإياك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل، وفي حديث آخر قال له: جزاء هذه المنة اذكرني في ثلاث مواطن فإني أقرب ما يكون إلى العبد إذا كان في إحداهن، اذكرني إذا غضبت واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خلياً ليس معكما أحد»^(٣).

ينبغي على المؤمن أن يعرف أن الشيطان لا يتمكن (بالوسوسة) من العبد إلا وقد أعرض عن ذكر الله تعالى واستهان وسكن إلى نهيه ونسي اطلاعه على سره، فالوسوسة

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٠.

(٣) تفسير القمي ١/٢٩٣-٢٩٤.

(١) قصص الأنبياء للجزائري ص ٨٧-٨٨.

ما تكون من خارج القلب بإشارة معرفة العقل ومجاورة الطبع،
وأما إذا تمكن في القلب فذلك غيٌّ وضلال وكفر، والله ﷻ دعا
عباده بلطف دعوته وعرفهم عداوة إبليس فقال تعالى: ﴿إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(١) فكن معه كالقريب مع كلب
الراعي يفرع إلى صاحبه من صرفه عنه كذلك إذا أتاك الشيطان
موسوساً ليضلك عن سبيل الحق وينسيك ذكر الله تعالى فاستعد
منه بربك وبربه فإنه يؤيد الحق على الباطل وينصر المظلوم
بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢) .

ولن يقدر على هذا ومعرفة إتيانه ومذاهب وسوسته إلا
بدوام المراقبة والاستقامة على بساط الخدمة وهيبة المطلع وكثرة
الذكر وأما المهمل لأوقاته فهو صيد الشيطان لا محالة، واعتبر
بما فعل بنفسه من الإغواء والاعتزاز والاستكبار حيث غره
وأعجبه عمله وعبادته وبصيرته وجراته عليه، قد أورثه علمه
ومعرفته واستدلاله بعقله اللعنة إلى الأبد، فما ظنك بنصحه
ودعوته غيره، فاعتصم بحبل الله الأوثق وهو الالتجاء إلى الله
تعالى والاضطرار بصحة الافتقار إلى الله في كل نفس ولا يغرنك

(٢) سورة فاطر، الآية : ٦ .

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٩ .

تزيينه للطاعة عليك فإنه يفتح عليك تسعة وتسعين باباً من
الخير ليظفر بك عند تمام المائة فقابله بالخلاف، وال ضد عن
سبيله والمضادة باستهوائه»^(١) .

(٢) مصباح الشريعة ص ٧٩-٨٠ (من حديث للإمام الصادق عليه السلام).

حقيقة الإنسان

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١) .

إن حقيقة الإنسان تتكون من جهتين:
أولاً : الجهة التقوية المعنوية .

ثانياً : الجهة العنصرية ونعني بها العناصر الداخلة في تركيب جسم الإنسان خلقاً بعد خلق إلى أن وصل إلى طور الإنسانية اللحمية الحيوية .

تخلق الإنسان:

لقد عملت في الإنسان أربع قوى أو ما يسمى بالعناصر الأربعة وهي :

١- قوة الهواء .

٢- قوة الماء .

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٤٠ .

٣- قوة النار .

٤- قوة التراب .

فبالقوة النارية يستطيع الإنسان أن يحرق الأطعمة، فلولا هذه القوة لما استطاع الإنسان أن يحرك القوة الهاضمة أو أن يقاوم ما هو موجود في جسمه، لأنه كما في بعض المسائل العلمية أن الإنسان من خلال طاقته الحركية التي يبذلها فإنه يبذل طاقة تعادل طاقة مصنع متكامل. فجهاز الدماغ مثلاً يبذل طاقة أقوى من طاقة نووية لمعمل نووي ضخم خلال تعامله مع جميع أجزاء الجسم.

أما قوة الهواء فهي القوة التي تتعامل مع الرئتين، وإذا ما فرشنا هاتين الرئتين فإنها ستغطي مساحة ١٦ كيلو متر مربع، هذه القوة التي تؤثر عليها عناصر الهواء، وتجعل من هذا الجسم فاعلاً ومزوداً للجسم بالطاقة الهوائية.

أما القوة الترابية فهي القوة الداخلة في تركيب جسم الإنسان من خلال المعادن الموجودة فيه مثل الكالسيوم والصوديوم والحديد واليوتاسيوم والفلور وغيرها.

وأما القوة المائية فتحتل من جسم الإنسان ما نسبته ٦٠%،
يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١).

إن الماء يدخل في تركيب كافة أجزاء الجسم الإنساني مما يجعله قابلاً للحركة، ولولا وجود هذه النسبة من الماء لكانت حركته محدودة تشبه تحرك الإنسان الآلي، ومن هنا أعطى الله ﷻ هذه الكيفية من الحركة لجسم الإنسان لكي يتلائم ومحيطه الخارجي.

كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه

روى محمد بن سنان قال: حدثني المفضل بن عمر قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكر فيما خص الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرفه وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته، فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه، فلما استقر به المجلس إذ رجل من أصحابه قد جاء، فجلس إليه، فتكلم ابن أبي العوجاء.

فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله.

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٣٠.

فقال له صاحبه: إنه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلت فيها الأحلام، وغاصت الأبواب على طلب علمها في بحار الفكر، فرجعت خاسئات وهي حسر، فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجا، فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت إليها دعوته، وعلتها كلمته، وظهرت فيها حجته براً وبحراً، سهلاً وجبلاً في كل يوم وليلة خمس مرات مردداً في الأذان والإقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره، ولئلا يخمل أمره.

فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد تحير فيه عقلي، وضل في أمره فكري، وحدثنا في ذكر الأصل الذي نمشي له. ثم ذكر ابتداء الأشياء وزعم أن ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع ولا مدبر، بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت الدنيا لم تنزل ولا تزال.

قال المفضل: فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت: يا عدو الله أحدثت في دين الله وأنكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم، وصورك في أتم صورة، ونقلك في أحوالك حتى بلغ إلى حيث انتهيت، فلو تفكرت في نفسك، وصدّقك لطيف

حسك لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة، وشواهده
جل وتقدس في خلقك واضحة، وبراهينه لك لائحة.

فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبتت لك
حجة تبغناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من
أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا ولا بمثل
دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما
أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا، وإنه الحليم الرزين العاقل
الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا،
ويصغي إلينا، ويتعرف حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننا
أننا قطعناه دحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير، يلزمنا به
الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من
أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما بلي
به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على
مولاي عليه السلام فرآني منكسراً.

فقال: مالك؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت
عليهم.

فقال: يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جلّ وعلا
وتقدس اسمه في خلق العالم، والسباع والبهائم والطيور والهوام،
وكل ذي روح من الأنعام، والنبات والشجر المثمر وغير ذات

التمر والحبوب والبقول، المأكول من ذلك وغير المأكول ما
يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحير فيه
الملحدون، فبكر عليّ غداً.

المجلس الأول :

قال المفضل: فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً، وطالت
عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به، فلما أصبحت غدوت
فأستؤذن لي، فدخلت وقمت بين يديه، فأمرني بالجلوس فجلست
ثم نهض إلى حجرة كان يخلو فيها ونهضت بنهوضه، فقال:
اتبعني، فتبعته فدخل ودخلت خلفه، فجلس وجلست بين يديه.
فقال: يا مفضل كأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً
لما وعدتك.

فقلت: أجل يا مولاي .

فقال: يا مفضل إن الله تعالى كان ولا شيء قبله وهو باقٍ
ولا نهاية له، فله الحمد على ما ألهمنا والشكر على ما منحنا،
فقد خصنا من العلوم بأعلاها، ومن المعالي بأسناها، واصطفانا
على جميع الخلق بعلمه، وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه.
فقلت: يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه، وكنت
أعددت معي ما أكتب فيه.

فقال لي: افعل يا مفضل^(١).

ما قاله عليه السلام في خلق الإنسان وتدبير الجنين في الرحم:

قال عليه السلام : نبأ يا مفضل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه الماء والنبات، فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه، واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقات الضياء، هاج الطلق بأمه، فأزعجه أشد إزعاج، وأعنفه حتى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها، وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمظ وحرك شفثيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثدي أمه كالإداوتين المعلقتين لحاجته، فلا يزال يتغذى باللبن ما دام رطب البدن، دقيق الأمعاء، لين الأعضاء حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من

(١) توحيد المفضل ٥ - ٩ .

الأسنان والأضراس، ليمضغ بها الطعام فيلين عليه، ويسهل له إساغته، فلا يزال كذلك حتى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه، فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذي يخرج به من جدة الصبا وشبه النساء.

وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجل لما فيه دوام النسل ويقاؤه.

اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة هل ترى مثله يمكن أن يكون بالإهمال، أفرايت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات إذا فقد الماء، ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه، ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الأرض؟ ولو لم يوافق اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يفتدي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه؟ ولو لم تطلع له الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته أو يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل؟ ثم كان يشغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد^(١).

(١) توحيد المفضل ١٢ - ١٤ .

وقال عليه السلام في منفعة الأطفال في البكاء:

اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة، واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة من زهاب البصر وغيره، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء، ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه، ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي، وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة، فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه. فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون، وكثيراً ما يقصر عنه على المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته.

فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم، فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه

عليهم لشغلهم ذلك من التماذي في معصيته، فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه تعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً^(١).

وقال الكلب في عملية الهضم وتكون الدم وجريانه في الشرايين والأوردة :

فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير، فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد في عروق دقاق واشجة بينهما، قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماء، وينفذه إلى البدن كله في مجاري مهياة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليترد في الأرض كلها، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفاض قد أعدت لذلك، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وأعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا

(١) توحيد المفضل ١٦ - ١٧ .

تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من أحسن التقدير
وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله ومستحقه^(١).

وقال عليه السلام في الصوت والكلام وتهيئة آلاته
في الإنسان وعمل كل منها :

أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في
الإنسان.

فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللسان والشففتان
والأسنان لصياغة الحروف والنغم، ألا ترى أن مَنْ سقطت
أسنانه لم يغم السنين، ومن سقطت شفته لم يصح الفاء، ومن
ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم،
فالحنجرة تشبه قصبه المزمار، والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه
لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت
كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار
والشففتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع
التي تختلف في فم المزمار، فتصوغ صغيره ألقاناً غير أنه وإن
كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف، فإن المزمار -
في الحقيقة - هو المشبه بمخرج الصوت^(٢).

(١) توحيد المفضل ١٩ - ٢٠ .

(٢) توحيد المفضل ٢٥ .

وقال عليه السلام في الدماغ وأغشيته والجمجمة وفائدتها :

ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيتَه قد أُلِفَ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة، كيما تقيه هدّ الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس، ثم قد جُلَّت الجمجمة بالشعر حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس، يستره من شدة الحر والبرد فمن حصَّن الدماغ هذا التحصين إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحياة والصيانة بعلو منزلته من البدن، وارتفاع درجته وخطير مرتبته^(١).

وقال عليه السلام في أفعال الإنسان في الطعام والنوم والجماع وشرح ذلك :

فكر يا مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعام والنوم والجماع وما دبر فيها، فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به.
فالجوع يقتضي الطعام الذي فيه راحة البدن وقوامه.
والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه.

(٢) توحيد المفضل ٢٧ .

والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه، ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطره إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه، فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت، وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتناقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه، ولو كان إنما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتى يقل النسل أو ينقطع، فإن من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به، فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه، محركاً من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه.

القوى الأربع

واعلم أن ما في الإنسان من القوى أربع :
قوة جاذبة ، تقبل الغذاء وتورده على المعدة.
وقوة ماسكة، تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها.

وقوة هاضمة، وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في
البدن.

وقوة دافعة تدفعه، وتحدر الثقل الفاضل بعد أخذ الهاضمة
حاجتها. ففكر في تقدير هذه القوى الأربع التي في البدن،
وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والأرب فيها وما في ذلك من
التدبير والحكمة، فلولا الجاذبة كيف كان يتحرك الإنسان لطلب
الغذاء الذي به قوام البدن ؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث
الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ؟ ولولا الهاضمة كيف
كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذي البدن، ويسد
خلله، ولولا الدافعة كيف كان الثقل الذي تخلفه الهاضمة يندفع
ويخرج أولاً فأولاً ؟

أفلا ترى كيف وكَّلَ الله سبحانه - بلطف صنعه وحسن
تقديره - هذه القوى بالبدن، والقيام بما فيه صلاحه، وسأمثل لك
في ذلك مثلاً : إن البدن بمنزلة دار الملك له فيها حشم وصبية
وقوام موكلون بالدار، فواحد لقضاء حوائج الحشم وإيرادها
عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخرنه إلى أن يعالج ويهياً، وآخر
لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من
الأقذار وإخراجه منها، فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك

العالمين، والدار هي البدن، والحشم هم الأعضاء، والقوم هم هذه القوى الأربع.

ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها - بعد الذي وصفت - فضلاً وترداداً، وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم، لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها^(١).

وقال الطبري في اختلاف صور الناس وتشابه الوحوش والطيور وغيرها من الحكمة في ذلك :

أعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر كما تتشابه الوحوش والطيور وغير ذلك، فإنك ترى السرب من الطباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الأخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلة في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا

(١) توحيد المفضل ٣٥-٣٧ .

بأعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته.

ألا ترى أن التشابه في الطير والوحوش لا يضرها شيئاً، وليس كذلك الإنسان فإنه ربما تشابه التوأم تشابهاً شديداً فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما حتى يعطي أحدهما بالآخر، ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلاً عن تشابه الصور، فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب إلا من وسعت رحمته كل شيء، ولو رأيت تمثال الإنسان مصوراً على حائط وقال لك قائل: إن هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع، أكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر في الإنسان الحي الناطق^(١).

وقال عليه السلام في أصحاب الطبائع ومناقشة أقوالهم :

فأما (أصحاب الطبائع) فقالوا: إن الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا عمّا فيه تمام الشيء في طبيعته، وزعموا أن

(١) توحيد المفضل ٤٦-٤٧ .

الحكمة تشهد بذلك فقليل لهم فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها، وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب ؟ فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقروا بما أنكروا لأن هذه في صفات الخالق، وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم.

وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء، وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق، وكان مما احتجوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف والعادة كإنسان يُولد ناقصاً أو زائداً إصبعاً أو يكون المولود مشوهاً مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلاً على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما أتفق أن يكون ؟

وقد كان (أرسطاطاليس) رد عليهم فقال: إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء يأتي في الفرط مرة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية على شكل واحد جرياً دائماً ومتتابعاً متتابعاً .

وأنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر من ذلك على مثال ومنهاج واحد كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس، فأما ما يولد على

خلاف ذلك فإنه لعلّة تكون في الرحم أو في المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنّعه فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء، فقد يحدث ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا، فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوهاً ويسلم أكثرها فيأتي سويّاً لا علة فيه، فكما أن الذي يحدث في بعض أعمال الأعرّاض لعلّة فيه لا يوجب عليها جميعاً الإهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض والاتفاق، فقول من قال في الأشياء إن كونها بالعرض والاتفاق من قبيل أن شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة بعرض يعرض له خطأً وخطئاً، فإن قالوا: ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء؟ قيل لهم ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطراب من الطبيعة ولا يمكن أن يكون سواء - كما قال القائلون - ، بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف وتزول أحياناً عن ذلك لأعراض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها وتمام عملها، تبارك الله أحسن الخالقين»^(١).

(١) توحيد المفضل ١٢٠ - ١٢٢ .

شبهة فلسفية في المعاد:

لقد نشأت عند الفلاسفة شبهة الآكل والمأكل في الفلسفة وهي: لو أن السمك أكل إنساناً وجاء إنسان آخر وأكل السمك الذي أكل الإنسان الأول هل يقدر المولى ﷻ أن يرجع المأكل ؟

لقد تحير الفلاسفة فقالوا: إن الإعادة ستكون بالروح فقط ولا تعود الأجسام، لأن الأجسام عناصرها قد اضمحلت ومات الإنسان وتفرقت أجزأؤه، ثم إن هذا الإنسان الذي تكون من جديد واستجد على بقايا إنسان آخر ونما وكبر كيف يستخرج منه الله ﷻ الأجزاء السابقة وكيف سيفصل منه كل إنسان موجود فيه ؟

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۗ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

وقال حفص بن غياث: كنت عند سيد الجعافرة جعفر بن محمد H لما أقدمه المنصور فأتاه ابن أبي العوجاء وكان ملحداً فقال له: ما تقول في هذه الآية ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ (٢) هب هذه الجلود عصت فعذبت فما ذنب الغير.

قال : أبو عبد الله ﷺ: ويحك هي هي وهي غيرها.

(١) سورة يس ، الآيتان : ٧٨-٧٩.

(٢) سورة النساء، الآية : ٥٦.

قال : أعقلني هذا القول ؟

فقال له: رأيت لو أن رجلاً عمد إلى لبنة فكسرها ثم صب عليها الماء وجبلها ثم ردها إلى هيئتها الأولى ألم تكن هي وهي غيرها ؟.

فقال : أمتع الله بك^(١) .

حقيقة الأبوة :

لقد سميت إنسانية الإنسان ليس لتركيبه من اللحم والعظم فقط وتولده من الأبوين ولكن هناك جانب أهم.

قال الشاعر :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤادُه

فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم^(٢)

وقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن هذين القسمين بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٣) يعني من حيث المادة العنصرية وأجزاؤها، ومن حيث الظاهر والتولد.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم من العناصر المقدسة ومن المعادن المميّزة ، ومن أشرف الأنساب وأطيب الأعراف، ولم يتولد من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحد رجالكم ، إلا أنه تولد بعد سلسلة من الآباء، وهو خاتم الأنبياء.

(١) بحار الأنوار ٧/٣٩/٧.

(٢) ديوان زهير ابن أبي سلمى قصيدته الميمية الشهيرة

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (١).

يقول الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فَإِنَّ هَذِهِ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قالت قريش: يعيرنا محمد يدعي بعضنا بعضاً وقد ادعى هو زيدا.

فقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني يومئذ قال: إنه ليس بأبي زيد، وقوله ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم» (٢).

إن العرب كانت تقول زيد بن محمد على عاداتهم في تبني العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنة الجاهلية وقال: إن محمداً ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم وذلك لا ينفي كونه أباً لأطفال لم يطلق عليهم لفظة الرجال كإبراهيم وحسن وحسين عليهم السلام (٣).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٣ / ١٢٥

(٣) بحار الأنوار ٤٣/٢٣٤.

أشكال الأبوة :

إن الآباء على أنواع، فهم تارة أبوان نورانيين، وتارة أبوان ظلمانيين، وتارة أخرى أبوان ظاهريان، وأبوان حقيقيان. كما أن لكل إنسان أبوان ظاهريان هما الأب والأم وأما الأبوان النورانيين فهما محمد وعلي.

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»^(١) وتعني الأبوة التقوية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم " أنا أب لكل تقي ". ولكن متى يكون الإنسان ابناً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ إنه عندما يتمثل بالتقوى ويكون مطيعاً لله ورسوله ويعترف بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام عليه.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا وعلي أبوا هذه الأمة ولحقنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادتهم فإنها تنقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار، ونلحقهم من العبودية بخيار الأحرار»^(٢).

(١) بحار الأنوار ٢٣/١٢٨ ح ٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٣/٢٥٩ ح ٨.

وتقول فاطمة الزهراء عليها السلام: «أبوا هذه الأمة محمد وعلي يقيمان أودهم - إعوجاجهم - وينقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما»^(١).

وقال الحسين بن علي H: «من عرف حق أبويه الأفضلين محمد وعلي وأطاعهما حق طاعته قيل له تبجح في أي الجنان شئت»^(٢).

(١) بحار الأنوار ٢٣/٢٥٩ ح ٨ .

(٢) بحار الأنوار ٢٣/٢٦٠ .

التربية السليمة والقوة التغييرية

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١).

إن الإنسان ومن خلال تحكّمه بنفسيته باستطاعته تغيير الكثير من الأشياء في هذا الوجود، وبالتالي تغيير مسار الحياة التي يعيشها إذا ما وضع لنفسه منهجاً حقيقياً واضحاً للتغيير، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

والتغيير ليس سنّة طارئة على الحياة، بل هو سنّة ثابتة فيها، إلا أن الناس بالنسبة إليه نوعان:

- نوع يتفاعل مع التغيير، ويفتح على متطلباته ويقبل ما هو جديد وصالح.
- ونوع يرفض أي تجديد، ويتجنب الدخول في أية تجربة قد تؤدي به إلى نتائج مغايرة لما درج عليه في حياته.

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

والتغيير الذي يبدأه الإنسان من نفسه، ويرضى به منهجاً واضحاً في الحياة هو التغيير الأكثر رسوخاً وتطوراً ما دام قد فتح بوابة النفس عليه، ولا يعني ذلك أن ينتج من انفتاح النفس على طريق التغيير نفس ضعيفة، بل إنَّ من مقومات التغيير في النفس أن تكون قوية تتحكم بمنافذها، فتغلقها ساعة هبوب رياح الظلم والفساد وتفتحها على مصراعيها ساعة تقترب منها نسمات الخير والصلاح.

النشأة الخاطئة :

إن استعداد الإنسان لقبول فكرة التغيير سلباً كان أو إيجاباً سينقل إلى طفله الذي لم يخلق بعد في بطن أمه، وليس كما يتصور البعض من أن التغيير فقط يتم من خلال زرع المفاهيم والقيم لدى الطفل بعد ولادته، خصوصاً بعد التقصير في فهم الكثير من الظواهر السلوكية والنفسية لدى الأطفال.

يقول علماء النفس : إن التربية تبدأ قبل الزواج وقبل تكون الجنين وليس من بعد الولادة، فالجنين في بطن أمه مخلوق يستوعب ما تستطيع احساساته وتكوينه البيولوجي أن تستوعبه من ضيق ومرض وخوف وجوع وعطش وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى تابع في ذلك إلى احساسات أمه كقطعة حساسة فيها. فإذا

كان التوجه مصحوباً بروح الاطمئنان والثقة أو بروح الخوف والشك انعكس ذلك على الجنين، وإذا ما كان التوجه نحو الفكر الشيطاني مثلاً مصحوباً بالغرور والتكبر والخيلاء انعكس ذلك على الجنين أيضاً أما الشعور بالخوف والتردد والوسوسة أو الشعور بالنقص والخنوع، فكل ذلك له تأثيره السلبي على الجنين، ومن الآباء من يتحكم بأخلاقية ومعادلات أبنائهم.

إن واجب الأبوين لا تقف عند رعاية الطفل وتربيته بعد ولادته بل يسبق ذلك الإعداد الاختيار السليم للزوجة فإن العرق دساس لكي يحصل تكوين النطفة الطيبة الطاهرة التي تحمل الروح القوية المطمئنة القادرة على التغيير نحو الخير والصلاح. وقد حفلت العديد من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بالتوصيات والتحذيرات التي يجب على الأبوين الأخذ بها قبل انعقاد نطفة الجنين في بطن أمه.

وكان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السلام :

« يا علي، لا تجامع امرأتك في أول الشهر ووسطه وآخره، فإن الجنون والجذام والخبل يُسرَع إليها وإلى ولدها.

يا علي، لا تجامع امرأتك بعد الظهر فإنه إن قضى بينكما ولدٌ في ذلك الوقت يكون أحول العين، والشيطان يفرح بالحوّل في الإنسان.

يا علي: لا تتكلم عند الجماع فإنه إن قضى بينكما ولد لا يؤمن أن يكون أخرس.

ولا ينظرن أحدكم إلى فرج امرأته وليغض بصره عند الجماع فإن النظر إلى الفرج يورث العمى في الولد.

يا علي: لا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك فإني أخشى إن قضى بينكما ولد يكون مُخنثاً مؤنثاً مُخبلاً.

يا علي: من كان جنباً في الفراش مع امرأته فلا يقرأ القرآن فإني أخشى أن ينزل عليهما نار من السماء فتحرقهما.

يا علي: لا تجامع امرأتك إلا ومعك خرقة ومع أهلِكَ خرقة ولا تمسحاً بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة فإن ذلك يعقب العداوة بينكما ثم يردكما إلى الفرقة والطلاق.

يا علي: ولا تجامع امرأتك من قيام فإن ذلك من فعل الحمير، وإن قضى بينكما ولد كان بوالاً في الفراش كالحمير البوالة في كل مكان.

يا علي: لا تجامع امرأتك في ليلة الفطر فإنه إن قضى بينكما ولد لم يكن ذلك الولد إلا كثير الشر.

يا علي: لا تجامع امرأتك في ليلة الأضحى فإنه إن قضى بينكما ولد يكون له ست أصابع أو أربع أصابع.

يا علي: لا تجامع امرأتك تحت شجرة مثمرة فإنه إن قضي بينكما ولد يكون جليداً قتالاً عريفاً .

يا علي: لا تجامع أهلك في وجه الشمس وتلألؤها إلا أن يُرخی ستر فيستركما فإنه إن قضي بينكما ولد لا يزال في بؤس وفقر حتى يموت.

يا علي: لا تجامع بين الأذان والإقامة فإنه إن قضي بينكما ولد يكون حريصاً على إهراق الدماء.

يا علي: إذا حملت امرأتك فلا تجامعها إلا وأنت على وضوء فإنه إن قضي بينكما ولد يكون أعمى القلب بخيل اليد.

يا علي: لا تجامع أهلك في النصف من شعبان فإنه إن قضي بينكما ولد يكون مشوماً ذا شامة في وجهه.

يا علي: لا تجامع أهلك في آخر درجة منه [من الشهر] إذا بقي منه يومان فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عشاراً أو عوناً للظالم ويكون هلاك فئام من الناس على يديه.

يا علي: لا تجامع أهلك على سقوف البنيان فإنه إن قضي بينكما ولد يكون منافقاً مرئياً مبتدعاً .

يا علي: إذا خرجت في سفر فلا تجامع أهلك في تلك الليلة فإنه إن قضي بينكما ولد ينفق ماله في غير حق، وقرأ رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (١).

يا علي: لا تجماع أهلك إذا خرجت إلى سفر مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عوناً لكل ظالم عليك.
يا علي: عليك بالجماع ليلة الاثنين فإنه إن قضي بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسم الله ﷻ له.

يا علي: إن جمعت أهلك في ليلة الثلاثاء فقضي بينكما ولد فإنه يرزق الشهادة بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا يعذبه الله مع المشركين ويكون طيب النكهة من الفم رحيم القلب سخي اليد ظاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان.

يا علي: وإن جمعت أهلك ليلة الخميس فقضي بينكما ولد فإنه يكون حاكماً من الحكام أو عالماً من العلماء، وإن جمعتها يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضي بينكما ولد فإن الشيطان لا يقربه حتى يشيب ويكون فهماً ويرزقه الله السلامة في الدين والدنيا.

يا علي: فإن جمعتها ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فإنه يكون خطيباً قوياً مفوهاً، وإن جمعتها يوم الجمعة بعد العصر فقضي بينكما ولد فإنه يكون معروفاً مشهوراً عالماً، وإن جمعتها في ليلة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

الجمعة بعد صلاة العشاء الآخرة فإنه يرجى أن يكون لكما ولد من الأبدال إن شاء الله.

يا علي: لا تجماع أهلك في أول ساعة من الليل فإنه إن قضى بينكما ولد لا يؤمن أن يكون ساحراً أو مؤثراً للدنيا على الآخرة.
يا علي: احفظ وصيتي هذه كما حفظتها عن جبرئيل»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تجماع في أول الشهر ولا وسطه ولا في آخره فإنه من فعل ذلك فليُسَلِّمْ لسقط الولد، فإن تمَّ أو شك أن يكون مجنوناً، ألا ترى أن المجنون أكثر ما يصرع في أول الشهر ووسطه وآخره»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى فإن فعل فخرج الولد مجنوناً فلا يلومنَّ إلا نفسه»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه: «إذا أُدخِلت عليك أهلك فخذ بناصيتها واستقبل بها القبلة وقل «اللهم بأمانتك أخذتها وبيكلماتك استحلت فرجها فإن قضيت منها ولداً فاجعله مباركاً سويّاً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً»^(٤).

(١) أمالي الصدوق ٦٦٣-٦٦٥ ح ٨٩٦ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤٠٣/٣/٤٤٠٨ .

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤٠٤/٣/٤٤١٢ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ٤٠٢/٣/٤٤٠٥ .

وقال **عليه السلام** أيضاً لرجل من أوليائه: «لا تجامع أهلك وأنت مختضب فإنك إن رزقت ولداً كان مختثاً» (١).

تربية أهل البيت عليهم السلام :

إذا ما أردنا لأولادنا التربية السليمة فلا بد من النظر إلى توجيهات أهل البيت عليهم السلام ونظرتهم فيما يخص التربية، فهم الثقل الأكبر الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جانب القرآن الكريم، ففي الحديث المروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال الإمام الباقر **عليه السلام** : «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بمنى فقال:

يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يرداً عليّ الحوض» (٢).

فهم عليهم السلام مع الكتاب ويعرفون مضامينه، ويشرحون غوامضه، ويبينون مجملاته، من أخذ بحجزتهم نجا، ومن تركهم تخلف وهوى. وهم كما يروي الإمام أمير المؤمنين علي **عليه السلام** عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

(٥) مكارم الأخلاق ٢٢٦

(١) بصائر الدرجات ٤٣٣ ح ٣.

«منزلة أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، تعلّموا من عالم أهل بيتي، ومن تعلم من عالم أهل بيتي نجا» (١) .

ومن هنا كان لا بد أن ندرس سيرتهم وأقوالهم لنتعرف على رأيهم في باب تربية الطفل.. علّنا ننجو ونبتعد عن الزيغ .

أهمية الولد الصالح :

إن الحياة ساحة اختبار وامتحان، وفيها يختبر الإنسان إرادته وتحمله على الامتثال. فيكون صلاحه في الدنيا عنوان نجاحه الأول في هذه المسيرة الممتدة طوال عمره، وحتى يموت، ولذلك تؤكد أحاديث أهل البيت عليهم السلام على ثمره الزواج باعتبارها عنوان الفلاح والسعادة الدنيوية والأخروية .

يقول الإمام الباقر عليه السلام : «إن من سعادة الرجل أن يكون له الولد يعرف فيه شبه خُلُقِهِ وخُلُقِهِ وشمائله، وإنّي لأعرف من ابني هذا شبهَ خُلُقِي وخُلُقِي وشمائي يعني أبا عبد الله عليه السلام» (٢) .
ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سعادة الرجل الولد الصالح» (٣) .

(٢) مستدرک الوسائل ١٧/٢٤٤ ح ٢١٢٣٩ .

(١) الكافي ١/٣٠٦/٣ .

(٢) الكافي ٦/٣/٦ .

فإذا ما نظر الإنسان إلى أولاده، وكانوا صلحاء تجملت حياته وغمره الشعور بالفرح والسعادة.

كما أن حساب الخلفة والميراث الحقيقي المعنوي إنما يكون بصلاح أولاده، فإن كانوا صلحاء اعتبر نفسه قد خلف وأنجب، وأن ذكره بعد موته سيكون بخير.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
واله وسلم :

«مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يُعذب صاحبه ثم مر به من قابل فإذا هو لا يعذب فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان يعذب، ومررت به العام فإذا هو ليس يُعذب؟ فأوحى إليه أنه أدرك له ولد صالح فاصلح طريقاً وآوى يتيماً فلهذا غفرت له بما فعل ابنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ميراث الله عز وجل من عبده المؤمن ولدٌ يعده من بعده» .

ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام آية زكريا عليه السلام ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۗ ۱﴾ (١)، (٢).

إن الولد الصالح - والولد هنا أعم من الذكر، بل يشمل الأنثى أيضاً - ذخيرة الإنسان المؤمن في حياته حيث الذكر الطيب والجميل بين الناس، وبعد مماته حيث المغفرة والرحمة من

(١) سورة مريم ، الآيتان : ٥-٦ .

(٢) الكافي ٦/٣-٤/١٢ .

الله ﷻ، وذلك لا يأتي إلا باهتمام الإنسان بتربية أولاده وسعيه إلى تنشئتهم وفق ما يرضي الله ورسوله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

ولكن كيف السبيل إلى ذلك، وكيف تتكامل صورة الولد

الصالح؟

إنَّ في أحاديث أهل البيت عليهم السلام الوسائل والطرق التي تساعدنا على التربية الصالحة، وتسهل التنشئة الطيبة للذرية، وعلى الوالدين أن يعملوا وفق هذه الطرق والوسائل ويسعيان باتجاه دعوة أبنائهم إلى البر.

أولاً : الدعاء

وهو أن يدعو الله ﷻ أن تكون ذريته صالحة ، قال الله تعالى :
﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾^(١)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما سألت ربي أولاداً نضر الوجه ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربي أولاداً مطيعين لله وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرت عيني»^(٢).

(٣) سورة التوبة، الآية : ١٠٥.

(١) سورة مريم الآيتان ٥ - ٦

(٢) بحار الأنوار ١٠١/٩٨/٦٦.

ثانياً : حب الأولاد

إن حب الأولاد وإظهار المودة لهم، يولد الاطمئنان الداخلي، والاستقرار النفسي عندهم، ويشعرهم بالحماية والأمان، ويولد العاطفة الجياشة التي يحتاجها الطفل، ليستعين بها في حياته، حيث تتحول تلك العاطفة إلى ثقة بالذات، وانسراح في النفس وإيمان بالآخرين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم»^(١).

وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عثمان بن مظعون، ومعه صبي له صغير يلثمه، فقال: ابنك هذا؟ قال: نعم .

قال: أتجبه يا عثمان؟

قال: إي يا رسول الله إني أحبّه؟

قال: أفلا أزيدك له حباً؟

قال: بلى فداك أبي وأمي .

قال: إنه من يرضي صبياً صغيراً من نسله حتى يرضى،

ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى»^(١).

(١) الكافي ٦/٤٩/٣.

وجاء في الأحاديث ما يؤكد أكثر من ذلك، حيث أمرت بالتصابي مع الأولاد الصغار، وإشعارهم بالأبوة من خلال اللعب معهم لإدخال السرور إلى قلوبهم.

قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان عنده صبي فليتصاب له»^(١).

وعن يعلى العامري قال: «إنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعام دُعي إليه فإذا هو بحسين عليه السلام يلعب مع الصبيان، فاستقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام القوم ثم بسط يديه فطفر الصبي هاهنا مرة وهاهنا مرة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه ووضع فاه على فيه وقَبَلَهُ»^(٢).

وعن ابن حماد عن أبيه: «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برك للحسن والحسين H فحملهما وخالف بين أيديهما وأرجلها وقال: نِعَمَ الجمل جملكما»^(٣).

على أن الحب يجب أن يكون متساوياً بين الأولاد - مع تعددهم - حتى لا يخدش مشاعر بعضهم، ويثير الضغينة والحسد في قلبه.

(١) وسائل الشيعة ٢١/٤٨٦/٢٧٦٥٩.

(٢) مستدرک الوسائل ١٥/١٧١/١٧٨٩٩.

(٣) مستدرک الوسائل ١٥/١٧١/١٧٩٠٠.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «قال والدي عليه السلام: والله إني لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي، وأكثر له المحبة وأكثر له الشكر، وإن الحق لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره، لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف وإخوته»^(١).

إن الطفل يحكم على ما يرى أمامه دون حساب للخفيات التي أدت إلى تكريم هذا أو الثناء على ذلك. وهو يريد أن يكون مثلهم، يحظى بالرعاية، ويشعر بوجوده وكيانه بين إخوته.

ثالثاً : المساواة في العطاء

إن تفضيل أحد الأولاد في العطاء على سائر إخوته من شأنه أن يثير تحسسهم وأن يغضبهم من الأب والابن الذي فضل عليهم .

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نظر إلى رجل له ابنان فقبل أحدهما وترك الآخر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فهلا ساويت بينهما»^(٢).

(١) تفسير العياشي ١٧٧/٢ ح ٢

(٢) مكارم الأخلاق ٤٧٣/١ ح ١٦٢٣ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اعدلوا بين أولادكم في السر كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر والالطف»^(١) .

إن العدل بين الأولاد من شأنه أن يقوم العواطف ويصفي القلوب، ويمحو آثار الغل ويزيل الإحساس بالترفع عند الأولاد تجاه بعضهم البعض.

وفي هذا السياق أيضاً يجب أن لا تكون مفاضلة أو تفریق بين الذكور والإناث، فالولد منحة ربانية ذكراً كان أو أنثى، والامتعاض من الأنثى، أو تفضيل الذكر عليها صفة جاهلية.

عن الصادق عليه السلام قال: «إن الله ﷻ ليرحم الرجل لشدة حبه لولده»^(٢).

وقال له عمر بن يزيد: إن لي بنات.

فقال له: لعلك تتمنى موتهن، أما إنك لو تمنيت موتهن ومتمن لم تؤجر يوم القيامة ولقيت ربك حين تلقاه وأنت عاص»^(٣) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: « البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يُثاب عليها والنعمة يسأل عنها »^(٤) .

(٣) مكارم الأخلاق ١/٤٧٣ ح ١٦٢٤ .

(١) مكارم الأخلاق ، ١/٤٧٢ ح ١٦١٧ .

(٢) مكارم الأخلاق ١/٤٧٢ ح ١٦١٨ .

(٣) مكارم الأخلاق ١/٤٧١ ح ١٦١١ .

وبشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنة فنظرَ في وجوه أصحابه فرأى الكراهية فيهم، فقال: «مالكم ريحانة أشمها ورزقها على الله»^(١).

نعم يزداد شعور الوالد بالمسؤولية تجاه ابنته تعليماً وسترًا وحفظاً، وهذا أمر طبيعي، ما دامت إرادة الله قد اختارت ذلك للإنسان.

وكما أنه لا إرادة للإنسان في وجود البنت فكذلك لا إرادة له في وجود الولد، حسب الاختيار الظاهري وإن كان الاختيار الأول يشير إلى الاختيار حقيقة فليس من الحكمة والشعور الصحيح تجاه الولد عند الحرمان من البنت بالنقيصة ف «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ»^(٢). بل لو حُرِمَ الإنسان من الولد أساساً فليس هناك غير التسليم لأمر الله، وعدم تحميل أحد الزوجين المسؤولية في ذلك.

وهكذا ينمو الحب في قلوب الأبناء جميعاً، وهي البذرة الأولى لتربيتهم وفق المنهج السليم الذي رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام.

وقد رسم لنا الإمام زين العابدين عليه السلام بكلمات موجزة الطريق الصحيح لتربية أبنائنا فقال في رسالة الحقوق: «وأما حق ولدك فإن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأنتك

(٤) مكارم الأخلاق ١/٤٧١ ح ١٦١٢ .

(١) سورة آل عمران، الآية : ٦ .

مسؤول عما وليته حسن الأدب والدلالة على ربه ﷻ والمعونة على طاعته فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه»^(١).

إن وجود أبناء صالحين في المجتمع الإسلامي يفتنون بسيرة أهل البيت عليهم السلام سيجعل من عملية التغيير التي ينشدها الإنسان سهلة، ويجعل الطريق سالكاً نحو التقدم في كافة مجالات الحياة.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢/٦٢٢/٣٢١٤.

الفصل الثاني

الصفات الطيبة في حياة الإنسان

- ❖ العلم والتقوى .
- ❖ التوجه والإقبال .
- ❖ التربية الصالحة .
- ❖ خضوع النفس .
- ❖ الاعتراف بالذنب .
- ❖ قضاء الحاجات .
- ❖ الإنصاف .
- ❖ أداء الأمانة .

العلم والتقوى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ الْعِلْمَ ذُو فَضَائِلٍ كَثِيرَةٍ، فَرَأْسَهُ التَّوَاضُعُ، وَعَيْنُهُ الْبِرَاءَةُ مِنَ الْحَسَدِ، وَأُذُنُهُ الْفَهْمُ، وَلِسَانُهُ الصِّدْقُ، وَحَفْظُهُ الْفَحْصُ، وَقَلْبُهُ حَسَنُ النِّيَّةِ، وَعَقْلُهُ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ وَالْأُمُورِ، وَيَدُهُ الرَّحْمَةُ، وَرِجْلُهُ زِيَارَةُ الْعُلَمَاءِ، وَهَمَّتُهُ السَّلَامَةُ، وَحِكْمَتُهُ الْوَرَعُ، وَمَسْتَقَرُّهُ النِّجَاةُ، وَقَائِدُهُ الْعَافِيَةُ، وَمَرْكَبُهُ الْوَفَاءُ، وَسِلَاحُهُ لِينُ الْكَلِمَةِ، وَسَيْفُهُ الرِّضَا، وَقَوْسُهُ الْمَدَارَةُ، وَجَيْشُهُ مَحَاوِرَةُ الْعُلَمَاءِ، وَمَالُهُ الْأَدَبُ، وَذَخِيرَتُهُ اجْتِنَابُ الذُّنُوبِ، وَزَادَهُ الْمَعْرُوفُ، وَمَاؤُهُ الْمَوَادِعَةُ، وَدَلِيلُهُ الْهُدَى، وَرَفِيقُهُ مَحَبَّةُ الْأَخْيَارِ»^(٣).

العلم هو واجهة تقدم الحضارة وبه تحيي شعوب الأرض وتستمد منه قوتها وقدرتها على مواجهة أعدائها الذين يريدون

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣

(٣) الكافي ١/٤٨/٢ .

للبشرية أن تعيش في عالم من الجهل والتخلف، مستخدمين في ذلك كل أساليب القهر والإذلال، لأن العلم قوي بأصحابه الذين حملهم الله سبحانه وتعالى تلك الأمانة - أمانة العلم - وتلك حقيقة ستبقى ثابتة في أذهان الناس.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم، ترغب الملائكة في خلتهم يمسخونهم بأجنحتهم في صلاتهم.

لأن العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف، وينزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالس الأخيار في الدنيا والآخرة.

بالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام.

والعلم إمام العقل، والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء»^(١).

إلا أن السؤال الذي يضعنا العقل أمامه هو: لماذا تلازم ذكر العلماء في القرآن الكريم مع خشية وذكر العلم مع التقوى؟

(١) بحار الأنوار ١/١٦٦/٧.

والجواب: إن من علامات المعرفة بالله شدة الخوف منه والهيبة له، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، وذلك لمشاهدتهم له في قلوبهم، ومعرفتهم أنه تعالى مشاهد لهم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٢)، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه، ازدادت مخافته منه ومهابته له، وكذلك أعرف أعوان السلطان به أهيبهم له وأخوفهم منه، ومثل ذلك مثل رجلين دخلا داراً عرف أحدهما أن الملك واقف على بابها يشرف عليه فأحسن أدبه، ولم يحدث أمراً مستكراً، والآخر لم يعرف إشرافه فأساء أدبه، وفعل ما لا يليق أن يفعل بحضرة الملك، وكذا العارف بالله فإنه يشاهده في كل حالاته إظهاره وأسراره فهو معه متأدب ومنه خائف وله مراقب، والجاهل بالله خارج عن هذه الحالة راكب للجهالة، ولهذا تقول: إن كان العاصي يعتقد حين يواقع المعصية أن الله تعالى يراه، فإنه جاهل حيث جعله أهون الناظرين، وإن كان يعتقد أنه لا يراه فإنه كافر، فكل الأمرين خطر عظيم وإثم جسيم.

ومما لا شك فيه أن المعرفة توجب الخوف والحياء، ومن علامات العارف أن يكون خاطره فارغاً من عُلق الدنيا ومهامها، مشغولاً بأخطار الآخرة وأهوالها.

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الحديد، الآية : ٤ .

كما أن العارف لا يأسف على شيء إلا على ما فات من ذكر الله، فإنه أبداً لا يرى إلا الله فلا يأسف على شيء مع الله، لأنه يرى ما سوى الله بعين الفناء والزوال، فكيف ينظر إلى شيء فإن زائل كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١).

والعارف لا يخرج من الدنيا متأسفاً إلا على قلة بكائه على ذنبه وتقصيره في ثنائه على ربه، ولكل شيء ثمرة، وثمره المعرفة الهيبة والمخافة والأنس، ولكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف فتوره عن الذكر، وغفلته عن الفكر، ومن علامات المعرفة شدة المحبة لله، وإذا اشتدت محبة العارف بالله كان له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً^(٢)، ومن كان الله له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً فهو القوي أبداً لا يخاف إلا الله .

ومما جاء في الخشية في القرآن الكريم فكثير مثل قوله تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وقال: ﴿فَأَيُّيَ فَاذْهَبُونَ﴾^(٤)، وقال في مدح قوم يخافون ربهم من فوقهم: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٢) إرشاد القلوب ١/١٦٩ - ١٧٠ (بتصرف) .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥١.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

الهُوَى ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾^(١)، وقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٢).

والخشية ثمرة العلم، ولا علم لمن لا خشية له، والخشية سراج النفس به تهتدي من ظلمتها، وليس الخائف من يبكي ويمسح دموعه، إنما ذلك خوف كاذب، وإنما الخائف من يترك الأمر الذي يعذب عليه ولو خاف الرجل النار كما يخاف الفقر لأمن منها، وإن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم وراءه، ويستقبل باب الجنة، ولا يسكن الخوف اليوم إلا قلب من يأمن غداً^(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وباب ذلك كله ملازمة الخلوة بمداومة الفكر، وسبب الخلوة القناعة وترك الفضول من المعاش، وسبب الفكر الفراغ، وعماد الفراغ الزهد، وتمام الزهد التقوى، وباب التقوى الخشية، والخشية دليل التعظيم لله تعالى والتمسك بخالص الطاعة في أوامره والخوف والحذر مع الوقوف عن محارمه ودليلها العلم، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٤)»^(٥).

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠-٤١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) إرشاد القلوب ١/١٠٦ - ١٠٧. (بتصرف).

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٥) مصباح الشريعة، ص ٢٣.

وكما وصف الله تعالى العلماء بالخشية فقد وصفهم بإحياء الليل والقيام ومواصلة الركوع والسجود والخوف والرجاء كما قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «بالصالحات يستدل على الإيمان، وبالإيمان يعمر العلم، وبالعلم يرهب الموت، وبالموت تختتم الدنيا، وبالدنيا تحرز الآخرة» (٢).

من عرف الله خافه

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان فمن عرف الله خافه وحثه الخوف على العمل بطاعة الله، وإن أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾» (٣) (٤).

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض هم الخلق المفضلون ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا

(١) سورة الزمر، الآية : ٩ .

(٢) أعلام الدين، ص ١٠٤ .

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨ .

(٤) الكافي ٢/١٦/٨ .

وَقَعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾،
والفرق شاسع بين من يعبد الله عن جهل ومن يعبده عن علم
ومعرفة.

عن يعقوب بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن
قول الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢).
قال: خلقهم للعبادة (٣).

عن الديلمي عن أبيه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام فلان
من عبادته وفضله ودينه كذا وكذا.

فقال: كيف عقله ؟

قلت : لا أدري .

فقال: إن الثواب على قدر العقل، إن رجلاً من بني إسرائيل
كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر، خضراء نظرة كثيرة
الشجر ظاهرة الماء، وإن ملكاً من الملائكة مر به فقال: يا رب
أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله ذلك فاستقله الملك فأوحى الله
إليه: أن اصحبه.

فأتاه الملك في صورة إنسيّ فقال له: من أنت ؟

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩١ .

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ .

(٣) تفسير العياشي ٢/١٧٤ ح ٨٣ .

فقال: أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان
فأتيتك لأعبد الله معك، فكان معه يوم ذلك، فلما أصبح قال له
الملك: إن مكانك لنزه ولا يصلح إلا للعبادة.
فقال العابد: إن لمكاننا هذا عيباً !!
قال: وما هو ؟

قال: ليس لدينا بهيمة، فلو كان له حمار عيناه في هذا
الموضع فإن هذا الحشيش يضيع.
فقال له الملك: وما لربك حمار ؟

فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش.
فأوحى الله إلى ذلك الملك: إنما أتيتك على قدر عقله»^(١) .
وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: قال:
«بينما أنا جالس في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ
دخل أبو ذر فقال: يا رسول الله جنازة العابد أحب إليك أم مجلس
العلم ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا ذر الجلوس
ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من ألف جنازة من جناز
الشهداء، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قيام
ألف ليلة يصلي في كل ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة
العلم أحب إلى الله من ألف غزوة وقراءة القرآن كله.

(١) قصص الأنبياء للجزائري، ص ٥٢٩.

قال: يا رسول الله مذاكرة العلم خير من قراءة القرآن كله ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا ذر
الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إليّ من قراءة القرآن كله اثني
عشر ألف مرة، عليكم بمذاكرة العلم، فإن بالعلم تعرفون الحلال من
الحرام، ومن خرج من بيته ليلتمس باباً من العلم كتب الله ﷻ له
بكل قدم ثواب نبي من الأنبياء، وأعطاه الله بكل حرف يسمع أو
يكتب مدينة في الجنة، وطالب العلم أحبه الله وأحبه الملائكة وأحبه
النبيون ولا يحب العلم إلا السعيد، وطوبى لطالب العلم يوم القيامة.
يا أبا ذر: والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة
سنة صيام نهارها وقيام ليلها، والنظر إلى وجه العالم خير لك من
عتق ألف رقبة، ومن خرج من بيته ليلتمس باباً من العلم كتب الله
له بكل قدم ثواب ألف شهيد من شهداء بدر، وطالب العلم حبيب
الله، ومن أحب العلم وجبت له الجنة ويصبح ويمسي في رضى الله،
ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من ثمرة الجنة،
ولا يأكل الدود جسده، ويكون في الجنة رفيق الخضر عليه السلام، وهذا
كله تحت هذه الآية قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١) «^(٢)».

(١) سورة المجادلة، الآية : ١١ .

(٢) جامع الأخبار ، ص ١٠٩ - ١١٠ ح ١٩٥ .

أول الدين معرفته تعالى

إذا ما أراد الإنسان أن يعبد الله سبحانه وتعالى فلا بد من معرفته، وإلا كيف يعبده أو كيف يشكره؟
يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أول الدين معرفته،
وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيدُهُ ،
وكمال توحيدِهِ الإخلاصُ لَهُ»^(١) .

وقال قوم للصادق عليه السلام: «ندعو الله فلا يستجاب لنا؟!
قال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه»^(٢) .

الخوف يهدي

عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «إن رجلاً ركب البحر بأهله فكسرت السفينة بهم فلم ينج مما كان في السفينة إلا امرأة الرجل، فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى التجأت إلى جزيرة من جزائر البحر، فكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها، فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه فرفع رأسه إليها.

فقال: إنسية أم جنية؟

(١) نهج البلاغة ٣٩ .

(٢) التوحيد ٢٨٩ ح ٧ .

فَقَالَتْ: إنْسِيَّة. فَلَمْ يَكْلِمْهَا بِكَلِمَةٍ حَتَّى جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ
الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمَّا أَنْ هُمْ بِهَا اضْطَرَبَتْ.

فَقَالَ لَهَا: مَا لَكَ تَضْطَرِبِينَ؟

فَقَالَتْ: أَخَافُ مِنْ هَذَا. وَأَوْمَأَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ: فَصَنَعْتَ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟

قَالَتْ: لَا، وَعَزَّتْهُ.

قَالَ: فَأَنْتِ تَخَافِينَ مِنْهُ هَذَا الْخَوْفَ وَلَمْ تَصْنَعِي شَيْئًا
وَاسْتَكْرَهْتِكِ اسْتِكْرَاهًا، فَأَنَا وَاللَّهِ أَوْلَى بِهَذَا الْخَوْفِ وَأَحَقُّ مِنْكَ، فَقَامَ
وَلَمْ يَحْدِثْ شَيْئًا وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَيْسَ لَهُ هِمَةٌ إِلَّا التَّوْبَةُ وَالْمَرَاجَعَةُ.
فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي إِذْ صَادَفَهُ رَاهِبٌ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ فَحَمَيْتِ
عَلَيْهِمَا الشَّمْسَ.

فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلشَّابِّ: ادْعِ اللَّهَ يَظْلُنَا بِغَمَامَةٍ، فَقَدْ حَمَيْتِ عَلَيْنَا
الشَّمْسَ.

فَقَالَ الشَّابُّ: مَا أَعْلَمُ أَنْ لِي عِنْدَ رَبِّي حَسَنَةٌ فَأَتَجَاسَرُ عَلَى أَنْ
أَسْأَلَهُ شَيْئًا.

قَالَ: فَادْعُو أَنَا وَتَوَمَّنْ أَنْتِ.

قَالَ: نَعَمْ.

فَأَقْبَلَ الرَّاهِبُ يَدْعُو وَالشَّابُّ يَوَمِّنُ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ
أَظْلَمَتْهُمَا غَمَامَةٌ فَمَشَى تَحْتَهَا مَلِيًّا مِنَ النَّهَارِ، ثُمَّ انْفَرَجَتِ الْجَادَةُ

جادتين فأخذ الشاب في واحدة، وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحاب مع الشاب.

- فقال الراهب: أنت خير مني لك استجيب، ولم يستجب لي فخبّرني ما قصتك؟، فأخبره بخبر المرأة .

فقال: غفر الله لك ما مضى حيث دخلك الخوف فانظر كيف تكون فيما يستقبل»^(١) .

إن شرط الخشية معرفة الله والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان به أعلم كان أشد خشية وخوفاً ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أخشاكم لله وأتقاكم»^(٢) .

عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣) .

قال : يعني به علياً عليه السلام كان عالماً بالله ويخشى الله ويراقبه ويعمل بفرائضه ويجاهد في سبيله، ويتبع جميع أمره برضائه ومرضاة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم^(٤) .

إن الخشية ميراث العلم وميزانه والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وإن شق الشعر بمتشابهات العلم قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)،^(٢) .

(١) قصص الأنبياء للجزائري، ص ٥٢٩-٥٣٠.

(٢) بحار الأنوار ٦٧/٣٤٤.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) تأويل الآيات، ص ٤٧٠.

إنما السلامة غداً للخائفين المشفقين الوجليين دل على ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٣) وبقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(٤)، وبقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۖ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾^(٥)، ومدح سبحانه قوماً بقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(٦) وبقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾^(٧) يريد به أنعم بالخوف، وقال سبحانه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٨)، وكفى بهذه الآية على شرف العلم لا سيما على التوحيد ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٩)، وكفى بهذه الآية شرف على

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) مصباح الشريعة، ص ٢٠ (عن الإمام الصادق عليه السلام).

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

(٥) سورة الطور، الآيتان: ٢٥-٢٧.

(٦) سورة الإنسان، الآية: ٧.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٨) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠-٤١.

(٩) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) فحق على العبد أن لا يشتغل إلا بها ولا يتعب إلا لها ولا ينظر إلا فيها وما سواها باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له.

(٢) سورة الذاريات، الآية : ٥٦.

التوجه والإقبال

هناك فرق كبير بين معنى قول الإنسان: إني أستقبل القبلة، وبين معنى قوله: إني أتوجه إلى الله، فالأول متوجه باتجاه القبلة والكعبة بمقادم جسمه وبدنه، والثاني متوجه إلى الله سبحانه بخشوع القلب وخضوع الباطن والروح، وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»^(١)، فيطبق الخاشع في صلاته هذه المقولة ويعكسها على عبادته فتراه يزهد في الدنيا وشؤونها ساعة صلاته ليفرغ قلبه لإصلاح آخرته باستحضار معاني صلاته وخصوصيات ذكره وعبادته.

ولقد كان الإمام علي بن الحسين H إذا حضر للوضوء اصفرَّ لونه فيقال له: ما هذا الذي يعتورك عند الوضوء ؟
فيقول: ما تدرون بين يدي من أقوم ؟^(٢).
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل^(٣) .

(١) الكافي ٥/١٢٩/٢.

(٢) مستدرک الوسائل ١/٣٥٥/٨٣٤.

(٣) المحجة البيضاء ٧/٣٠٥، والشمائل النبوية ص ٣٩٤ (باب ما جاء في بكاء رسول الله 5).

إن الحضور والخشوع والخشية عمدة ما يقصد به من الصلاة، وقد تضافرت الأخبار والروايات على الترغيب عليها وفضيلتها ومدح أهلها وعلى ذم الغفلة والتفكر في أمور الدنيا والوساوس الباطلة عند الاشتغال بالصلاة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى ركعتين، لم يُحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا، غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما فرضت الصلاة، وأمر بالحج والطواف، وأشعرت المناسك، لإقامة ذكر الله، فإن لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك؟!»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى: إنما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعاطم على خلقي، ويطعم الجائع،

(١) جامع السعادات ٣/٣٢٧.

(٢) جامع السعادات ٣/٣٢٧.

(٣) جامع السعادات ٣/٣٢٧.

ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره، مثل الشمس، اجعل له في الظلمات نوراً، وفي الجهالة علماً، أكلاه بعزتي، واستحفظه بملائكتي، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، فمثل ذلك عندي كممثل جنات الفردوس، لا تيبس ثمارها، ولا تتغير عن حالها»^(١) .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «لا تجتمع الرغبة والرغبة في قلب إلا وجبت له الجنة، فإذا صليت، فأقبل بقلبك على الله ﷻ فإنه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله ﷻ في صلاته ودعائه، إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين، وأيده مع مودتهم إياه بالجنة»^(٢) .

ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام «إذا أخذ الوضوء، يتغير وجهه من خيفة الله»^(٣) ، وكان عليه السلام «إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون. فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين ؟

فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان»^(٤) .

(١) جامع السعادات ٣/٣٢٧ .

(٢) جامع السعادات ٣/٣٢٨ .

(٣) جامع السعادات ٣/٣٢٨ .

(٤) جامع السعادات ٣/٣٢٨ .

وروي : «أنه وقع نصل في رجله عليه السلام فلم يمكن أحداً من إخراجِه.

فقالَت فاطمة عليها السلام: أخرجوه في حال صلاته، فإنه لا يحس حينئذٍ بما يجري عليه، فأخرج وهو في صلاته، فلم يحس به أصلاً»^(١).

وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تتهج^(٢) في الصلاة من خيفة الله^(٣).

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن حالة لحقته في الصلاة حتى خرَّ مغشياً عليه، فقال: «ما زلت أكرر آيات القرآن، حتى بلغت إلى حال كأنني سمعتها مشافهةً ممن أنزلها»^(٤).

قيل: وكان لسان الإمام عليه السلام في تلك الحال كشجرة طور سيناء حين قالت: «إني أنا الله»^(٥).

وسأله بعض الأكابر عن صلاته، فقال: «إذا جاءت الصلاة، أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى الصلاة، فأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن

(١) جامع السعادات ٣/٣٢٨.

(٢) النهج - بالتحريك - : اتباع النفس واللهاث .

(٣) جامع السعادات ٣/٣٢٩.

(٤) جامع السعادات ٣/٣٢٩.

(٥) جامع السعادات ٣/٣٢٩.

شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحنن، وأقرأ القرآن بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، وأقعد على الورك اليسرى، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا ؟ « (١).

إذا ما صب الإنسان الماء على يديه ووجهه حال الوضوء فإنه يتذكر رحمة الله النازلة عليه، وإذا ما توجه إلى مكان الصلاة، يناديه الله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (٢)، وذلك الوادي المقدس هو مقام المناجاة، أي أن الإنسان في حال صلاته يتحدث مع الله فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ (٣)، أي اخلع نفسك ولا تدخلها معك وأنت في مقام مقدس، وذلك أن النفس مصدر الوباء، أو كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (٤).

فإذا ما أراد الإنسان الدخول إلى المسجد فليستشعر أنه ليس في الدنيا وانقل إلى عالم آخر، أمت نفسك إن أردت حياتها. إن الظاهر من قوله تعالى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ (٥)، هو النعل، ورُوي أنه أمر بخلعهما لأنهما كانتا من جلد حمار ميت وهذا غير

(١) جامع السعادات ٣/٣٢٩-٣٣٠.

(٢) سورة طه ، الآية : ١٢ .

(٣) سورة طه ، الآية : ١٢ .

(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٣ .

(٥) سورة طه ، الآية : ١٢ .

صحيح وقد حققنا هذه المسألة في كتاب إيمان الفطرة و يقين البرهان في قصة نبي الله موسى عليه السلام .

وروي في قوله تعالى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾^(١) أي خوفيك، خوفك من ضياع أهلك، وخوفك من فرعون^(٢).

وسئل الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن أمر الله لنبيه موسى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾^(٣) -وقيل له- : إن فقهاء الفريقين يزعمون أنها كانت من إهاب الميتة.

فقال: من قال ذلك لقد افترى على موسى واستجهله في نبوته لأنه ما خلا الأمر فيها من خصلتين:

إما أن تكون صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت صلاة موسى جائزة كان لموسى أن يكون لابسهما في البقعة إذ لم تكن مقدسة، وإذا كانت مقدسة مطهرة فليست بأطهر وأقدس من الصلاة.

وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أن موسى لم يعرف الحلال والحرام وعلم ما جاز فيه الصلاة وما لا يجوز وهذا كفر.

قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن التأويل فيها ؟

(١) سورة طه ، الآية : ١٢ .

(٢) سورة طه ، الآية : ١٢ .

(٣) سورة طه ، الآية : ١٢ .

فقال: إن موسى ناجى ربه بالوادي المقدس، فقال: يا رب
إني قد أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عن سواك، وكان
شديد الحب لأهله.

فقال الله: اخلع نعليك، أي انزع حب أهلك من قلبك إن
كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى سواي مشغول^(١).

التوجه الحقيقي

لقد كانت الجغرافيا محط اهتمام القرآن الكريم في قوله
تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِن
الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ»^(٢)، فالقرآن هنا يخاطب العالم بأجمعه، ولم
يخاطب القسم الشرقي دون القسم الغربي.

كما تجلت في هذه الآية حقيقة التوجه في الصلاة، فليس
الصلاة قيام وقعود وركوع وسجود فقط، وليس التوجه أن تولي
وجهك باتجاه الكعبة، بل هو التوجه بنفس توجه وليد الكعبة، لأن
الكعبة ما هي إلا أحجار.

(١) دلائل الإمامة، ص ٢٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٧٧.

وقد يسأل البعض ما الفرق بين حج الكفار وحج المسلمين؟
وما الفرق بين أن يقبل الإنسان صنماً وبين أن يقبل الحجر
الأسود؟

إن الفرق بين الحجر الأسود وبين الصنم إنما هو في
العلاقة التي تربط الإنسان بالحجر الأسود، فهنا العلاقة غيبية مع
الله سبحانه وتعالى لا تنتهي بفقدان الصنم أو أكله كما كان يفعله
المشركون من قريش حين كانوا يصنعون أصنامهم من تمر.
لقد نصب الحجر الأسود في زمن القرامطة بعد أن خربوا
الكعبة ونقلوه إلى مسجد الكوفة ثم رده إلى موضعه ونصبه القائم
عليه السلام بحيث لم يعرفه الناس.

بناء الكعبة

عن أبي خديجة قال: «إن الله ﷻ أنزل الحجر الأسود من الجنة، وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقي أسه إلى أن قال: فأمر الله ﷻ إبراهيم وإسماعيل H بينان البيت على القواعد»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: «إن الله ﷻ أوحى إلى جبرئيل أن اهبط على آدم وحواء فحكما عن مواضع قواعد بيتي وارفع قواعد بيتي لملائكتي - إلى أن قال: - فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا وحجر من المروة، وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو ظهر الكوفة.

وأوحى الله إلى جبرائيل أن ابنه وأتمه فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله تعالى من مواضعهن بجناحه، فوضعها حيث أمر الله ﷻ في أركان البيت على قواعد التي قدرها الله الجبار ونصب أعلامها، ثم أوحى الله ﷻ إلى جبرئيل عليه السلام أن ابنه وأتمه بحجارة من أبي قبيس واجعل له بابين، باباً شرقياً، وباباً غربياً، قال: فأتمه جبرئيل عليه السلام فلما أن فرغ طافت حوله الملائكة، فلما نظر آدم وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان^(٢).

(١) وسائل الشيعة، ١٣/٢٠٩/١٧٥٨٠.

(٢) وسائل الشيعة ١٣/٢٠٩-٢١٠/١٧٥٨١.

وعندما هدمت قريش في الجاهلية البيت وأرادوا بناءه حيل
بينه وبينهم وألقي في روعهم الرعب حتى قال قائل منهم: ليات كل
رجل منكم بأطيب ماله ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم أو
حرام ففعلوا، فخلي بينهم وبين بنيانه فبنوه حتى انتهوا إلى موضع
الحجر الأسود فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر في موضعه حتى كاد
أن يكون بينهم شر فحكّموا أول من يدخل من باب المسجد. فدخل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلما أتاها أمر بثوب فبسط
ثم وضع الحجر في وسطه ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه،
ثم تناوله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه في موضعه فخصه
الله ﷻ به (١) .

وروي أن الحجاج لما فرغ من بناء الكعبة سأل علي بن
الحسين عليه السلام أن يضع الحجر في موضعه فأخذه ووضعه في
موضعه (٢). ولم يجر على الحجاج ما جرى على ثبّع وأصحاب
الفيل لأن قصد الحجاج لم يكن هدم الكعبة إنما كان قصده إلى
ابن الزبير وكان ضداً لصاحب الحق فلما استجار بالكعبة أراد الله
أن يبيّن للناس أنه لم يُجره فأمهل في هدمها عليه (٣) .

(١) من لا يحضره الفقيه ٢/٢٤٧/٢٠٢٣٢٠. (عن الإمام الصادق عليه السلام).

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢/٢٤٧/٢٣٢١.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢/٢٤٩.

إعادة الحجر الأسود

عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال: لما وصلت بغداد في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للحج، وهي السنة التي رد القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت، كان أكبر همي الظفر بمن ينصب الحجر، لأنه يمضي في أثناء الكتب قصة أخذه وأنه ينصبه في مكانه الحُجَّة في الزمان، كما في زمن الحجاج وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه فاستقر.

فاعتلت علةً صعبة خفت منها على نفسي، ولم يتهيأ لي ما قصدت له فاستنبت المعروف بابن هشام، وأعطيته رقعة مختومة أسأل فيها مدة عمري، وهل تكون المنية في هذه العلة أم لا؟ وقلت: همي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه، وأخذ جوابه وإنما أندبك لهذا؟

قال: فقال المعروف بابن هشام: لما حصلت بمكة، وعزم على إعادة الحجر، بذلت لسدنة البيت جملة تمكنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه، وأقمت معي منهم من يمنع عني ازدحام الناس، فكلما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم، فأقبل غلام أسمر اللون حسن الوجه فتناوله ووضعه في مكانه فاستقام، كأنه لم يزل عنه وعَلَّت لذلك الأصوات وانصرف

خارجاً من الباب فنهضت من مكاني أتبعه، وأدفع الناس عني يميناً وشمالاً حتى ظن بي الاختلاط في العقل، والناس يفرجون لي وعيني لا تفارقه حتى انقطع عن الناس، فكنت أسرع السير خلفه، وهو يمشي على توّده ولا أدركه.

فلما حصل بحيث لا أحد يراه غيري وقف والتفت إليّ فقال:
هات ما معك.

فناولته الرقعة فقال من غير أن ينظر فيها: قل له لا خوف عليك في هذه العلة ويكون ما لا بد منه بعد ثلاثين سنة.
قال: فوقع عليّ الزمع حتى لم أطق حراكاً وتركني وانصرف.
قال أبو القاسم: فأعلمني بهذه الجملة، فلما كان سنة تسع وستين اعتل أبو القاسم فأخذ ينظر في أمره وتحصيل جهازه إلى قبره، وكتب وصيته واستعمل الجد في ذلك.
فقيل له: ما هذا الخوف؟ ونرجو أن يتفضل الله تعالى
بالسلامة فما عليك مخوفة.

فقال: هذه السنة التي خوفت فيها. فمات في علته^(١).
فمن أراد أن يصافح الله ﷻ فليستلم الحجر، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها من يشاء من خلقه»^(٢).

(١) الخرائج والجرائح ١/٤٧٥ - ٤٧٨ ح ١٨ .

(٢) عوالي اللآلي ١/٥١ - ٥٢ ح ٧٥ .

عن عبد الله بن بكير عن الحلبي قال: «قلت لأبي عبد الله
عليه السلام لِمَ جُعِلَ استلام الحجر ؟

فقال: إن الله ﷻ أخذ ميثاق بني آدم دعا الحجر من
الجنة فأمره فالتقم الميثاق فهو يشهد لمن وافاه بالموافاة»^(١).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم
السلام: «أنه إنما يُقبَل الحجر ويُستلم ليوَدِّي إلى الله العهد الذي
أُخِذَ عليهم في الميثاق وإنما يستلم الحجر لأن موثيق الخلائق فيه،
وكان أشد بياضاً من اللبن فأسودَّ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسه
من أرجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهةٍ إلا برئ»^(٢).

إذا ما أراد الإنسان أن يطلب حاجة من الله تعالى عليه أن
يصلي ركعتين يتوجه فيها إلى الله تعالى توجهاً حقيقياً من القلب
من دون أن يشغل قلبه شيئاً من أمور الدنيا لأن (القلب حرم الله
فلا تسكن حرم الله غير الله)^(٣).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «يا ابن آدم علق قلبك بالله ولا
تعلقه بخلقه فإنك إن علقته بربك خدموك وإن علقته بخلقه خذلك»^(٤).

(١) وسائل الشيعة ٣١٧/١٣ ح ١٧٨٣٤.

(٢) وسائل الشيعة ٣١٨/١٣ ح ١٧٨٣٦.

(٣) جامع الأخبار ، ص ٥١٨ ح ١٤٦٨ (عن الإمام الصادق عليه السلام).

(٤) جامع الأخبار ص ٥١٨ ح ١٤٧٠.

إن القلب هو الرئيس الأعظم لجوارح الإنسان، وموضع نظر الله تعالى، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(١). ولذا فإن الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير الأعضاء الظاهرة عند الإنسان العاقل.

«إن حضور القلب هو أن يفرغ القلب من غير ما هو ملبس له ومتكلم به، حتى يكون العلم مقروناً بما يفعله وما يقوله، من غير جريان الفكر في غيرهما. فمهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه، وكان في قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفلة عنه، فقد حصل حضور القلب»^(٢).

«إن صلاتنا قربة وتحفة نتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك، كوصيفة يهديها طالب القرب والجاه من السلاطين إليهم. وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد إلينا في يوم العرض الأكبر، فالينا الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها، فمن أداها على النحو المأمور به، بأعمالها الواجبة والمندوبة وشرائطها الظاهرة والباطنة،

(١) مجموعة ورام ٢/٢٢٨.

(٢) جامع السعادات ٣/٣٢٣.

مع الإخلاص وحضور القلب، كان كمن أهدى عبداً صحيحاً سوبياً شاباً جميلاً عاقلاً كاملاً إلى ملك من الملوك.

ومن اقتصر على أعمالها الظاهرة، وغفل من الحضور والتوجه والقربة والإخلاص، كان كمن أهدى عبداً ميتاً بلا روح إلى ملك من الملوك، ومن ترك عمداً شيئاً من واجباته، كان كمن أهدى عبداً مقتولاً إليه»^(١).

«ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزوّد منها ويستعين بها على الآخرة، فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة، فإن من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته، وهمة الرجل مع قرّة عينه، فإن كانت قرّة عينه في الدنيا انصرف همه لا محالة إليها، ولكن - مع هذا - لا ينبغي ترك المجاهدة، ورد القلب إلى الصلاة، وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء»^(٢).

(١) جامع السعادات ٣/٣٢٢ .

(٢) جامع السعادات ٣/٣٣٧ .

التربية الصالحة

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(١) .

خطر اللهو

إن أخطر ما واجهته البشرية في حياتها قديماً وحديثاً هو ذلك الانحدار الأخلاقي بين أفرادها والناجم عن اللهو والعبثية، فما من مجتمع اشرب فيه عنق اللهو إلا وازداد بعداً عن الله سبحانه وتعالى، ذلك الخطر الذي يزيد في خطورته على كثير من الأمراض الفتاكة كالطاعون والجذري وغيرها.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أربعة يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر : اللهو ، والبذاءة ، وإتيان باب السلطان ، وطلب الصيد»^(٢).

(١) سورة الكهف، الآية : ٤٦ .

(٢) وسائل الشيعة ٤٨١/٨ ح ١١٢٢٤ .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «استماع الغناء واللهو ينبت
النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع»^(١) .

أسباب اللهو

إن أسباب اللهو عديدة منها:

أولاً: التربية غير الملتزمة ونعني بها اللامبالاة في التربية
الأمر الذي يؤدي إلى تفشي مرض سرطان اللهو في المجتمعات
البشرية وبالتالي ضياع الجهود والطاقات اللازمة لبنائه اقتصادياً
وعلمياً وثقافياً وعلى كافة المستويات ويجعل المجتمع ضعيفاً
منهكاً غير قادر على صد أي هجوم عسكري أو ثقافي قد
يتعرض له من الخارج.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام : «اللهو يفسد عزائم
الجد»^(٢) .

ويقول عليه السلام أيضاً : «أبعد الناس عن الصلاح المستهتر
باللهو»^(٣) .

(١) الكافي ٦/٤٣٤/٢٣ .

(٢) غرر الحكم ٤٦١/ح/١٠٥٥٠ .

(٣) غرر الحكم ٤٦٠/ح/١٠٥٤١ .

وإذا كانت الإصابة بمرض السرطان تستدعي استئصال العضو المصاب أو جزء منه حماية ووقاية لبعض أعضاء الجسم الأخرى ، فإن الإصابة بمرض سرطان اللهاو يستدعي استئصال الإنسان بكامله من المجتمع أو إيجاد علاج له .

ثانياً: الجهل، ومن ثماره اللهاو الذي يؤدي إلى تقشي مرض سرطان اللهاو في المجتمع، فكما كان الإنسان جاهلاً بنتائج لهاوه فإنه سينزلق في هاوية السقوط .

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اللهاو من ثمار الجهل»^(١) . إن الجهل يجعل الإنسان في غفلة عن نتائج اللهاو القاتلة، وقد يدفعه ذلك إلى الاغترار حين ينصحه الناصحون فتراه متمسكاً برأيه لا يتزحزح عنه.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «كسب العقل الاعتبار والاستظهار، وكسب الجهل الغفلة والاعترار»^(٢) .

إن لكل من الجهل والعقل جنوده، فأيهما انتصر في داخل الإنسان ساد وخضع له الطرف الآخر .

عن سماعة بن مهران قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده عدة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل.

(١) غرر الحكم ٤٦٠/ح ١٠٥٣٧ .

(٢) غرر الحكم ٤٧١/ح ١٠٧٥١ .

فقال عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده واعرفوا الجهل وجنده تهتدوا.

قال سماعة: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرّفتنا.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله خلق العقل وهو أول خلق

خلقه من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل.

فقال الله عز وجل له: خلقتك خلقاً عظيماً وأكرمتك على جميع خلقي.

قال عليه السلام: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلماني، فقال

له: أدبر فأدبر. ثم قال له : أقبل فلم يقبل.

فقال الله له: استكبرت ؟ فلغنه. ثم جعل للعقل خمسة

وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه، أضمر له العداوة .

فقال الجهل: يا رب هذا خلق مثلي خلقتَه وكرمتَه وقويتَه

وأنا ضده، ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيته.

فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من

رحمتي.

قال: قد رضيت، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً، فكان مما

أعطى الله العقل من الخمسة والسبعين الجند :

الخير وهو وزير العقل، وجعل ضده الشر وهو وزير
الجهل، والإيمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود،
والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الجور، والرضا وضده
السخط، والشكر وضده الكفران، والطمع وضده اليأس، والتوكل
وضده الحرص، والرأفة وضدها العزة، والرحمة وضدها الغضب،
والعلم وضده الجهل، والفهم وضده الحمق، والعفة وضدها
التهتك، والزهد وضده الرغبة، والرفق وضده الخرق، والرغبة
وضدها الجرأة، والتواضع وضده التكبر، والثؤدة وضدها التسرع،
والحلم وضده السفه، والصمت وضده الهذر، والاستسلام وضده
الاستكبار، والتسليم وضده التجبر، والعفو وضده الحقد، والرقّة
وضدها القسوة، واليقين وضده الشك والصبر وضده الجزع،
والصفح وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتفكر وضده
السهو، والحفظ وضده النسيان، والتعطف وضده القطيعة،
والقنوع وضده الحرص، والمواساة وضدها المنع، والمودة
وضدها العداوة، والوفاء وضده الغدر، والطاعة وضدها
المعصية، والخضوع وضده التطاول، والسلامة وضدها البلاء،
والحب وضده البغض، والصدق وضده الكذب، والحق وضده
الباطل، والأمانة وضدها الخيانة، والإخلاص وضده الشوب،
والشهادة وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفة
وضدها الإنكار، والمداراة وضدها المخاشنة، وسلامة الغيب
وضدها المماكرة، والكتمان وضده الإفشاء، والصلاة وضدها

الإضاعة، والصوم وضده الإفطار، والجهد وضده النكول، والحج وضده نبذ الميثاق، وصون الحديث وضده النميمة، وبر الوالدين وضده العقوق، والحقيقة وضدها الرياء، والمعروف وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقية وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية، والتهئية وضدها البغي، والنظافة وضدها القذارة، والحياء وضده الخلع، والقصد وضده العدوان، والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها الصعوبة، والبركة وضدها المحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكاثرة، والحكمة وضدها الهوى، والوقار وضده الخفة، والسعادة وضدها الشقاوة، والتوبة وضدها الإصرار، والاستغفار وضده الاغترار، والمحافظة وضدها التهاون، والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاط وضده الكسل، والفرح وضده الحزن، والألفة وضدها العصبية، والسخاء وضده البخل.

ولا تكمل هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقى من الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وإنما يدرك الفوز بمعرفة

العقل وجنوده وبمجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته»^(١) .

ثالثاً: عدم اتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام قدوة وأسوة حسنة لنا ولحياتنا، وعدم اتخاذ الطريق الذي خطه لنا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام منهاجاً لحياتنا لكي نحظى برضا الله وتوفيقه.

لقاء مع المكارم :

آية الله العظمى الحاج الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظلّه العالی) ، واحد من أبرز مراجع الدين المنتورين في الحياة العملية وهو كذلك ذو طاقة علمية جبارة ، قد شهدت المكتبات العربية وغيرها مؤلفاته القيمة فضلاً عن المكتبات الفارسية ، ولعل أهم تلك المؤلفات (الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل) مطبوع في لبنان في عشرين مجلداً ، وكتاب (أنوار الفقاهة) في مجلدين حتى الآن ، وكتاب (أنوار الأصول) ثلاث مجلدات وكتاب (القواعد الفقهية) في مجلدين وكتاب (تعليقات على العروة الوثقى) مجلد واحد وقد حاز كتابه (فيلسوف نماها)

(١) المحاسن ٣١١/١ - ٣١٤ ح ٦٢٠، والكافي ٢٠/١ - ٢٣ ح ١٤ .

يعني (أشباه الفلاسفة) الجائزة العلمية الأولى في إيران قبل ٤٢ عاماً ، وكتابه الآخر (جلوه حق) يعني (جلاء الحق) الذي قال عنه أستاذه المرجع الراحل السيد البروجردي : " إني قرأته كله فما عثرت فيه على نقطة ضعف واحدة) ، شكر الله مساعيكم (وغير ذلك تتجاوز مؤلفاته الخمسين كتاباً . ما عدا بحثه في الفقه الاستدلالي الذي يحضره في قاعة مدرسته (أمير المؤمنين) في حوزة قم المقدسة ما يقارب من ألف طالب .

ولقد عرفت سماحة الشيخ من خلال مطالعاتي في كتاباته الهادية قبل وبعد الثورة الإسلامية ، وفي لقاءاتي المتكررة به جلبت انتباهي دقته في النظم والانضباط وتوزيع الأعمال في أوقاتها المعينة بالاستفادة من الكوادر المحيطة به والإمكانات الحديثة .

سألت ولده الأخ الكريم مسعود (دام عزه) عما يود ذكره لنا من قصص وخواطر حول شخصية والده المكرّم ، فقال : إنه يوصينا دائماً والعاملين معه بثلاث خصال :

- ١ - الإخلاص لله تعالى
- ٢ - النظم في أمور الحياة
- ٣ - الجهد المتواصل حتى إنجاز الشيء

ولكي يلزمنا بهذه الصفات يسبقنا في الالتزام بها شخصياً ،
فعلى سبيل المثال كان قبل تصديه لمهام المرجعية الدينية يخرج
بنا إلى الاستراحة في منتزه بعض بساتين القرى في بعض أيام
العطل ، فإذا حان الوقت الذي تمّ اتفاننا عليه للذهاب أمرنا
بالحركة حتى ولو لم يكتمل العدد ولم يحضر الجميع ، مما يدفعنا
في المرات الآتية أن لا ننس الانضباط ونتلف الوقت ونخالف
وصاياہ التربوية ، ذلك مع العلم أن الذهاب إلى النزهة لا يستدعي
كثيراً هذا الانضباط الدقيق ، حيث فيها فسحة من الوقت وتراخٍ
من الشد .

وتجدر الإشارة هنا إلى نوع من تواضع الشيخ الوالد أنه بعد
وصوله للمرجعية ورغم انشغالاته الكثيرة يأبى إذا ذهبنا إلى
البستان إلا أن يقوم بالطبخ وتحضير الطعام كما كانت سيرته من
قبل .

وأما عن تواضعه وشعبيته مع الناس فلقد عقدنا قبل أيام
مجالس تعزية بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة فاطمة الزهراء
سيدة نساء العالمين عليها السلام فبالتشاور مع فضيلة الشيخ
سرمدی

(من العاملين في المكتب) فرشنا قطعة قماش أبيض مقدار متر
واحد في المجلس ليكون محل جلوس الوالد متميزاً عن محل عموم

الناس الواردين ، ولكنه لما علم نهرنا بشدة وأمرنا بتجميع القماش وهو يقول : تريدون إشعار الناس بأني متميزاً عنهم ، تريدون أن تفضلوني عنهم ما هذه التصرفات !؟

ومما يكشف لك عن مدى إخلاص سماحة الشيخ ومقدار اهتمامه بشؤون الناس - كما رأيته خلال جلوسي عنده بعض الوقت - أنه ما دخل عليه أحد إلا خرج راضياً ، وذلك إما بإنجاز ما جاء لأجله ، وإما بإقناعه السبب في عدم الإنجاز . وهذه صفة تتبئك عن الحكمة والرشد في هذه الشخصية المرجعية ، كثر الله في الأمة أمثاله (١) .

من ثمار الإخلاص لله

كتب فضيلة الشيخ حسن طراد (دام عزه) أن من أسباب النبوغ العلمي في المرجع الديني الأعلى السيد أبي القاسم الخوئي (طاب ثراه) فضلاً عن إخلاصه لله تعالى هو إخلاصه للهدف المقصود من دراسته .

يذكر فضيلة الشيخ أنه سمع من أستاذه الجليل المغفور له السيد إسماعيل الصدر رحمه الله : أن أحد العلماء الأفاضل جاء إلى

(1) قصص وخواطر - ص ١٦٤

النجف من الخارج فحضر درس المرحوم السيد الخوئي **قدس سره** ، فأورد على كلام السيد إشكالاً علمياً يتعلق بالموضوع الذي كان يبحث فيه السيد ، فبادر السيد بالاعتراف للضيف المستشكل موافقاً على إشكاله ومستسلماً لاعتراضه من دون أي مناقشة !

فلفت ذلك نظر أحد العلماء الفضلاء من تلامذة السيد ، فقال مستغرباً : كيف توافق على إشكال هذا الشخص بهذه السرعة وبلا مناقشة كما هي عادتك مع تلامذتك حيث تناقش إشكالاتهم بدقة !؟

فقال له السيد الخوئي **قدس سره**: أنا كنت غافلاً عن هذا الإشكال ، وقد نبهني عليه الرجل وليس من الصحيح الإصرار على الخطأ بعد الالتفات إليه .

نعم .. إذا كان الاعتراف بالخطأ فضيلة ، فإن الإصرار عليه خطيئة ، وفقه أهل البيت **عليهم السلام** سماحة السيد الخوئي **قدس سره** يرفض الخطيئة بإخلاصه لله تعالى ، ويريد بذلك أن ينبه تلامذته ومن يقرأ هذا الموقف عنه بأن الإنسان المخلص يجب أن لا يصر على الخطأ وأن يسمح للمستشكل أن يقول إشكاله بحرية وأن يصغي للإنسان للإشكال بحثاً عن الحق واستسلاماً للحقيقة .. وهذه من ثمار الإخلاص لله ⁽¹⁾.

(1) قصص وخواطر - ص ٧٧

أخلاق أصحاب أهل البيت عليهم السلام

إذا ما أراد الإنسان الوصول إلى حقيقة أهل البيت عليهم السلام والتعرف على الحقائق، فليأت من الأبواب التي وضعوها، فلكل واحد منهم باب لا بد من فتحه للدخول إلى العالم الفسيح لكل واحد منهم والتعرف على حقيقتهم.

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها ولن يدخل المدينة إلا من بابها»^(١).

ومن ضمن أبواب أهل البيت عليهم السلام رشيد الهجري قدس سره، الذي كان باباً للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان من الذين أوتوا علم المنايا والبلايا بإجماع علمائنا الإمامية، حيث كان يخبر الناس بما سيحصل لهم في المستقبل. عن فضيل بن الزبير قال: مر ميثم التمار قدس سره علي فرس فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي قدس سره عند مجلس بني أسد، فتحدثا حتى اختلف أعناق فرسيهما، ثم قال حبيب قدس سره: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الزرق قد صُلب في حب أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويبقر بطنه على الخشب .

(٢) بحار الأنوار ٤٣٦/٣١.

فقال ميثم **قدس سره** : واني لأعرف رجلاً أحمر له صفيدتان يخرج لينصر ابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيقتل، ويجال برأسه بالكوفة، ثم افترقا.

فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري **قدس سره** فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رشيد **قدس سره** : رحم الله ميثماً نسي ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم. ثم أدبر.

فقال القوم: هذا والله أكذبهم، فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا مصلوباً على باب دار عمرو بن حُرَيْث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر **قدس سره** قد قتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كل ما قالوا، وكان حبيب **قدس سره** من السبعين رجلاً الذين نصرروا الحسين عليه السلام، ولقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح بصدورهم، والسيوف بوجوههم وهم يعرض عليهم الأمان والأموال فيأبون ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن قتل الحسين عليه السلام ومنا عين تطرف حتى قتلوا حوله، ولقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدي **قدس سره** ، فقال له يزيد بن خضير الهمداني **قدس سره** وكان يقال له سيد القراء: يا أخي ليس هذه بساعة ضحك.

قال: فأني موضع أحق من هذا بالسرور، والله ما هو إلا أن
تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين»^(١).

الخضر وموسى عليهما السلام

لقد كان أصحاب الإمام علي عليه السلام أمثال ميثم التمار قدس
سره ورشيد الهجري قدس سره وحبيب بن مظاهر الأسدي قدس
سره يحدثون الناس بما في الغيب كما كان الخضر عليه السلام يحدث
النبي موسى عليه السلام بأخبار الغيب.

حين أخذ الخضر عليه السلام الميثاق على موسى عليه السلام، قال
موسى عليه السلام ﴿هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(٢).

فقال الخضر عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ وَكَيْفَ
تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(٣).

قال موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ
أَمْرًا﴾^(٤).

(١) رجال الكشي ٢٩٢ - ٢٩٣ ح ١٣٣ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٦٦ .

(٣) سورة الكهف ، الآيتان : ٦٧-٦٨ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٦٩ .

قال الخضر عليه السلام: ﴿فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(١) يقول لا تسألني عن شيء أفعله، ولا تنكره عليّ حتى أخبرك أنا بخبره.
قال : نعم .

فمروا ثلاثتهم^(٢) حتى انتهوا إلى ساحل البحر وقد شحنت سفينة وهي تريد أن تعبر، فقال أرياب السفينة: نحل هؤلاء الثلاثة نفر فإنهم قوم صالحون، فحملوهم، فلما جنحت السفينة في البحر، قام الخضر عليه السلام إلى جوانب السفينة فكسرها وحشاها بالخرق والطين، فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً وقال للخضر: ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا﴾^(٣).

فقال له الخضر عليه السلام : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٤).

قال موسى عليه السلام: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾^(٥) .

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧٠ .

(٢) مع يوشع وصي موسى عليه السلام .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٧١ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٧٢ .

(٥) سورة الكهف ، الآية : ٧٣ .

فخرجوا من السفينة، فنظر الخضر عليه السلام إلى غلام يلعب مع الصبيان حسن الوجه كأنه قطعة قمر، وفي أذنيه درتان، فتأمله الخضر عليه السلام ثم أخذه وقتله.

فوثب موسى إلى الخضر وجَدَّ به الأرض فقال: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (١).
فقال له الخضر عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٢).

قال موسى عليه السلام: لئن ﴿سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا﴾ (٣) بالعشي قرية تسمى الناصرة، وإليها تنسب النصارى، ولم يضيفوا أحداً قط، ولم يطعموا غريباً، فاستطعموهم فلم يطعموهم ولم يضيفوهم فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال لينهدم، فوضع الخضر عليه السلام يده عليه وقال: قم بإذن الله، فقام.

فقال موسى عليه السلام: ما كان ينبغي أن تقيم الجدار حتى يطعمونا ويؤوئنا وهو قوله ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٤).

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٧٥ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٧٥ - ٧٦ .

(٤) سورة الكهف، الآية : ٧٧ .

فقال الخضر عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْـَٔطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ ﴿١﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ (١) التي فعلت بها ما فعلت فإنها ﴿كَانَتْ﴾ لقوم ﴿لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (٢) وكان وراء السفينة ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وإذا كانت السفينة معيبة لم يأخذ منها شيئا ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وطبع كافرا فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب طبع كافرا ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ ﴿٤﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ (٤) فأبدل الله والديه بنتا وولدت سبعين نبيا من ذريتها وذرية ذريتها.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ (٥) الذي أقمته ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ (٦) إلى قوله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْـَٔطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧)، (٨).

ولقد أراد الخضر عليه السلام أن يذكر موسى عليه السلام بنعم الله عليه فكانه قال: تذكر يا موسى عندما كنت صغيرا حين وضعتك أمك في التابوت وألقتك في النيل حتى جاءت به الريح على باب قصر

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٧٨-٧٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٠-٨١.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٨) بحار الأنوار ٣/٢٧٩-٢٨١ (عن الإمام الرضا عليه السلام)

فرعون الذي كان على شط النيل فأخذك بعد أن ألقى الله المحبة في قلبه لك على الرغم من أن فرعون قد أمر بقتل الأولاد والتفريق بين الرجال والنساء، وحبس الرجال في المحابس.

كما أراد الخضر عليه السلام أن يذكر موسى عليه السلام : إنك لما كنت شاباً يافعاً قتلت غلاماً شقيماً ليس من شيعتك إلا أن الله نجاك فهربت وكان هروبك نعمة من الله تعالى.

ثم تذكر يا موسى عندما بلغت باب مدين فرأيت بئراً يستقي الناس منها لأغنامهم ودوابهم فقعدت ناحيةً ولم تكن قد أكلت ثلاثة أيام شيئاً، فنظرت إلى جاريتين في ناحية ومعهما غنمات لا تدنوان من البئر، فقلت لهما: مالكما لا تستقيان فقلتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(١) فرحمتها ودنوت من البئر، فقلت لمن على البئر: استقي لي دلواً ولكم دلواً، وكان الدلو يمهده عشرة رجال، فاستقيت وحدك دلواً لمن على البئر ودلواً لبنتي شعيب وسقيت أغنامهما فلماذا لم تطلب منهما أجراً ؟ ولماذا تطالبنني بأخذ الأجر من تقويمي للجدار ؟

يا موسى مهما زاد علمك وتقدمت فلا بد أن تتذكر نعم الله عليك ولتعلم دائماً أن فوق كل ذي علم عليم.

(١) سورة القصص ، الآية : ٢٣ .

المعاني الحقيقية

أما البعد الآخر من الحوار الذي دار بين الخضر عليه السلام وموسى عليه السلام، فهو أن الخضر عليه السلام أراد أن يقول له: يا موسى إن خرق السفينة معناه خرق النفس، لأن النفس إن لم تخرق ولم تؤدب فإنه سيشرئب فيها سرطان اللهو، وسينتصر عليها الشيطان الذي يأخذ كل سفينة غصباً، إن لم يرها مختومة بخرق الإيمان.

وأما الغلام فهو غلام الشهوة، فإذا ما كانت في بداية فعلها عند الإنسان استطاع أن يقتلعها من جذورها، مثلاً: هناك بعض الأشخاص من يشتري جهازاً لهوياً ثم يشتري بعد فترة ملحقاته من الأجهزة اللهوية الأخرى وهكذا حتى لا يستطيع بعد فترة طويلة من الزمن مقاومة الغلظة الشهوية في داخله، ولكنه لو استطاع مقاومتها منذ اللحظات الأولى لولادتها وتكوينها فلن يتمكن الشيطان أبداً من جره إلى هاوية الانحراف عبر الغلظة الشهوية.

وأما بناء الجدار فهو بناء العقل.

فالعقل كنز من كنوز الله سبحانه وتعالى وضعه عند الإنسان وهو بحاجة إلى سياج وجدار يحميه كي يتمكن الإنسان من إخراج ما بداخله مستقبلاً.

الاعتراف بحق الأستاذ على التلميذ

إنه أستاذي وأنا تلميذه

حينما وافق سماحة العلامة آية الله السيد صادق الشيرازي على إجراء عملية القلب في مستشفى الشهيد رجائي بطهران عام (١٤١٥ هـ) قال له مازحاً سماحة السيد عباس المدرسي (حفظه الله) - وهو ابن أخته المكرمة - : ألا تستخير لهذا الأمر الخطير ، إنها عملية لربما انتقلت بها إلى دار الآخرة وأنت لازلت الحاجة إليك في الدنيا كبيرة .

فرد السيد بابتسامته التي ما سقطت من وجهه رغم كل الشدائد في حياته : مادام الطبيب شخّص ضرورة إجراء هذه العملية فلا حاجة للاستشارة إنما أحتاج إلى دعاء المؤمنين ، ثم إن هذا

الطريق - يعني الموت - قد سلكه ملايين الملايين من قبلي
ويسلكه ملايين الملايين من بعدي فلماذا الخوف؟!
هذا وقد خرج سماحته من العملية بسلام والحمد لله على ذلك .
وأضاف إليّ السيد المدرسي أن السيد صادق هذا كان في مصيبة
وفاة والده المرجع الميرزا مهدي الشيرازي أكثر إخوته صبراً
وأقوامهم تجلداً في عام (١٣٨٠ هـ) .

هذا ولقد ذهبت إلى عيادته وطلبت منه تزويدنا من قصصه
وخواتمه ، فأبى إلا أن يذكر غيره بالخير ، ورغم سقمه وصعوبة
قيامه أبى حين التوديع إلا أن يشايعني حتى الباب . والمعروف
عنه (دام ظله) أخلاقه الفاضلة وسجاياه الكريمة . فكل من
نظر إليه جذبته ابتسامته ووقاره ، وقد ربت دروسه في الأخلاق
الكثير من طلبت العلوم الدينية ، ويعود تأثيره الكبير فيهم بالدرجة
الأولى إلى تجسيده لأقوله ومواعظه ، فهو بحق نبلاً في الأخلاق
العملية المتحركة .

يمكنك معرفة قبس من هذه الشخصية الأخلاقية والعلمية
(المجهولة) خلال القصة التالية التي نقلها لي أحد طلبته الذي
رافقه إلى عيادة عالم كبير من علماء قم المقدسة يقول دار في
المجلس بحث علمي عميق جداً فتكلم الحاضرون وتكلم السيد
صادق الشيرازي فأشبع البحث دقة علمية رائعة فنال رضی

الحاضرين ، فسأله العالم المضيف : هل أخوكم (آية الله العظمى) السيد محمد الشيرازي هكذا في علميته أيضاً ؟ فأجاب السيد بتواضع وأدب : إنه أستاذي وأنا تلميذه^(١) .

(1) قصص وخواطر - ص ١٧٣

خضوع النفس

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه بعد الفراغ من صلاة الليل: «هذا مقام من استحيى لنفسه منك وسخط عليها ورضي عنك فتلقاك بنفسٍ خاشعةٍ ورقبةٍ خاضعةٍ وظهرٍ مثقلٍ من الخطايا واقفاً بين الرغبة إليك والرغبة منك، وأنت أولى من وثق به مَنْ رَجَاهُ، وَأَمَّنْ مِنْ خَشِيَهُ وَاتَّقَاهُ»^(١).

المحيط الخارجي وتأثيره على الإنسان

يعيش الإنسان في هذه الحياة وهو لا يعلم عن كل الإرهاصات التي تجري من حوله فيما هو متنبه لكل ما يمكن أن يمس جسده مهما كان صغيراً، فإذا ما أحس بنملة صغيرة تمشي على جسمه نزع ثيابه ولن يطمئن حتى يلقي القبض عليها ويسحقها بين أصابعه كأنه يلقي القبض على مجرم خطير، وإذا ما حطت على أنفه ذبابة غضب واستشطا وتوعدها بالقتل وكأنها

(١) مصباح المتهدد، ص ١٣٩.

حطت في الأرض المحرمة، ولو التقى كتف إنسان بكتفه في الطريق انزعج وتبرم وشمخ بأنفه ولن تنزله بمجلد ضخم من كلمات الاعتذار من الطرف الآخر.

وترى الكثير من يحرص على أمواله حرص الأم على ولدها الرضيع متعلق بها تعلق الفصيل بأمه، فلا عيش له بدونها، ولا سعادة له إلا بجوارها، يستنشق عطرها قبل المنام، وليس يهمه إن كانت من حلال أو حرام.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

أَبْنِيَّ إِنَّ مِنْ الرِّجَالِ بَهِيمَةً فِي صُورَةِ الرَّجْلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ
فَطِنٌ بِكُلِّ رِزِيَةٍ فِي مَالِهِ وَإِذَا أُصِيبَ بَدِينِهِ لَمْ يَشْعُرْ^(١)

والدين عند هؤلاء الناس (لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قل الديانون)^(٢).

تُرى لماذا يهتم هؤلاء بأنفسهم وأموالهم، وينسون من هو أولى بالرعاية حتى من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ؟

ولماذا يصرفون الأموال الطائلة في تحسين صورهم في كل زمان ومكان، ويهدرون الساعات الطوال لإصلاح هندامهم لكي ينظر الناس إليهم وينسون أنفسهم التي ينبغي أن لا تخدش بأي

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٢٠١.

(٢) تحف العقول ٢٤٥ (قول للإمام الحسين عليه السلام).

شيء وما تزينهم لأنفسهم إلا لكي ينظر الناس إليهم حتى لو كانت نظرات محرمة .

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فليس لك إلا أول نظرة»^(١) .

وإذا ما أراد الإنسان أن يصلح نفسه فإنه يحتاج إلى دورة تدريبية حتى يعود إلى ما كانت عليه خاشعة خاضعة.

والخضوع كما قيل يكون في القول والخشوع يكون في الفعل، فإذا ما خشع الإنسان خشع بفعله وخضع بقوله ، إلا أن هناك من يقول أن الخشوع والخضوع في كليهما معاً كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(٢).

ولعل من الأشياء التي تחדش نفس الإنسان هي النظرة، وما أدراك ما النظرة وما فعلها في قلب الإنسان فهي سهم مسموم من سهام إبليس.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «النظر سهم من سهام إبليس مسموم، وكمن نظرة أورثت حسرة طويلة»^(٣) .

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٧٠ ح ٢٨٥ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٣٢ .

(٣) الكافي ٥/٥٥٩/١٢ .

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل تمر به المرأة فينظر إليها فقال: أول نظرة لك والثانية عليك» .

إن نفس الإنسان كالجنين في بطن أمه، فلو صادف أن تعرضت الأم إلى أشعة إكس تشوه جنينها وولد معوقاً كأن تطمس إحدى عينيه وربما ولد ككومة لحم كما هو حاصل لآلاف الأطفال الذين يتعرضون لإشعاعات اليورانيوم المخصب في العراق، بل إن النفس أشد رقة من الجنين وهو في بطن أمه، وإن الذنوب والمعاصي أشد خطورة من كل إشعاعات وتأثيرات الأسلحة الجرثومية والكيميائية.

المعاصي وآثارها

لعل لمحة من اللحاحات وهمزة من الهمزات تعتبر من الأمور الخطيرة على الإنسان التي تؤثر في نفسه وتخدشها وتشوهها حتى لا يتمكن عندها من إصلاحها، فرحلة الميل مع المعصية تبدأ بالنظرة الأولى فالثانية.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أول نظرة لك والثانية عليك ولا لك والثالثة فيها الهلاك»^(١) .

(١) وسائل الشيعة ١٩٣/٢٠ ح ٢٥٤٠٢ .

وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «ربّ نظرة زرعت شهوة، ورب شهوة أورثت حزناً دائماً»^(١) .

(٢) شرح نهج البلاغة ١١٧/١٢ .

«والنظرة الثالثة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها لله لا
لغيره أعقبه الله إيماناً يجد طعمه»^(١).

ويقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

لا يأمننَّ على النساءِ أخَّ أخاً ما في الرجالِ على النساءِ أمينُ
كل الرجالِ وإن تعفَّ جهده لا بدَّ أنْ بنظرةٍ سيخُونُ
والقبرِ أوفى من وثقتَ بعده ما للنساءِ سوى القُبورِ حُصُونُ^(٢)

وعن أبي جميل عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام قال:
«ما من أحدٍ إلا وهو يصيب حظاً من الزنا، فزنا العينين النظر، وزنا
الفم القبلة، وزنا اليدين اللمس صدق الفرج ذلك أم كذب»^(٣).

حكاية وعبرة

عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان ملك
في بني إسرائيل، وكان له قاضي وللقاضي أخ، وكان رجل صدق،
وله امرأةٌ قد ولدتها الأنبياء، فأراد الملك أن يبعث رجلاً في حاجة
فقال للقاضي: ابغ لي رجلاً ثقة.

(١) مستدرک الوسائل ٢٦٨/١٤ ح ١٦٦٧٦ (عن رسول الله 5).

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٤٠٩.

(٣) الكافي ١١/٥٥٩/٥.

فقال: ما أعلمُ أحداً أوثقَ من أخي، فدعاه لبيعته، ففكره ذلك الرَّجُلُ وقال لأخيه: إني أكره أن أُضَيِّعَ امرأتي، فعزم عليه فلم يجد بُدّاً من الخروج.

فقال لأخيه: يا أخي إني لستُ أخلفُ شيئاً أهم عليّ من امرأتي فاخلّفني فيها، وتول قضاء حاجتها.
قال: نعم .

فخرج الرجل، وقد كانت المرأة كارهةً لخروجه، فكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها، ويقوم لها، فأعجبتَه فدعاها إلى نفسه فأبت عليه، فَحَلَفَ عليها: لئن لم تفعلني لنُخْبِرَنَّ الملكَ أنكِ قد فجرتِ .

فقالت: اصنع ما بدا لك، لستُ أُجيبُكَ إلى شيء مما طلبت.
فأتى الملك فقال: إِنَّ امرأةَ أخي قد فجرت، وقد حقَّ ذلك عندي.

فقال له الملك: طهرها.

فجاء إليها فقال: إِنَّ الملكَ قد أمرني بـرجمك فما تقولين ؟
تُجيبيني وإلا رجمتك .

فقالت : لَسْتُ أُجيبُكَ فاصنع ما بدا لك.

فأخرجها ، فَحَفَرَ لها فرجمها ومعه الناس، فلما ظنَّ أنها قد ماتت تركها وانصرف، وَجَنَّ بها الليل، وكان بها رمق فتحرّكت وخرجت من الحفيرة، ثم مشت على وجهها حتى خرجت من المدينة،

فانتهت إلى دير فيه ديراني فباتت على باب الدير، فلما أصبح الديراني، فتح الباب ورآها، فسألها عن قصتها فخبّرتُه فرحمها وأدخلها الدير، وكان له ابن صغير، لم يكن له ابن غيره، وكان حسن الحال فداواها حتى برئت من علتها واندملت، ثم دَفَعَ إليها ابنه فكانت تربيته.

وكان للديراني قهرمان يَقُومُ بأمره فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت، فَجَهَدَ بها فأبت، فقال: لئن لم تفعلني لأجهدنَّ في قَتَلِكِ. فقالت: اصنع ما بدا لك، فَعَمَدَ إلى الصبي فدقَّ عنقه، وأتى الديراني فقال له: عَمَدتَ إلى فاجرة قد فَجَرَت، فدفعتَ إليها ابنك فَقَتَلْتَهُ.

فجاء الديراني فلما رآه، فقال لها: ما هذا فقد تعلمين صنيعي بك فأخبرته بالقصة، فقال لها: ليس تطيب نفسي أن تكوني عندي فاخرجي، فأخرجها ليلاً، ودفع لها عشرين درهماً وقال لها: تزودي بهذه الدراهم الله حَسْبُكَ .

فخرجت ليلاً، فأصبحت في قرية فإذا فيها مصلوب على خشبة وهو حيٌّ، فسألت عن قصته فقالوا: عليه دين عشرون درهماً، ومن كان عليه دين عندنا لصاحبه، صُلِبَ حتى يؤدي إلى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها إلى غريمه، وقالت: لا تقتلوه، فأنزلوه عن الخشبة.

فقال لها: ما أحد أعظم عليَّ مِنَّه منك نجيتني من الصلب
ومن الموت، فأنا معك حيث ما ذهبت؛ فمضى معها ومضت حتى
انتهيا إلى ساحل البحر، فرأى جماعةً وسُفُنًا فقال لها: اجلسي حتى
أذهب أنا أعمل لهم واستطعم، وآتيك به.

فأتاهم فقال لهم: ما في سفينتكم هذه ؟

قالوا: في هذه تجارات وجوهر وعنبرٌ وأشياء من التجارة، وأما
هذه فنحنُ فيها.

قال: وكم يبلغ ما في سفينتكم .

قالوا: كثيرٌ لا نحصيه.

قال: فإنَّ معي شيئاً هو خير مما في سفينتكم .

قالوا : وما معك ؟

قال: جارية لم تروا مثلها قط .

قالوا: فَبَعَّأْهَا .

قال: نعم على شرط أن يذهب بعضكم فينظر إليها ثم يجيئني

فيشتريها ولا يُعَلِّمَهَا، ويدفع إليَّ الثمن، ولا يُعَلِّمَهَا حتى أمضي أنا.

فقالوا : ذلك لك.

فبعثوا من نظرَ إليها.

فقال: ما رأيت مثلها قط، فاشتروها منه بعشرة آلاف درهم،

ودفعوا إليه الدراهم، فمضى بها، فلما أمعن أتوها، فقالوا لها: قومي

وادخلي السفينة.

قالت: وَلِمَ ؟

قالوا: قد اشتريناك من مولاك .

قالت : ما هو بمولاي .

قالوا: لَنَقُومِينَ أَوْ لَنَحْمِلَنَّكَ .

فقامت، ومضت معهم، فلما انتهوا إلى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها فجعلوها في السفينة التي فيها الجواهر والتجارة، وركبوا هم في السفينة الأخرى فدفعوها، فَبَعَثَ اللهُ ﷻ عليهم رياحاً فغرقَتْهُمُ وسفينتهم، ونجت السفينة التي كانت فيها، حتى انتهت إلى جزيرة من جزائر البحر، وربطت السفينة، ثم دارت في الجزيرة فإذا فيها ماء وشجر فيه ثمرة.

فقالت : هذا ماء أشرب منه وثمر آكل منه، أعبُدُ الله في هذا الموضع، فأوحى اللهُ ﷻ إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن يأتي ذلك الملك فيقول: إن في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي، فاخرج أنت ومن في مملكتك حتى تأتوا خلقي هذه، وتُقِرُّوا له بذنوبكم، ثم تسألوا ذلك الخلق أن يغفرَ لكم، فإن يغفرَ لكم، غفرتُ لكم.

فخرج الملك بأهل مملكته إلى تلك الجزيرة فرأوا امرأة فتقدم إليها الملك فقال لها: إِنَّ قَاضِيَ هَذَا أَتَانِي فَخَبَّرَنِي أَنَّ امْرَأَةَ أَخِيهِ فَجَرَّتْ فَأَمَرْتُهُ بِرَجْمِهَا وَلَمْ يُقِمْ عِنْدِي الْبَيِّنَةَ، فَأَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ تَقَدَّمْتُ عَلَى مَا لَا يَحِلُّ لِي فَأُحِبُّ أَنْ تَسْتَغْفِرِي لِي.

فَقَالَتْ: غَفَرَ اللهُ لَكَ، اجْلِسْ، ثُمَّ أَتَى زَوْجَهَا وَلَا يَعْرِفُهَا فَقَالَ:
إِنَّهُ كَانَ لِي امْرَأَةً، وَكَانَ مِنْ فَضْلِهَا وَصِلَاحِهَا أَنِّي خَرَجْتُ عَنْهَا وَهِيَ
كَارِهَةٌ لِذَلِكَ فَاسْتَخَلَفْتُ أَخِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَجَعْتُ سَأَلْتُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَنِي
أَخِي أَنَّهَا فَجَرَتْ فَرَجَمَهَا، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ ضَيَّعْتُهَا، فَاسْتَغْفِرُنِي
لِي .

فَقَالَتْ: غَفَرَ اللهُ لَكَ ، اجْلِسْ، فَأَجْلَسْتَهُ إِلَى جَنْبِ الْمَلِكِ.

ثُمَّ أَتَى الْقَاضِي فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ لِأَخِي امْرَأَةً وَإِنَّهَا أُعْجِبْتَنِي
فَدَعَوْتَهَا إِلَى الْفَجُورِ فَأَبَتْ، فَأَعْلَمْتُ الْمَلِكَ أَنَّهَا قَدْ فَجَرَتْ، وَأَمَرَنِي
بِرَجْمِهَا فَرَجَمْتُهَا، وَأَنَا كَاذِبٌ، فَاسْتَغْفِرُنِي لِي.

قَالَتْ: غَفَرَ اللهُ لَكَ.

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَتْ: اسْمَعْ، ثُمَّ تَقَدَّمَ الدِّيرَانِيُّ وَقَصَّ
قِصَّتَهُ وَقَالَ: أَخْرَجْتَهَا بِاللَّيْلِ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ لَقِيَهَا سَبْعٌ
فَقَتَلَهَا.

فَقَالَتْ: غَفَرَ اللهُ لَكَ ، اجْلِسْ.

ثُمَّ تَقَدَّمَ الْقَهْرْمَانُ فَقَصَّ قِصَّتَهُ. فَقَالَتْ لِلدِّيرَانِيِّ: اسْمَعْ غَفَرَ اللهُ
لَكَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ الْمَصْلُوبُ فَقَصَّ قِصَّتَهُ فَقَالَتْ: لَا غَفَرَ اللهُ لَكَ.

قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى زَوْجِهَا، فَقَالَتْ: أَنَا امْرَأَتُكَ وَكَلَّمَا سَمِعْتُ
فَإِنَّمَا هُوَ قِصَّتِي، وَلَيْسَتْ لِي حَاجَةٌ فِي الرِّجَالِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَأْخُذَ
هَذِهِ السَّفِينَةَ وَمَا فِيهَا وَتُخَلِّي سَبِيلِي، فَأَعْبَدَ اللهُ ﷻ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ

فقد ترى ما لقيتُ من الرجال، ففَعَلَ وَأَخَذَ السفينة وما فيها، فخلي سبيلها وانصرف الملكُ وأهلُ مملكته»^(١).

تحرير النفس

إن الإنسان مهما تعفف وأجهد نفسه في ذلك فلا بد أنه سيخون بنظرة، لأن الإنسان جُبِلَ على حب الشهوات، وما تَلَذَّذَ الناس في الدنيا والآخرة بلذة أكثر لهم من لذة النساء وهو قول الله ﷻ: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾^(٢). (وإن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح لا طعام ولا شراب)^(٣).

كما أن الإنسان منقل بالخطايا، ولكن كيف يمكن أن يحرر نفسه ويفجر هذه القيود التي تقيدُه؟

إن بعض الناس يعيشون كمن يعيش في كهف مظلم وقد قيد بأشد أنواع القيود، وفي الكهف فتحة يدخل منها النور، واستطاع أحدهم أن يتحرر من القيود وخرج من الفتحة ورأى الشمس،

(١) الكافي ٥/٥٥٦-٥٥٩/١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٤.

(٣) الكافي ٥/٣٢١/١٠ (عن الإمام الصادق عليه السلام).

فعرف أن مصدر الضوء هي الشمس وليس كما كان يتصور أن الضوء الذي كان يدخل من الفتحة كان نوراً من الجدار.

وأما من كان في الكهف فكانوا يظنون، أن الظلال الساقطة للناس على الجدار هم أناس حقيقيون، والحال أنهم ليسوا كذلك، حتى عاد من خرج ورأى نور الشمس ليقول لهم إن النور في هذا الكهف هو نور الشمس، وحين أجابوه: ماذا تقول فنحن طوال حياتنا ما سمعنا بهذا وإن آباءنا كانوا يقولون: إن النور الذي في الكهف هو نور الجدار.

عجيب من يرى أن النور هو من الجدار! وإن ظلال الناس على الجدار هم الناس الحقيقيون متناسين أن النور الحقيقي والناس الحقيقيون هم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل محمد عليهم السلام الذين إذا ما ارتبطنا بهم فجرنا كل القيود التي تقيد ظهورنا وخرجنا من كهف الظلمة إلى النور، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

يا أيُّها النفس المطمئنة

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٧.

ذكر سماحة الشيخ قراءتي القصة التالية أيضاً وأنا أتذكرها جيداً ، وقد كنت وقتها في طهران ، شاهدتها على شاشة تلفزيون الجمهورية الإسلامية ، وأنا أنقلها كما شاهدتها بمشاعري : لما كان سماحة آية الله المجاهد السيد علي الخامنئي قائد الجمهورية الإسلامية في إيران (دام ظلّه العالي)

يوم المصلين في صلاة الجمعة بجامع طهران انفجرت (أثناء خطبة الصلاة) قنبلة موقوتة وسط المصلين ، كان قد زرعتها أعوان صدام المتسللون من العراق داخل سجّاد موضوع على مسافة غير بعيدة من إمام الجمعة سماحة السيد الخامنئي وكان بعض الأبرياء من المصلين جالسين عليه دون علم .

وفجأة ارتفعت أشلاؤهم وتناثرت أبدانهم وعرجت أرواحهم إلى بارئها ، وكأنهم كانوا وهم في حين الطمأنينة مخاطبين بقوله تعالى : (يا أيّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) .

والغريب جداً ، أن صوت الانفجار الهائل كان في أثناء خطبة سماحة السيد الخامنئي فلم يتحرك من موضعه شبراً أو فتراً ، بل واصل الخطبة بثبات الإيمان وطمأنينة القلب .

والأروع في هذا الموقف المذهل هو اختيار السيد الخامنئي آية قرآنية في خطبته بعد الانفجار مباشرة تناسب الموقف وهي :

(ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين) (١).

(1) قصص وخواطر - ص ٣١٢

الاعتراف بالذنب

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿قُلْ مَا يَغِبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾^(١).

إن الذنب لا يقاس عادة بذاته، وإنما بالنسبة إلى من نرتكب الذنب تجاهه، فالقضية لا تدور مدار حجم المعصية أو الجريمة بمقدار ما تدور مدار من اعتبرها جريمة ونهانا عن اقترافها، وعليه فإن كل الذنوب تعتبر كبيرة لأنها تحد الله ولا صغيرة مع الإصرار .
كما أن بعض الذنوب وعد الله عليها بالعقاب وعدم الغفران، مثل إنكار الله، والشرك به، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٢).

عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: دخل عمرو بن عبيد البصري على أبي عبد الله عليه السلام فلما سلمَ وجلسَ تلا هذه الآية : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾^(٣) ثم أمسك.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٣) سورة النجم، الآية : ٣٢.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أسكتك ؟

قال: أحبُّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل.

فقال: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الشرك بالله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١) ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢).

وبعده اليأس من روح الله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)

ثم الأمن من مكر الله لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤).

ومنها عقوق الوالدين، لأن الله عز وجل جعل العاق جباراً شقيماً في قوله تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(٥).

وقتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^(٦) إلى آخر الآية.

(١) سورة النساء ، الآية: ١١٦ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٩ .

(٥) سورة مريم، الآية: ٣٢ .

(٦) سورة النساء، الآية: ٩٣ .

وقذف المحصنات، لأن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وأكل مال اليتيم ظلماً لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٢).
والفرار من الزحف، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٣).

وأكل الربا، لأن الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (٤). ويقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٥).
والسحر، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ (٦).

(١) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

والزنا ، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ
وَأَمَّنْ﴾ (١).

واليمين الغموس، لأن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ (٢) .
والغلول ، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ﴾ (٣).

ومنع الزكاة، لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ
جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٤).

وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ
يَكْتُمْهَا فإِنَّه آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (٥) .

وشرب الخمر، لأن الله ﷻ عدل بها عبادة الأوثان، وترك
الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله ﷻ، لأن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يقول: «من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨-٧٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

نِمةُ الله ﷻ وِزْمَةُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقض العهد» (١) .

وقطِيعَةُ الرِّحمِ، لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ النَّعْتَةُ وَلَهُمُ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢).

قال : فخرج عمرو بن عبيد وله صراخ من بكائه، وهو يقول: «هالك من قال برأيه، ونازعكم في الفضل والعلم» (٣) .

إنَّ الإنسانَ المُلحدَ أوَ المُشركَ قد لا يجدُ فرصةً للحصولِ على عطفه ورحمته سبحانه وتعالى، لأنَّه تحداهُ في أبشعِ أنواعِ التحدي، غيرَ أنَّ بعضَ الذنوبِ، وعدَّ اللهُ عليه الغفرانَ والعفوَ إذا ما تابَ منها العبدُ ورجعَ عنها.

وإذا رجعنا إلى الله تعالى، نجدُ أنَّه يجبُ أنَّ يعرفه العبيدُ بأنَّه أرحمُ الرَّاحمينَ، وأنَّ يعتبروا رحمته أوسعَ من ذنوبهم فلا يصابوا باليأسِ.

إلا أنَّ السؤالَ هنا: لماذا يعتبر اليأسُ من رحمة الله من أكبرِ الذنوبِ ؟

قد يكونُ السببُ أنَّ القنوطَ من رحمة الله يدفعُ الإنسانَ إلى ارتكابِ كافةِ المعاصيِ صغيرها وكبيرها.

(٦) الكافي ٢/٢٨٧ ح ٢٤ .

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٥ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣/٥٦٣-٥٦٥/٥٩٣٢ .

ويخطئ من يتصور أن الذنب الكبير يمنع الإنسان من العودة عنه، ذلك أن مرتكبه لا يشعر بانسد الأبواب بوجهه، بينما نجد القانط من رحمة الله يسد كل أبواب العودة عنه، الذي يستسلم للقنوط يقول لنفسه: ما دام مصيري إلى جهنم، فلا فرق إذن إذا ما كانت النار غداً فوق رأسي شبراً أم متراً.

إلا أن المشكلة التي يقع فيها القانط، قد يجد من يشجعه على ذلك ويزيد في قنوطه قائلاً له: بما أنك قانط من رحمة الله، ومصيرك غداً أن تساق إلى النار، فلا داعي لأن تصوم وتصلي، وتحج وتزكي وتخمس أموالك؛ مما يؤدي إلى توغله في الذنوب والمعاصي، حتى يستنفذ كل طاقاته في التمتع بشهوات الدنيا، ما دام يعرف نفسه أنه سيحرم غداً من متع الآخرة.

وما أكثر مثل هذا الإنسان بين أوساط الشباب حين ينسون أن رحمة الله أوسع من كل شيء. فالله أرحم الراحمين بعباده حتى العاصين منهم - من الأم بولدها.

إذا ما ارتكب الطفل خطأ واحداً، أو خطأين، فلا يمكن للأم أن تطرد ولدها إلى الأبد وتحرمه من العطف والتودد.

إن رحمة الأم بولدها، إنما هي نتيجة حملها له في فترة الحمل، بينما رحمة الله بعباده هي نتيجة خلقه، فلا بد أن تكون رحمة الله أقوى وأوسع.

عن أبي ذكوان عن إبراهيم بن العباس قال: «كنت في مجلس الرضا عليه السلام فتذاكرنا الكبائر وقول المعتزلة فيها أنها لا تغفر .

فقال الرضا عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله عز وجل: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ»^(١)»^(٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله المبتزين ثلاثاً .

قيل: يا رسول الله من هم ؟

قال: الذين يُقْتطون الناس من رحمة الله، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: استغاث بك قارون فلم تُغْثه، فوعزتي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه»^(٣) .

عن جندب الغفاري أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن رجلاً قال يوماً والله لا يغفر الله لفلان .

فقال الله عز وجل: من ذا الذي تألّى عليّ أن لا أعفر لفلان، فإني قد عفرت لفلان وأحببت عمل الثاني بقوله: لا يغفر الله لفلان»^(٤) .

(١) سورة الرعد، الآية: ٦ .

(٢) وسائل الشيعة ١٥/٣٣٦/٢٠٦٧٦ .

(٣) روضة الواعظين ٢/٥٣٧ ح ١٧٨٢ .

(٤) وسائل الشيعة ١٥/٣٣٦/٢٠٦٧٧ .

وتبلغ رحمة الله من السعة، أنه تعالى يكشف عنها لأكبر المذنبين، فيقول لموسى عليه السلام عندما أرسله إلى فرعون: «فإن ناصيته بيدي ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس إلا بعلمي، وأخبره بأني إلى العفو والمغفرة أسرع من الغضب والعقوبة، وقل له: أجب ربك فإنه واسع المغفرة قد أمهلك طول هذه المدة، وأنت في كلها تدعي الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفي كل ذلك تمطر عليك السماء، وتبت لك الأرض، ويلبسك العافية ولو شاء لعاجلك بالנקمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلمٍ عظيم»^(١).

قبل كل شيء لا بد أن نعرف أن الغضب قد يكون (رحمة) فالذي يظلمك، يستحق الغضب، وهذا الغضب قد يترجم إلى عقاب إلهي للظالم هو رحمة لك، لأنه يعني الانتقام لأجلك، فالغضب الإلهي لا بد وأن يكون بسبب من الأسباب، وهذا يعني أن رفع ذلك السبب يكون سبباً طبيعياً لجلب رحمة الله سبحانه وتعالى.

فإنه ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٢) فلا يغير موقفه العطوف من أحد إلا إذا غير هو موقفه من إرادة الله، والعكس بالعكس.

(١) بحار الأنوار ٦٣/١٣.

(٢) سورة الرعد، الآية : ١١.

عن الهيثم بن واقد الجزري قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله سبحانه بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية، ولا أناس كانوا على طاعتي، فأصابهم فيها سراء، فتحولوا عما أحب إلي ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلي ما يكرهون وليس من أهل قرية، ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره إلي ما أحب، إلا تحوّل لهم عما يكرهون إلي ما يحبون.

وقل لهم: إن رحمتي سبقت غضبي فلا تقنطوا من رحمتي فإنه لا يتعاضم عندي ذنب أغفره.

وقل لهم: لا يتعرضوا معاندين لسخطي ولا يستخفوا بأوليائي فإن لي سطوات عند غضبي لا يقوم لها شيء من خلقي»^(١).

إذن... فإذا ما رأينا أن أوضاعنا بدأت بالتدهور من سيء إلى أسوأ ومن أسوأ إلى مؤسف فلا نلعن الظروف، بل نفتش عن الأخطاء في ذاتنا ومواقفنا، ونغيّر علاقتنا مع الله، فعند ذلك سنجد أن الأوضاع قد بدأت تتغيّر نحو الأفضل، وذلك وعد الله **﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾**^(٢).

موجبات المغفرة

(١) الكافي ٢/٢٧٤-٢٧٥/٢٥.

(٢) سورة الحج، الآية : ٤٧.

١- إن الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى والخضوع الصادق له، والتوجه القلبي المخلص إلى رحمته تعالى، والتواضع الحقيقي، أمور كفيلة بغفران الذنوب العظام، واستدرار رحمة الله الواسعة.

يقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس: أيها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم»^(١).

إن الصلاة تؤكد معاني العبودية، وتدفع بالإنسان إلى الامتناع عن المعاصي بمرور الأيام يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

٢- وإن من موجبات المغفرة إدخال السرور على قلب المؤمن.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «إن فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام قال: إن لي عبداً أبيعهم جنتي وأحكمهم فيها.

قال عليه السلام: يا رب ، ومن هؤلاء الذين تبيعهم جنتك وتحكمهم

فيها !؟

(١) من لا يحضره الفقيه ١/٢٠٨/٦٢٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات : ٩-١١.

قال ﷺ : من أدخل على مؤمن سروراً؛ ثم قال: إن مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به ، فهرب منه إلى دار الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك ، فأظله وأرفقه وأضافه ، فلما حضره الموت أوحى الله ﷻ إليه: وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً، ولكن يا نار هيديه، ولا تؤذيه ويؤتى برزقه طرفي النهار.

قلت: من الجنة ؟

قال: من حيث شاء الله»^(١) .

٣-ومن موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحدٌ من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين، ثم قال: من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان ثم تلا قول الله ﷻ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٢﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٣﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٤﴾﴾^(٢)»^(٣).

وعن حسين بن نعيم الصحاف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

أحب إخوانك يا حسين ؟

قلت: نعم .

(١) الكافي ١٨٨/٢-١٨٩/٣.

(٢) سورة البلد، الآيات: ١٤-١٦.

(٣) الكافي ٢٠١/٢-٦.

قال: تنفع فقراءهم ؟

قلت : نعم .

قال: أما إنه يحق عليك أن تحب من يُحبُّ الله، أما والله لا

تنفع منهم أحداً حتى تحبه، أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ مَنْزِلِكَ ؟

قلت : نعم، ما أَكُلُ إِلَّا وَمَعِيَ مِنْهُمْ الرَّجُلَانِ أَوْ الثَّلَاثَةُ

وَالْأَقْلُ وَالْأَكْثَرُ .

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إِنَّ فَضْلَهُمْ عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْ فَضْلِكَ

عليهم.

فقلت: جعلت فداك أطمعهم طعامي وأوطئهم رحلي ويكون

فضلهم عليّ أعظم؟!!

قال : نعم ، إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة

عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك»^(١).

كما أن محبة الناس، واستعمال الطيب معهم طريق آخر من

طرق مغفرة الذنوب، فالله يريد للإنسان أن يعيش مع أخيه الإنسان

في حب صادق، وتودد مخلص.

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته

للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يا علي أحسن خُلُقَكَ مع أهلِكَ

(١) الكافي ٢/٢٠١ - ٢٠٢ .

وجيرانك ومن تعاشر وتصاحب من الناس تُكتب عند الله في الدرجات العلى.

يا علي، ما كرهته لنفسك فاكره لغيرك وما أحببته لنفسك فأحبه لأخيك تكن عادلاً في حكمك، مقسطاً في عدلك، محباً في أهل السماء، مودوداً في صدور أهل الأرض»^(١).

ولكي نوجه أنفسنا إلى الطريق، لا بد أن نمارس الدعاء، لأنه إيمان ذاتي إلى التوبة، فما أجمل أن يقف الإنسان بين يدي ربه ليقول له: «يا من علا فلا شيء فوقه، يا من دنا فلا شيء دونه، اغفر لي ولأصحابي»^(٢).

يقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل العبادة الدعاء، وإذا أذنَ الله لعبد في الدعاء فتح له أبواب الرحمة، إنه لن يهلك مع الدعاء أحد»^(٣).

عن الحسن بن محبوب رفعه إلى أبي جعفر H : « أنه سُئِلَ أيهما أفضل في الصلاة كثرة القراءة أو طول اللبث في الركوع والسجود ؟

(٢) بحار الأنوار ٦٧/٧٤ ح ٦ . (قطعة من الحديث).

(١) التوحيد ٦٧/٢١ ح ٢١ .

(٢) وسائل الشيعة ٣١/٧/٨٦٣١ .

فقال: كثرة اللبث في الركوع والسجود أما تسمع لقول الله تعالى: ﴿فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١) وإنما عنى بإقامة الصلاة طول اللبث في الركوع والسجود.

قال: قلت: فأيهما أفضل كثرة القراءة أو كثرة الدعاء؟
قال: كثرة الدعاء، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢) «^(٣)» .

(٣) سورة المزمل، الآية: ٢٠ .

(٤) سورة الفرقان، الآية : ٧٧ .

(٥) مستدرك الوسائل ٤/٤٤٠/٥١١٣ .

قضاء الحاجات

قال الإمام الباقر عليه السلام: «من قضى لمسلم حاجته ناداه الله وَعَلَيْكَ ثَوَابُكَ عَلَيَّ وَلَا أَرْضَى لَكَ ثَوَاباً دُونَ الْجَنَّةِ» (١) .

يعيش الإنسان في هذه الحياة وهو ناظر إلى مَنْ حوله من المؤمنين، وينظر إلى حاجاتهم وإلى ما يريدونه لأن الله وَعَلَيْكَ خلق الناس متفاوتين في الرزق حيث يقول تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» (٢)

وقد جعل الله وَعَلَيْكَ في حق الإنسان المؤمن أن يقضي حاجة أخيه المؤمن، حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «للمؤمن على أخيه ثلاثون حقاً لا براء له منها إلا بأدائها أو العفو، يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستتر عورته، ويقبل عثرته، ويقبل معذرتة، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضتة، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته ويقبل هديته،

(١) كتاب المؤمن ٤٩ ح ١١٨ .

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣٢

ويكافي صلته، ويشكر نعمته، ويحسِن نصرته، ويحفظ حليلته،
ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطستَه ، ويرشد ضالته
ويرد سلامه، ويُطيّبُ كلامه، ويبرِّرُ إنعامه، ويصدِّقُ أقسامه ويواليه
ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن
ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه ولا
يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما
يكره لنفسه»^(١) .

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : «من مشى في حاجة أخيه المسلم
أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك، ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له
حسنة وخطَّ عنه بها سيئة، ويرفَعُ له بها درجة، فإذا فرغ من حاجته
كتب الله عزَّ وجلَّ له بها أجرٌ ومعتمر»^(٢) .

فإذا ما أراد الإنسان أن تكتب له الحسنات ويظلَّهُ اللهُ
بالملائكة فليسع في قضاء حاجة أخيه المسلم، كأن يبحث عن إنسان
عازب ليست لديه القدرة المادية على تكاليف الزواج فيساعده.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «من زوج أعزب كان ممن ينظر
الله عزَّ وجلَّ إليه يوم القيامة»^(٣) .

(١) كشف الريبة، ص: ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) الكافي ٢/١٩٧/٣ .

(٣) الكافي ٥/٣٣٦/٢ وسائل الشيعة ج ١٤/٢٦/ب/١٢/ح١

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زوج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشد عضده ويستريح إليها زوجه الله من الحور العين وآنسه بمن أحبه من الصديقين من أهل بيت نبيه وإخوانه وآنسهم به»^(١).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «من زوج عازباً توجه الله بتاج الملك»^(٢).

وإذا ما علمت أن هناك شخصاً مديناً وصاحب الدين يطالبه، وأنت تعلم أنه لا يملك ما يقضي به دينه، فمن حقه عليك أن تقضي دينه أو تطلب من صاحب الدين أن يمهلته حتى يفرج الله عنه.

عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في يوم حار، وحنا كفه - من أحب أن يستظل من فور جهنم، قالها ثلاث مرات - فقال الناس في كل مرة: نحن يا رسول الله.

فقال: من أنظر غريماً أو ترك المعسر.

ثم قال لي أبو عبد الله عليه السلام: قال لي عبد الله بن كعب بن مالك إن أبي أخبرني أنه لزم غريماً له في المسجد، فأقبل رسول الله

(١) وسائل الشيعة ج ١٤/ص ٢٧/ب ١٢/ح ٥

(٢) عوالي اللآلي ١٠٢/٣٠٣/٣.

صلى الله عليه وآله وسلم فَدَخَلَ بيته ونحن جالسان، ثم خرج في
الهجرة، فكشف رسول الله سِتْرَهُ وقال:

يا كعب ما زلتما جالسين ؟

قال: نعم بأبي وأمي .

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكفه خُدَّ

النصفَ.

قال: فقلت: بأبي وأمي .

ثم قال: اتبعه ببقية حَقِّكَ .

قال: فأخذت النصف ووضعت له النصف»^(١) .

قال الله سبحانه وتعالى: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى

مَيْسَرَةٍ»^(٢) أي أن المدين متى ما كان معسراً لا ينبغي لصاحب

الدين مطالبته والإلحاح عليه بل ينبغي أن يرفق به ويُنظر إلى أن

يوسع الله عليه.

يعقوب والبلاء

عن أبي حمزة الثمالي قدس سره قال: صليت مع علي بن

الحسين H الفجر يوم الجمعة فنهضَ إلى منزله وأنا معه فدعا

(١) الكافي ٢/٣٥/٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

مولاة له، فقال: لا يقف اليوم على بابي سائل إلا أطعمتموه، فإن اليوم يوم الجمعة.

قلت: ليس كل سائل محق.

فقال: أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقاً فلا نطعمه ونرده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله عليهم السلام، أطعموهم، إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه، ويأكل هو وعياله منه، وإن سائلاً مؤمناً صواماً قواماً محقاً له عند الله منزلة، كان مجتازاً غريباً إعتز بباب يعقوب عشية الجمعة عند أوان إفطاره، فهتف على بابه :

- أطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم.

فلما ينس شكا جوعه إلى الله تعالى وبات خاوياً، وأصبح صائماً، وبات يعقوب وآله شباعاً بطاناً، وأصبحوا عندهم فضلة من طعام.

فأوحى الله تعالى إلى يعقوب عليه السلام: استوجبت بلوأي، أو ما علمت أن البلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن نظر مني لأوليائي، استعدوا لبلائي.

فقلت لعلي بن الحسين H : متى رأى الرؤيا ؟

قال: في تلك الليلة التي بات فيها آل يعقوب عليهم السلام شباعاً، وبات فيها ذلك الغريب جائعاً، فلما قصها على أبيه اغتم يعقوب لما

سمع من يوسف مع ما أوحى إليه : أن استعد للبلاء، وكان أول بلوى نزلت بآل يعقوب الحسد ليوسف عليه السلام فلما رأى إخوة يوسف كرامة أبيه إياه اشتد عليهم فتآمروا حتى قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾^(١)، فلما خرجوا به أتوا به غيضة أشجار، فقالوا: نذبحه ونلقيه تحت شجرة يأكله الذئب.

فقال كبيرهم: لا تقتلوه ولكن القوه في غيابة الجب؛ فألقوه فيه وهم يظنون أنه يغرق فيه ، فلما أمسوا رجعوا إلى أبيهم ﴿عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ❁ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ﴾^(٢) فاسترجع وعبر فصبر وأذعن للبلوى. وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ﴾^(٣) «^(٤).

داود عليه السلام وملك الموت

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «بينما داود عليه السلام جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثُر الجلوس عنده ويَطِيل الصمت، إذ أتاه ملك الموت عليه السلام فسَلَّمَ عليه، وأخذ ملك الموت عليه السلام النظر إلى الشاب. فقال داود عليه السلام : نظرت إلى هذا !؟

(١) سورة يوسف ، الآية: ١٢.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ١٦-١٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٤) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٢٦-١٢٧ ح ١٢٧.

فقال: نعم، إني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضوع.

فرحمه داود عليه السلام فقال: يا شاب هل لك امرأة ؟

فقال: لا وما تزوجت قط.

قال داود: فأت فلاناً رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل فقل له إن داود عليه السلام يأمرك أن تزوجني ابنتك، وتدخل بها في هذه الليلة، وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها، فإذا مضت سبعة أيام فوافني في هذا الموضوع.

فمضى الشاب برسالة داود عليه السلام فزوجه الرجل ابنته، وأدخلوها عليه، وأقام عندها سبعة أيام، ثم وافى داود عليه السلام يوم السابع .

فقال له داود عليه السلام: يا شباب كيف رأيت ما كنت فيه ؟

قال: ما كنت في نعمة وسرور قط أعظم مما كنت فيه.

قال داود عليه السلام: اجلس؛ فجلس وداود عليه السلام ينتظر أن يقبض روحه فلما طال قال: انصرف إلى منزلك، فكن مع أهلك فإذا كان اليوم الثامن فوافني ها هنا .

فمضى الشاب ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثم انصرف أسبوعاً آخر ثم أتاه وجلس، فجاء ملك الموت إلى داود عليه السلام.

فقال له داود عليه السلام: أأست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيام ؟

قال: بلى .

فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية.

قال: يا داود إن الله تعالى رحمه برحمتك له فأخر في أجله ثلاثين سنة»^(١) .

ومن المؤسف حقاً أن ترى بعض الناس - وخصوصاً من أنعم الله عليه - إذا ما رأى أحداً من إخوانه في حاجة غض الطرف عنه وكأن الأمر لا يعنيه ولم يبادر إلى قضائها، وليس يدري أنه يرد بعمله هذا نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، كما ترى البعض من يرد صاحب الحاجة حين يقبل عليه ملهوفاً يرجو منه قضاءها إلا أنه يخلق الأعذار حتى لا يقضيها له.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتتحول إلى غيركم»^(٢) .

عن صفوان الجمال قال: كنت جالساً مع أبي عبد الله عليه السلام إذ دَخَلَ عليه رجل من أهل مكة يقال له ميمون، فشكا إليه تَعَدُّر الكراء عليه.

(١) قصص الأنبياء للجزائري ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٢) مستدرک الوسائل ١٢/٣٦٩/١٤٣٢٢ .

فقال لي: قم فأعن أخاك.

فقمتم معه فبَسَّرَ اللهُ كِرَاهُ فَرَجَعْتُ إِلَى مَجْلِسِي، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ
الله عليه السلام: ما صنعت في حاجة أخيك؟
فقلت: قضاها الله بأبي أنت وأمي .

فقال: أما إنك أن تعين أخاك المسلم أحب إلي من طواف
أسبوع بالبيت مبتدئاً ثم قال: إن رجلاً أتى الحسن بن علي عليه السلام
فقال: بأبي أنت وأمي أعني على قضاء حاجة فانتعل وقام معه، فمرَّ
على الحسين عليه السلام وهو قائم يصلي فقال له: أين كنت عن أبي عبد
الله عليه السلام تستعينه على حاجتك .

قال : فقد فعلتُ بأبي وأمي. فذكر أنه معتكف.

فقال له: أما لو إنَّهُ لو أعانك كان خيراً له من اعتكافه
شهرًا»^(١) .

وعن أبي حمزة الثمالي قدس سره عن علي بن الحسين H
قال: «من قضى لأخيه حاجة فبجاجة الله بدأ، وقضى الله بها مائة
حاجة في إحداهن الجنة ومن نفَّس عن أخيه كُرْبَةً نفَّس الله عنه
كُرْبَ القِيَامَةِ بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالمٍ له أعانهُ اللهُ على
إجازة الصراط عند دحض الأقدام، ومن سعى له في حاجته حتى
قضاها فبَسَّرَ بقضائها كان إدخال السرور على رسول الله صلى الله

(١) الكافي ٢/١٩٨/٩.

عليه وآله وسلم، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرِّحِيقِ المختوم،
ومن أطعمه من جوعٍ أطعمَهُ اللهُ من ثمار الجنة، ومن كساه من
عُرِي كساه الله من إسترِيقٍ وحرير، ومن كساه من غير عُرِي لم
يزل في ضمان الله ما دام على المكسوِّ من الثَّوبِ سِلْكٌ، ومن عاده
عند مرضه حَفَّتُهُ الملائكة تدعو له حتى ينصرف وتقول له: طِبَّتْ
وطابت لك الجنة، ومن زَوْجَهُ زَوْجَةً يَأْنَسُ بها ويسكن إليها آنسه
الله في قبره بصورة أحب أهله إليه، ومن كفاه بما هو يمتهنُّه وَيَكْفُفُ
وجهه ويصل به وُلْدُهُ أَخْدَمَهُ اللهُ ﷺ من الولدان المخلدين، ومن
حمله من رحله بَعَثَهُ اللهُ يوم القيامة في الموقف على ناقَةٍ من نوق
الجنة يباهي به الملائكة، ومن كفنه عند موته فكأنما كَسَاهُ من يوم
وُلْدَتُهُ أُمَّهُ إلى يوم يَمُوتُ والله لِقَضَاءِ حاجته أحبُّ إلى الله من صيام
شهرين متتابعين واعتكافهما في المسجد الحرام»^(١).

وعن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حق
المؤمن على المؤمن؟

فقال: حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك لو حدثتكم
لكفرتم ، إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول
له: ابشر بالكرامة من الله والسرور.

فيقول له: بشرك الله بخير.

(١) وسائل الشيعة ١٦/٣٤٢-٣٤٣/٢١٧١٦.

قال: ثم يمضي معه يبشّرهُ بمثل ما قال، وإذا مرَّ بهول قال: ليس هذا لك، وإذا مرَّ بخير قال: هذا لك، فلا يزال معه يؤمّنهُ مما يخاف ويُبشّرهُ بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله ﷻ، فإذا أمر به إلى الجنة، قال له المثل: أبشّر فإن الله ﷻ قد أمر بك إلى الجنة. قال: فيقول: من أنت رحمتك الله تُبشّرني من حين خرجت من قبوري وأنستني في طريقي وخبرتني عن ربي ؟

قال: فيقول: أنا السرور الذي كنت تدخله على إخوانك في الدنيا خلقتُ منه لأبشرك وأونس وحشتك»^(١).

قد يسأل سائل فيقول: لماذا كل هذا الثواب لمن قضى لأخيه المؤمن حاجة ؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة»^(٢)، «وما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن، وأن المؤمن أفضل حقاً من الكعبة»^(٣). «ولا يكون المؤمن مؤمناً أبداً حتى يكون لأخيه مثل الجسد إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه»^(٤)، فإذا ما قضى المؤمن لأخيه المؤمن فقد سره

(١) الكافي ١٠/١٩١/٢.

(٢) الحكم الزاهرة ٢٣٣ ح ١٢٤٠، والخصال ٢٧ ح ٩٥ .

(٣) كتاب المؤمن ٤٢/٩٥.

(٤) كتاب المؤمن ٣٩/٩٠.

و«من سر مؤمناً فقد سرنى، ومن سرنى فقد سر الله»^(١)، كما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. أفلا يستحق قضاء حاجة المؤمن كل هذا الثواب ؟

ومما لا شك فيه فإن قضاء حوائج المؤمنين فيما بينهم سيؤدي إلى تماسك الروابط الاجتماعية فيما بينهم، ويجعل كل واحد منهم مسؤولاً تجاه أخيه المؤمن، ويثير في النفوس حالة التنافس من أجل الخير " وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"^(١).

من عادة علمائنا الأبرار أنهم لا يأتي لهم مؤمن صاحب حاجة إلا ويقضون حاجته ومن حرص روح الشريعة المولى المعظم الميرزا عبد الله الحائري الإحراقي حرسه الله من كيد الحاسدين أنه لا يأتي له صاحب حاجة إلا ويقضيها له أتذكر أن إنساناً حضر عنده وطلب حاجة قد يتعسر قضاؤها فوراً فقال له : لا تتعد عن ناظري حتى أقضي لك حاجتك وأعطيك أمينتك .

(٥) كتاب المؤمن ٤٨/ح ١١٤.

(1) سورة المطففين آية ٢٦.

الإنصاف

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده لمالك الأشرق قدس سره : «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ هَوًى فِيهِ مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلُ تَظْلِمُ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَحْضَرَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُظْطَهَّدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمَرْصَادِ»^(١) .

النظرة الظالمية في المجتمعات البشرية

قد يظن الإنسان أنه لا يظلم أحداً إذا ما عاش بمفرده في هذه الحياة أو أنه يكف نفسه إذا ما ترك نفسه وشأنها، إلا أنه والحال هذه إنما يظلم نفسه، ويظلم الإنسان لنفسه إنما يظلم غيره. وعندما يرتكب الإنسان معصية ما، فلن تكون تلك المعصية جارية عليه فقط بل سينتقل أثرها إلى غيره.

(١) شرح نهج البلاغة ٣٤/١٧ .

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «من عمل باب هُدًى كان له أجرٌ من عمل به ولا يُنقص أولئك من أجورهم، ومن عمل باب ضلالٍ كان عليه مثل وزرٍ من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم»^(١).

وروي أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله الصادق عليه السلام فسلمت عليه، وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى عليه السلام في دهليز داره قاعداً في مكتبه، وهو صغير السن، فقلت له: أين يضع الغريب إذا كان عندكم إذا أراد ذلك؟ فنظر إلي ثم قال: «يتجنب شطوط الأنهار ومسقط الثمار، وأفنية الدور، والطرق النافذة، والمساجد ويضع بعد ذلك حيث يشاء».

فلما سمعت هذا القول نبلى في عيني وعظم في قلبي وقلت:
جعلت فداك ممن المعصية؟

فنظر إليّ ثم قال:

اجلس حتى أخبرك.

فجلست فقال: إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً، فإن كانت من الرب فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما جميعاً فهو شريكه، فالقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من

(١) وسائل الشيعة ١٦/١٧٥/٢١٢٧٨.

العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب، ولذلك وجبت له الجنة والنار .

قال: فلما سمعت ذلك قلت «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^(١)»^(٢).

إن الإنسان إذا لم ينصف الله في نفسه لم ينصف الناس فيها ومن رضي بالظلم فقد شارك فيه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ رَضِيَ بِهِ حَكَمًا لغيره»^(٣) .

ويقول عليه السلام أيضاً: « انصف الناس من نفسك وأرض لهم بما ترضى لنفسك واذكر الله كثيراً...»^(٤) .

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم واحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٣٤ .

(٢) الثاقب في المناقب ١٧١ ح ١٥٧، وحلية الأبرار ٢/٢٣٠، والاحتجاج ٢/٣٣١ - ٣٣٢ بتفاوت يسير والنص مأخوذ عن حلية الأبرار .

(٣) الكافي ٢/١٤٦/١٢ .

(٤) بحار الأنوار ٦٦/٣٩٧/٨٥ .

تستقبِّهُ من غيرك، وارضَ من الناس بما ترضاهُ لهم من نفسك..»
(١)

رقة القلب

أوحى الله ﷻ إلى موسى ﷺ : «يا موسى لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كل حال ، فإن كثرة المال تنسي الذنوب ، وإن ترك ذكري يقسي القلوب» (٢) .

ويقول الإمام أمير المؤمنين ﷺ : «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب» (٣) .

إن السبب وراء قسوة القلوب إنما هو عدم إنصافنا أنفسنا من خلال ارتكاب المعاصي، وعدم ذكر الله تعالى في السراء والضراء، فإذا ما سكت الإنسان على ظلم نفسه فسوف يسكت على ظلم غيره، فالظلم ظلماً: ظلم الإنسان لنفسه وظلمه لغيره. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤)، ويقول جل وعلا : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٥) .

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/٨٤.

(٢) الجواهر السنوية ٣٨ ، وعلل الشرائع ١٠٢/١ باب ٧٤ ح ٢ .

(٣) علل الشرائع ١٠٢/١ باب ٧٤ ح ١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٥٧ .

(٥) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

عن زرارة عن أبي جعفر H قال: «سألته عن قول الله ﷻ
﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) قال: إِنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ
وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَظْلَمَ وَلَكِنَّهُ خَلَطْنَا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظَلَمْنَا
ظَلَمَهُ وَوَلَايَتَنَا وَوَلَايَتَهُ»^(٢).

ويقول عيسى بن مريم H: «قسوة القلوب من جفوة العيون،
وجفوة العيون من كثرة الذنوب، وكثرة الذنوب من حب الدنيا، وحب
الدنيا رأس كل خطيئة»^(٣).

إن حب الدنيا يؤدي إلى قسوة القلب حيث لا يمكن أن
يجتمع في قلب المؤمن حب الله الذي يصير القلب رقيقاً وبين
حب الدنيا الذي يجعله قاسياً.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «إِنْ كُنْتَ تَحْبِنِي فَاخْرُجْ
حُبِّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ فَإِنْ حَبَبِي وَحَبَّهَا لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ»^(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»^(٥) قال: «هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي سَلِمَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا»^(٦).

ويقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الدُّنْيَا
تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٢) تفسير الصافي ١/١٣٥.

(٣) مستدرك الوسائل ١٢/٣٩/١٣٤٥٨.

(٤) مستدرك الوسائل ١٢/٣٩ ح ١٣٤٥٨.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

(٦) مستدرك الوسائل ١٢/٤٠/١٣٤٦٠.

غَلَبَ عليها. وأيم الله ما كان قومٌ قطَّ في غَضِّ نعمةٍ من عيشٍ فزال عنهم إلا بذنوبٍ اجترحوها لأن الله ليس بظلامٍ للعبيد، ولو أن الناس حين تنزل بهم النقمُ وتزولُ عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووليه من قلوبهم لرد عليهم كُلَّ شاردٍ وأصلح لهم كُلَّ فاسدٍ»^(١).

الشفاعة العامة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم قاعدٌ إذ نزل جبرئيل عليه السلام وهو كئيبٌ حزينٌ متغيرُ اللون، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرائيل مالي أراك كئيباً حزيناً؟

قال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك، وإنما وُضعت منافيخُ جهنم اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وما منافيخُ جهنم يا جبرائيل؟

قال: إن الله تبارك وتعالى أمرَ بالنار فأوقد عليها ألفَ عامٍ حتى احمرت، ثم أمر بها فأوقد عليها ألفَ عامٍ حتى ابيضت، ثم أمر فأوقد عليها ألفَ عامٍ حتى اسودت، وهي سوداء مظلمة، فلو أن حلقةً من السلسلة التي طولها سبعين ذراعاً وضعت على الدنيا

(١) شرح نهج البلاغة ١٠/٦١.

لذابت من حرها، ولو أن قطرة من الزقوم أو الضريع قُطرت في شراب أهل الدنيا لemat أهل الدنيا من ننتها.

قال: فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبرائيل عليه السلام فبعث الله إليهما ملكاً فقال إن ربكما يُقرؤكما السلام ويقول لكما: إني قد أمنتكما من أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه»^(١).

عن عبد الله بن بكير الأرجاني قال: صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة إلى المدينة فنزلنا منزلاً يقال له عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق وحش. فقلت له: يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل؟ ما رأيت في الطريق مثل هذا!

فقال لي: يا بن بكير تدري أي جبل هذا؟

قلت: لا .

قال: هذا جبل يقال له الكمد وهو على واد من أودية جهنم وفيه قتلة أبي الحسين عليه السلام استودعهم الله فيه تجري من تحته مياه جهنم من الغسلين والصدید والحميم، وما يخرج من جب الجوي، وما يخرج من الفلق من آثام وما يخرج من طينة خبال، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من الحطمة وما يخرج من لظى، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الجحيم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير. وما مررت بهذا الجبل في سفري فوقفت فيه إلا رأيتهما

(١) روضة الواعظين ٥٤٣/٢ - ٥٤٤ ح ١٧٩٦ .

يستغيثان إليّ واني لأنظر إلى أبي فأقول لهما: إن هؤلاء إنما فعلوا ما فعلوا بما أسستما لهم لم ترحمونا إذ وليتم وحرمتونا وقتلتونا ووثبتم على حقنا واستبددتم بالأمر دوننا فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا ويال ما قدمتما وما الله بظلام للعبيد...» (١) .

إذا كانت جهنم كما وصفها جبرئيل عليه السلام للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان الإمام الحسين عليه السلام يقول: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما» ترى من ذا الذي يشفع لنا غداً ونحن نظلم بعضنا بعضاً ؟

ومن يشفع لنا ونحن لم ننصر إخواننا ظالمين ولا مظلومين، وهل قمنا ببعض مما كان يقوم به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نصرة المظلومين ؟

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «رجع أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى داره وقت القيظ فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ وحلف ليضربني .

فقال: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله.

(١) تأويل الآيات، ص ٨٤٠-٨٤١.

فأقلت: يشتد غضبه وحرده عليّ. فطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعنت، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم.

فخرج شاب فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: يا عبد الله اتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها؟

فقال الفتى: وما أنت وذاك والله لأحرقنّها لكلامك.

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟

قال: فأقبل الناس من الطرق يقولون: سلام عليك يا أمير المؤمنين. فسقط الرجل في يديه فقال: يا أمير المؤمنين أقتني عثرتي فوالله لأكون لها أرضاً تطوئي، فأعمد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيفه وقال: يا أمة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه»^(١).

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله. فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه الله فالمداينة بين العباد»^(٢).

(١) مستدرک الوسائل ١٢/٣٣٧/١٤٢٢٣.

(٢) الكافي ٢/٣٣٠ - ١/٣٣١.

إن ظلمنا للآخرين إنما هو ظلمة يوم القيامة حيث العقاب الشديد الذي لا مفر منه، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة»^(١).
وليس من مظلمة أشد من ظلم من لا يجد ناصرًا على ردها إلا الله ﷻ.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لما حضرَ علي بن الحسين H الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»^(٢).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله ﷻ»^(٣).

كما تظهر علامات الظلم وآثاره على الظالم في الدنيا في نفسه وماله وأولاده، وفي الآخرة حيث القصاص.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ما من أحدٍ يظلم بمظلمةٍ إلا أخذه الله بها في نفسه وماله، وأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غَفَرَ اللهُ له»^(٤).

(٣) الكافي ١١/٣٣٢/٢.

(١) الكافي ٥/٣٣١/٢.

(٢) الكافي ٤/٣٣١/٢.

(٣) الكافي ١٢/٣٣٢/٢.

وعن عبد الأعلى مولى آل سام قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام مُبتدئاً: مَنْ ظَلَمَ سَلَطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ أَوْ عَلَى عَقْبَةٍ أَوْ عَلَى عَقْبِ عَقْبِهِ.

قلت: هو يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه؟
فقال: إن الله عز وجل يقول: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً»^(١) «^(٢).

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام :

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِراً فالظلم مرتعه يُفْضِي إلى الندم
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يدعو عليك وعينُ الله لم تنم
فاحذر بُنيٍّ مِنَ الْمَظْلُومِ دَعْوَتُهُ كيلا يصبك سِهامُ الليل في الظلم^(٣)

(١) سورة النساء، الآية: ٩.

(٢) الكافي ٢/٣٣٢/١٣.

(٣) ديوان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

أداء الأمانة

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١) .

ما هو معنى الأمانة ؟

ورد لهذه الآية عدة تفاسير :

أحدها: أنها في كل من استأمن أمانة من الأمانات، وأمانات الله وأوامره ونواهيها وأمانات عباده فيما يأتى بهم بعضاً من المال وغيره.

الأمانة : ولاية الأمر

ثانيها: أن المراد به ولاية الأمر أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وأبي عبد الله الصادق عليه السلام قالوا:

«أمر الله سبحانه كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده»^(٢)

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨ .

(٢) بحار الأنوار ٢٣/٢٧٤ .

ويعضده أنه سبحانه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الأمر، فروي عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، وهذا القول داخل في القول الأول لأنه من جملة ما ائتمن الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال أبو جعفر H: «إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة»^(٣)، ويكون الأمر لولاة الأمر بقسمة الغنائم والصدقات وغير ذلك مما يتعلق بحق الرعية.

الأمانة مفاتيح الكعبة

وثالثها: أنه لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح، غلق عثمان بن طلحة العبدي باب البيت وصعد السطح، فطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم المفتاح منه فقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فصعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام السطح ولوى يده وأخذ المفتاح منه وفتح الباب، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم البيت فصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح فنزل ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة النساء، الآية : ٥٨ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٥٩ .

(٣) بحار الأنوار ٢٣/٢٧٤ .

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴿١﴾، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه.

فقال له عثمان: يا علي أكرهت وأذيت ثم جئت برفق !

قال: لقد أنزل الله ﷻ في شأنك وقرأ عليه الآية، فأسلم

عثمان فأقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يده (٢).

وعن الشعبي عن قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (٣)، قال: أقول ولا أخاف إلا الله، هي والله

ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام (٤).

الأمانة المعنوية

تطلق الأمانة تارة على نفس الإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٥). وقال بذلك بعض

الحكماء والعرفاء الذين غاصوا في بحر المعرفة حيث يقولون: إنها

حقيقة النفس التي لم تتقبلها السماوات والأرض وتقبلها الإنسان نظراً

لجهله الحقيقة وما تقتضيه هذه النفس.

(١) سورة النساء، الآية : ٥٨ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢/ ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) سورة النساء، الآية ٥٨ .

(٤) تفسير فرات ١٠٧ ح ١٠٣ .

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢ .

الأمانة هي الولاية

أما الإمام الصادق عليه السلام فيقول: «إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم عليهم السلام فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال:

هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي، ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منهم، ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري، ومن أقر بولايتهم ولم يدع منزلتهم مني ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جناتي، وكان لهم فيها ما يشاءون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جوارِي، وشفعتهم من المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي، فأياكم يحملها بأثقالها ويدعيها لنفسه دون خيرتي؛ فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، وأشفقن من ادعاء منزلتها وتمني محلها من عظمة ربها.

فلما أسكن الله ﷻ آدم وزوجته الجنة قال لهما: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(١) يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) فنظر إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم عليهم السلام فوجدها أشرف منازل أهل الجنة فقالا :

يا ربنا لمن هذه المنزلة ؟

فقال الله جلّ جلاله: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي، فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم عليهم السلام مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جلّ جلاله.

فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبهم إليك وما أشرفهم لديك !

فقال الله جلّ جلاله: لولا هم ما خلقتكما، هؤلاء خزنة علمي، وأمنائي على سري، إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد وتتمنيا منزلتهم عندي ومحلمهم من كرامتي، فتدخلا بذلك في نهبي وعصياني فتكونا من الظالمين.

قالا : ربنا ومن الظالمون ؟

قال : المدعون لمنزلتهم بغير حق .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

قالا : ربنا فأرنا منازل ظالمهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم في جنتك.

فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال والعذاب، وقال ﷻ: مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم في أسفل درك منها، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها، وكلما نضجت جلودهم بدلّوا سواها ليذوقوا العذاب.

يا آدم ويا حواء لا تنظرا إلى أنواري وحججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواربي وأحلّ بكما هواني. فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال: (ما نهيكما ريكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فدليهما بغرور)^(١) ، وحملهما على تمني منزلتهم، فنظرا إليهم بعين الحسد، فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة، فعاد مكان ما أكلا شعيراً، فأصل الحنطة كلها مما لم يأكله، وأصل الشعير كله مما عاد مكان ما أكلاه. فلما أكلا من الشجرة طار الحلي والحلل عن أجسادهما وبقيا عريانين، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما: (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقلّ لكما إنّ الشيطان لكما عدو مبين)^(٢) ؟

فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين.

(1) سورة الأعراف الآية ٢٠.

(2) سورة الأعراف الآية ٢٢

قال: اهبطا من جوارى، فلا يجاورني في جنتي من يعصيني.
فهبطا موكلين إلى أنفسهما في طلب المعاش، فلما أراد الله
ﷻ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل ﷺ فقال لهما: إنكما إنما
ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضّل عليكم فجزاؤكما ما قد
عوقبتما به من الهبوط من جوار الله ﷻ إلى أرضه، فسلا ريكما
بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما.
فقالا: اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة
والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام إلا تبت علينا ورحمتنا. فتاب
الله عليهما إنه هو التواب الرحيم، فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون
هذه الأمانة ويخبرون بها أوصيائهم والمخلصين من أممهم فيأبون
حملها ويشفقون من ادعائها وحملها الإنسان الذي قد عرف، فأصل كل
ظلم منه إلى يوم القيامة وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١) «(٢) .

إن أداء الأمانة واحدة من مكارم الأخلاق التي بعث من
أجلها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: «إنما
بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٣) وما بعث الله نبياً قط إلا بصدق
الحديث وأداء الأمانة.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) معاني الأخبار ١٠٨-١١٠/ح ١ .

(٣) ميزان الحكمة ٣/١٤٩ ح ٥٠٥٨ .

يقول عبد الله بن زياد: «سلمنا على أبي عبد الله عليه السلام بمنى
ثم قلت: يا ابن رسول الله إنا قوم مجتازون لسنا نطبق هذا
المجلس منك كلما أردناه عليه فأوصنا.

قال: عليكم بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن
الصحبة لمن صحبتكم، وإفشاء السلام وإطعام الطعام صلوا في
مساجدهم وعودوا مرضاهم واتبعوا جنازهم فإن أبي حدثني : إن
شيئتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان
منهم، وإن كان مؤذن كان منهم، وإن كان إمام كان منهم، وإن كان
صاحب أمانة كان منهم، وإن كان صاحب ودیعة كان منهم، وكذلك
كونوا حبيونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»^(١) .

ويقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة بعد ذكر
الصلاة والزكاة: «ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها، إنها
عُرِضت على السماوات المبنية والأرضين المدحوة، والجبال ذات
الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها،
ولو امتنع شيء بطولٍ أو عرضٍ أو قوةٍ أو عزٍّ لامتنع ولكن
أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهلن من هو أضعفُ منهنَّ وهو
الإنسانُ **«إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»**^(٢)»^(٣) .

(١) بحار الأنوار ١٦٢/٧١ - ١٦٣ ح ٢٥ ، وصفات الشيعة ٢١٦ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢ .

(٣) نهج البلاغة ص ٣١٧ - ٣١٨ .

وقال بعض الناس للقمان عليه السلام وقد كان عبداً أسود حبشياً غليظ المشافر في زمن داود عليه السلام: «ألمت كنت ترعى الغنم معنا فمن أين أوتيت الحكمة؟»

قال: «أداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني»^(١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «أحب العباد إلى الله تعالى رجل صدوق في حديثه محافظ على صلاته وما افترض الله عليه مع أداء الأمانة ثم قال: مَنْ أُوْتِمِنَ عَلَى أَمَانَةٍ فَأَدَاهَا، فَقَدْ حَلَّ أَلْفَ عَقْدَةٍ مِنْ عُنُقِهِ مِنْ عَقْدِ النَّارِ، فَبَادَرُوا بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، فَإِنْ مِنْ أُوْتِمِنَ عَلَى أَمَانَةٍ وَكَلَّ بِهِ إِبْلِيسُ مِائَةَ شَيْطَانٍ مِنْ مَرْدَةِ أَعْوَانِهِ لِيُضْلُوهُ وَيُوسِسُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَهْلِكُوهُ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ عَنْكَ»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن سيابة قال: لما هلك أبي سيابة جاء رجل من إخوانه إليّ ، فضرب الباب عليّ، فخرجت إليه فعزاني وقال لي: هل ترك أبوك شيئاً؟

فقلت له : لا ؛ فدفعت إليّ كيساً فيه ألف درهم وقال لي: أحسن حفظها وكُلْ فضلها. فدخلت إلى أمي وأنا فرح فأخبرتها، فلما كان بالعشي أتيت صديقاً كان لأبي، فاشتري لي بضائع سابري وجلست في حانوتٍ ، فرزق الله عَنْكَ فيها خيراً كثيراً،

(١) قصص الأنبياء للجزائري ص ٣٧١.

(٢) روضة الواعظين ٢/٢٥٥ ح ١٠٧٦.

وحضر الحج فوقع في قلبي فجئت إلى أمي وقلت لها: إنه قد وقع في قلبي أن أخرج إلى مكة.

فقلت لي: فرد دراهم فلان عليه فهاتها. وجئتُ بها إليه فدفعتها إليه فكأنني وهبتها له.

فقال: لعلك استقللتها فأزيدك ؟

قلت : لا ولكن قد وقع في قلبي الحج فأحببتُ أن يكون شيئك عندك. ثم خرجت فقضيت نسكي، ثم رجعت إلى المدينة، فدخلت مع الناس على أبي عبد الله عليه السلام وكان يأذنُ إذناً عاماً فجلستُ في مواخير الناس وكنت حَدَثًا، فأخذَ الناس يسألونه ويُجيبهم.

فلما خَفَّ الناس عنه أشار إلي فدنوت إليه فقال لي: ألك

حاجة ؟

فقلت : جعلت فداك أنا عبد الرحمن بن سيابة.

فقال لي: ما فعل أبوك ؟

فقلت : هلك .

قال: فتوجع وترحم قال ثم قال لي : أفترك شيئاً ؟

قلت : لا .

قال : فمن أين حججت ؟

قال : فابتدأت فحدثته بقصة الرجل، قال : فما تركني أفرغ

منها حتى قال لي : فما فعلت في الألف ؟

قال: قلت : رددتها على صاحبها .

قال: فقال لي : قد أحسنت، وقال لي : ألا أوصيك ؟

قلت : بلى جعلت فداك .

فقال : «عليك بصدق الحديث وأداء الأمانة تُشرك الناس في أموالهم» هكذا، وجمع بين أصابعه. قال: فحفظت ذلك عنه فزكيتُ ثلاثمائة ألف درهم»^(١) .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : «أدوا الأمانة ولو إلى قاتل الحسين عليه السلام»^(٢) .

ويقول عليه السلام : «اتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنْ أَيْتَمَنَكُمْ، وَلَوْ أَنْ قَاتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَيْتَمَنِي عَلَى أَمَانَةٍ لِأَيْدِيهَا إِلَيْهِ»^(٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «أدوا الأمانة ولو إلى قاتل ولد الأنبياء»^(٤) .

إن الأمانة الحقيقية التي عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها إنما هي ولاية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل محمد عليهم السلام.

(١) أمالي الصدوق : ٢٠٤ / ٥

(٢) أمالي الصدوق : ٢٠٣ / ٤

(٣) البحار : ج ٧٥ / ١١٥ / ٨

(٤) أمالي الصدوق : ص ٢٠٣ / ٥

عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما عرج بي إلى السماء صرت إلى سدة المنتهى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١) فأبصرته بقلبي، ولم أره بعيني، فسمعت أذناً مثنى مثنى، وإقامة وترّاً وترّاً، فسمعت منادياً ينادي: يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي اشهدوا أني لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي. قالوا: شهدنا وأقرنا .

قال : اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأن محمداً عبدي ورسولي . قالوا: شهدنا وأقرنا .

قال : اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأن علياً وليي وولي رسولتي وولي المؤمنين بعد رسولتي . قالوا: شهدنا وأقرنا .

قال عباد بن صهيب قال جعفر بن محمد قال أبو جعفر H: «وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا ذكر هذا الحديث فقال: أنا أجده في كتاب الله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢) قال: فقال ابن عباس رضي الله عنهما : والله ما

(١) سورة النجم، الآية : ٩ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢ .

استودعهم ديناراً ولا درهماً ولا كنزاً من كنوز الأرض، ولكنه أوحى إلى السماوات والأرض والجبال من قبل أن يخلق آدم عليه السلام أنني مخلف فيك الذرية ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أنتِ فاعلة بهم ؟ إذا دعوك فأجيبهم، وإذا آووك فأويهم، وأوحى إلى الجبال إذا دعوك فأجيبهم وأطبقي على عدوهم فأشفقن منها السماوات والأرض والجبال عما سأله الله من الطاعة فحملها بنو آدم فحملوها».

قال عباد قال جعفر عليه السلام: «والله ما وفوا بما حملوا من طاعتهم»^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»^(٢)، قال: هذه الآية في أمر الولاية أن تسلم إلى آل محمد عليهم السلام»^(٣).

إذا كان أداء الأمانة واجباً للبر والفاجر، وكان أداؤها لقاتل علي بن أبي طالب عليه السلام أو لقاتل الحسين عليه السلام واجباً أيضاً. فما حكم أدائها لحجج الله وأوصيائه في أرضه ؟ وهل حافظنا على تلك الأمانة وتمسكنا بها؟ وهي الحصن الآمن من عذاب الله يوم القيامة، وهل ما زلنا نستوفي شروط الدخول في تلك الولاية ؟

(١) بحار الأنوار ٢٣/٢٨٢/٢٩، تفسير فرات ٣٤٢ - ٣٤٣ ح ٤٦٨ .

(٢) سورة النساء، الآية ٥٨ .

(٣) بحار الأنوار ٢٣/٢٨٣/٣٠ .

الفصل الثالث

الصفات السيئة في سلوك الإنسان

- ❖ الشهوات الإنسانية .
- ❖ المن والأذى والرياء .
- ❖ التكبر والفخر .
- ❖ الغضب .

الشهوات الإنسانية

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾^(١).

الشهوة عبارة عن القوة النفسانية التي تدفع الإنسان لجلب ما
ينفعه ، ذلك لأن الإنسان جُبِلَ على شيء موجود في فطرته وهو
حب البقاء، ولا يوجد من لا يحب البقاء إلا من استثنى من
الشخصيات الجهادية التي تفتح صدورها أمام السيوف والرصاص
دفاعاً عن مبادئها وقيمها الرفيعة، فإن مثل أولئك الأشخاص
باعوا أنفسهم لله كما يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢) .

إن الشهيد وهو يحمل روحه فوق كفه في طريق الجهاد فإن
في نفسه شهوة حب البقاء، والجبان عندما يخاف من الموت فإن

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٠٧ .

داخله شهوة حب البقاء أيضاً إلا أنه شتان ما بين شهوة حب البقاء بين الشهيد والجبان.

يقول أبو الطيب المتنبي :

أرى كُننا يبغي الحياة لنفسه

حريصاً عليها مُستهماً بها صَباً

فحبّ الجبان النفسَ أوردَه البقا

وحبّ الشجاع النفسَ أوردَه الحرباً^(١)

إن كلاً من الشهيد والجبان يحب نفسه، ولكن الشهيد أحب نفسه فأوردها المواجهة والحرب، والجبان أحب نفسه فأوردها حب الدنيا والبقاء فيها، وفرق بين أن يبقى الإنسان فترة معينة وقصيرة وبين أن يمتد بقاء الإنسان فترة طويلة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْزَقِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

إن حب الدنيا وراء حب البقاء و« من أشرب قلبه حب الدنيا، وركن إليها، التناظر^(٣) منها بشغل لا يفرغ عنها^(٤)، وأمل لا يبلغ منتهاه، وحرص لا يدرك مداه^(٥)»^(٦).

(١) ديوان أبي الطيب حرف الباء .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٦ .

(٣) أي ألزقه بنفسه واستوجبه .

(٤) عنها: أي عناؤه ومشقته .

(٥) مداه: غايته .

وأن من غرته الدنيا أحب البقاء فيها، ومن غرته الدنيا، فإنها (بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة)، وبالغدر موصوفة، فكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، (لا تدوم أحوالها)، (ولن يسلم) من شرها (نزألها)، بين أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور، (أحوال مختلفة ، وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم)، والرخاء فيها لا يدوم، (وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها) ، وكل جيفة فيها مقدور وحظه منها موفور.

«واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد منكم بطشاً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أصواتهم هامة خامة من بعد طول تقلبها ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية، استبدلوا القصور المشيدة، والنمارق الممهدة ، الصخور والأحجار المسندة والقبور اللائئة الملحدة... فمحلها مقترب، وساكنها مغترب بين أهل محلة موحشين وأهل فراغ متشاغلين ، لا يستأنسون بالأوطان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، على ما كان بينهم من قرب الجوار ودنو الدار بالديار، وكيف يكون بينهم تزاور وقد

(٦) أدب الدنيا والدين ص ١١٤ (عن رسول الله 5).

طحنهم بكالكة البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى»^(١) وأصبحوا بعد
الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش رفاتاً، فجمع بهم الأحباب،
وسكنوا التراب، وظعنوا فليس لهم إياب.

قال علي بن محمد :

إِذَا كَمَلْتُ لِلْمَرْءِ سِتُونَ حِجَّةً

فَلَمْ يَحْظْ مِنْ سِتِينَ إِلَّا بِسُدْسِهَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النِّصْفَ بِاللَّيْلِ حَاصِلٌ

وَتَذَهَبُ أَوْقَاتُ الْمَقِيلِ بِخُمْسِهَا

فَتَأْخُذُ أَوْقَاتُ الْهَمُومِ بِحِصَّةٍ

وَأَوْقَاتُ أَوْجَاعِ تُمَيْتٍ بِمِثْلِهَا

فحاصل ما يبقى له سدسُ عمره

إِذَا صَدَّقْتَهُ النَّفْسُ عَنْ عِلْمِ حَدْسِهَا^(١)

قال الإمام الصادق عليه السلام: «مر عيسى بن مريم عليه السلام على

قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها فقال: أما إنهم لم يموتوا إلا

بسخطة ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا.

فقال الحواريون : يا روح الله وددنا أننا علمنا خبرهم، فسأل

ربه، فأوحى الله إليه: إذا كان الليل فنادهم يجيبوك.

(١) نهج البلاغة ٣٤٨ - ٣٤٩ الخطبة ٢٢٦ بتصرف يسير.

(١) أدب الدنيا والدين ، ص ١١٤ .

فلما كان الليل أشرف على نشز^(١) من الأرض، ثم نادى
يا أهل هذه القرية ؟

فأجابه مجيب: لبيك يا روح الله وكلمته.

فقال: ما حالكم وما قصتكم ؟

قال: بتنا في عافية وأصبحنا في هاوية.

قال: كيف ذلك ؟

قال: لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي.

قال : وكيف كان حبكم للدنيا ؟

قال: حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزناً وبكينا.

قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني ؟

قال: لأنهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ

شداد.

قال: كيف أجبتني أنت من بينهم؟

قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب

أصابني معهم فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا أدري أنجو

منها أم أكبب فيه.

(٢) أي المكان المرتفع منها.

فقال المسيح عليه السلام للحواريين: لأكل الخبز اليابس بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة»^(١).

إن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور قد يُظنُّ أن الدنيا عبارة عن أحادها وليس كذلك.

أما الأعيان الموجودة التي - تكون - الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١) ، فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر، وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ، ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان. أما المعادن فيطلبها الإنسان للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وغيرها، وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد. وأما النبات فيطلبها الإنسان للأكل وللتداوي. وأما الحيوان فمنه :

البهائم: ويطلب لحومها للأكل، وظهورها للمركب والزينة. وأما الإنسان : فقد يطلب الإنسان أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان والجواري والنساء ويطلب قلوب الناس

(١) الكافي ١١/٣١٨/٢ بتصريف.

(١) سورة الكهف، الآية : ٧.

ليملكها فيغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاء ،
إذ معنى الجاء ملك قلوب الناس.

وهذه الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى
في قوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾^(٢) وهذا
من الأنس ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾^(١) وهذا من
الجواهر والمعادن ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾^(٢) وهي البهائم
والحيوانات ﴿وَالْحَرَثِ﴾^(٣) وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا
(٤)

السعادة في الدنيا

يرى البعض من الناس أن السعادة في الدنيا أن نعيش أياماً
في الدنيا فنجهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على
الكسب ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ويكسبون ليأكلوا.

وبعض آخر زعموا أنهم تنبهوا إلى الأمر وهو أن ليس
المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يَتَنَعَّم في الدنيا بل السعادة
في أن يأخذ حظه من شهوات الدنيا وهي شهوة الفرج والبطن حتى

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٤

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٤ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٤ .

(٤) المحجة البيضاء ٦ / ٢٧ - ٢٨ بتصرف.

صرفوا أكثر حياتهم إلى اتباع النساء وأكل الأطعمة ما لذ منها وطاب فهم يأكلون كما تأكل الأنعام فظنوا أنهم أدركوا السعادة الحقيقية فشغلهم ذلك عن الله تعالى واليوم الآخر وهم في ذلك كالأنعام بل أضل سبيلاً.

وظن بعض من الناس أن السعادة في كثرة المال والاستغناء به فسهروا ليلهم ونهارهم في جمعه ويعملون الأعمال الشاقة فيكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر ضرورته شحاً وبخلاً عليها أن تنقص فهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت.

وظن بعض أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسن بالثناء والمديح بهم وبالتجمل والمروءة، وهم بذلك يتعبون أنفسهم في كسب المال ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب، ويصرفون جميع ما لديهم من أموال في لبس الملابس الفاخرة وركوب السيارات الفخمة وتزيين ظاهر ما يسكنون وكل ما يقع عليه أنظار الناس كيما يقولوا عنهم أنهم أغنياء وذوو ثروة فتلك هي السعادة عندهم.

ويرى البعض أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الناس بالتواضع والتوقير، فصرفوا جل اهتمامهم إلى جر الناس إلى الطاعة بطلب المسؤولية وتولي المناصب الحكومية

لينفذوا أمرهم بها على مجموعة من الناس ويرون أنه كلما اتسعت سلطتهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وكان ذلك غاية ما يطلبون من الدنيا.

إلا أن بعض الناس أعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان فلم يتركهم وأضلهم فيما هم ذاهبون فيه، فظن قسم منهم أن الدنيا دار بلاء وأن الآخرة دار سعادة لكل من استطاع الوصول إليها سواء تعبد في الدنيا أم لم يتعبد فرأوا أن الصواب أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا.

وظن قسم آخر أن القتل لا يخلص بل لا بد أولاً من إماتة الصفات البشرية وقلع جذورها عن النفس تماماً حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة، وفسد عقل بعضهم فجن ومرض بعضهم فانسدت عليهم طرق العبادة، وعجز آخرون عن اقتلاع الصفات البشرية فظنوا أن ما كلفهم الشرع به محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الإلحاد والزندقة ، وظهر لبعضهم أن العبادة تعب كلها وأن الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عبادة عابد أو عصيان عاص فعادوا إلى الشهوات وسلخوا طريق الإباحة بعد أن طووا بساط الشرع والأحكام.

إلا أن الفرقة الناجية من بين كل هؤلاء هي فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله

وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يجمع الشهوات بالكلية
أما الدنيا فيؤخذ منها قدر الزاد، وأما الشهوات فيجمع منها ما يخرج
عن طاعة الشرع والعقل «فإن خير الأمور أوسطها»^(١) كما قال
أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

عن يوسف بن إبراهيم قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام
وعليّ جُبَّةُ خَزٍ وطيلسان خَزٍ فنظر إليّ فقلت: جعلت فداك عليّ
جبة خَزٍ وطيلسان خَزٍ فما تقول فيه؟

فقال: وما بأَسٍ بالخَزِ .

قلت: وسدّاهُ إِبْرِيْسِمَ .

قال: وما بأَسٍ بإِبْرِيْسِمَ فقد أصيب الحسين عليه السلام وعليه جُبَّةُ
خَزٍ، ثم قال: إن عبد الله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين عليه السلام
إلى الخوارج فوافقهم لبس أفضل ثيابه وتطيب بأفضل طيبه
وركب أفضل مراكبه فخرج فوافقهم .

فقالوا: يا ابن عباس بينا أنت أفضل الناس إذا أتيتنا في لباس
الجبابة ومراكبهم، فتلا عليهم هذه الآية «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ
الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ»^(١) فالبس وتجمّل فإن الله
جميل يحب الجمال وليكن من حلال»^(٢) .

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٨٦، الحكمة ٢٧٢ .

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢ .

(٢) الكافي ٦/٤٤٢/٧ .

وعن العباس بن هلال الشامي [قال: أبو الحسن عليه السلام] عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قلت جعلت فداك وما أعجب إلى الناس من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويتخشع.

قال: أما علمت أن يوسف بن يعقوب H نبي ابن نبي كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب ويجلس في مجالس آل فرعون، ويحكم ولم يحتج الناس إلى لباسه، وإنما احتاجوا إلى قسطه، وإنما يحتاج من الإمام إلى أن إذا قال صدق وإذا وعد أنجز، وإذا حكم عدل، إن الله لم يحرم طعاماً ولا شرباً من حلال، وإنما حرم الحرام قلّ أو كثر، وقد قال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(١)»^(٢).

الابتلاء

قد يقول قائل لماذا يخلق الله الشهوات؟ ولماذا يخلق الله الموسيقى والغناء إذا كان يريد منا أن نطيعه، ولماذا لا يمنع عنا كل ذلك حتى تبقى طاعتنا له ثابتة من دون أن نعتدي على قدسية حرمة المولى ﷺ ونبقى متمسكين بالعقائد، ويبقى كل شيء في الحياة طيباً؟

(١) سورة الأعراف، الآية : ٣٢ .

(٢) تفسير العياشي ١٩/٢ ح ٣٣ .

إتته الاختيار، فالإنسان ينازع نفسه للحظات فيكسب جنة عرضها السموات والأرض و﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾^(٣) ، وكما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤) .

ف﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ﴾ في الرجال حب النساء، وفي النساء حب الرجال، و﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المقصود هو مجموع العمليات الاتصالية بين الرجل والمرأة.

﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ﴾^(١) والبنون هم الامتداد الطبيعي، فكل إنسان له سلسلة من آدم إلى أن تصل إليه، فإذا ما انقطع الإنسان عن الإنجاب فقد قطع سلسلة آدم من أولها إلى آخرها، يعني من جهته هو وإلا لكل إنسان في الوجود اتصال من آدم إليه.

إن البنين عبارة عن الاتصال الطبيعي ومواصلة حقيقة الإنسان في بنيه، كما أن الإنسان محفوظ في بنيه، ويبقى ذكره ما بقي ولده، فبذكر هذا الابن ستذكر سلسلة آباءه وأجداده وبالتالي سيكون الأب من بين الذين يذكرون.

(٣) سورة النور، الآية : ٣٨ .

(٤) سورة الملك ، الآية : ٤ .

(١) سورة آل عمران/ الآية : ١٤ .

القوة الغضبية

هناك قوتان في الإنسان : القوة الشهوانية الغرائزية الطبيعية وهي قوة إنسانية تأخذ الإنسان إلى كل محلل، وقوة غضبية سبعية بهيمية تأخذ الإنسان إلى كل محرم.

وإذا ما أفرط الإنسان في القوة الشهوانية انقلبت إلى القوة الغضبية، إلا أن السؤال هو كيف يتحكم الإنسان بهاتين القوتين؟ إذا ما عرف الإنسان أن الذي يقدم عليه من القوة الشهوانية أقدم بتأن وحذر وإذا ما كان من القوة الغضبية أحجم وارتدع ، وإذا ما أراد الإنسان أن يقطع القوتين كلياً فعليه إذا رأى أحداً منعماً عليه بشيء فليدع الله أن يقويه في ذلك الشيء وأن يجعله مطيعاً لله ، لماذا ؟

لأن حقيقة تلك القوتين تقومان على قوة الحسد، وهي أقوى وأشر من القوة الغضبية والشهوانية ومصدر التحريك لهما، فإذا ما رأى الغير تقدم في شيء تحرك نحو الوصول إلى ذلك الشيء غير أنه يرى نفسه قد تاه في متاهات لا أول لها ولا آخر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن لنعم الله أعداء فقيل: ومن أولئك. قال: الذين ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)»^(٢).

(١) سورة النساء، الآية : ٥٤.

(٢) المحجة البيضاء ٥/٣٢٧.

وللحسد أسباب كثيرة منها:

١- **العداوة والبغضاء:** وهو أشد أسباب الحسد فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد.

٢- **التعزز:** وهو أن يتقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلاً ولكن لا يرضى بترفعه عليه.

٣- **الكبر:** وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعتها أو ربما يتشوق إلى مساواته أو إلى أن يترفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه.

٤- **العجب:** كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية إذ قالوا: ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾^(١) وقالوا: ﴿ وَلَئِنِ أَنْطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾^(٢) فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي

(١) سورة يس، الآية : ١٥ .

(٢) سورة المؤمنون، الآية : ٣٤ .

والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعاً
أن يفضل عليهم من هو مثلهم.

٥- **الخوف من فوت المقاصد:** وذلك يختص بالمتزاحمين
على مقصود واحد فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل
نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده.

٦- **حب الرئاسة:** وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى
مقصود، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن
من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به
من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له، فإنه
لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحبّ موته أو
زوال نعمته عنه التي بها يشاركه في المنزلة.

٧- **خبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله** (١).

وإن معالجة الحسد في أن يصلي الإنسان ركعتين إذا ما رأى
شخصاً ذا نعمة، ويدعو أن يرزقه مثل نعمته.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ثلاثة في
المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد أن لا يبغى» (٢).

(١) المحجة البيضاء ٣٣٥/٥ - ٣٣٨ (باختصار)

(٢) المحجة البيضاء ٣٤٩/٥

المنّ والأذى والرياء

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

مما يلفت الانتباه إلى سورة البقرة هو اعتناء الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم واهتمامه بها، وقد سماها (سنام القرآن) حين قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل شيءٍ سناماً وسنام القرآن سورة البقرة»^(٢).

كما اعتنى المسلمون الأوائل بهذه السورة وحفظها وتعلمها وتفقه أحكامها ومعرفة حكمة قصصها، وهم في ذلك يقتدون بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم واهتمامه بهذه السورة.

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٦٤.

(٢) مستدرك الوسائل / ٤ / ٣٣٣ / ٤٨١١ .

وقد وردت الآية المتقدمة الذكر وسط آيات تحض وتحث على الإنفاق المالي في سبيل الله وابتغاء مرضاته وتعرض لبعض أحكامه وآدابه، إلا أن ما يهمننا هنا هو الآية الكريمة نظراً لتعرضها لحكمين من أحكام الإنفاق والبذل في سبيل الله تعالى والتصدق قرية إلى الله تعالى وعدم إبطالها مما يجعلها تذهب هدراً فلا تعود بأي نفع أو فائدة على من تصدق بها.

إن ما يقصد من الصدقة في هذه الآية هو كل إنفاق مالي الهدف منه مرضاة الله تعالى، وينوي به وجه الله، ويشمل كل موارد الإنفاق والإعطاء والبذل التي شرعها الله تعالى لسد حاجة المحتاجين والمعوزين والفقراء، بل يشمل كذلك كل معروف يبذله الإنسان وإن لم يكن مالياً كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل معروف صدقة»^(١) الأمر الذي يشمل كل ما يمكن أن يبذله الإنسان مادياً ومعنوياً ينوي فيه القرية لله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تصدقوا ولو بصاعٍ من تمر ولو ببعض صاع، ولو بقبضة، ولو ببعض قبضة ولو بتمرة ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة لينة، فإن أحدكم لاقى الله فقاتل له ألم أفعل بك؟ ألم أجعلك سمياً بصيراً؟ ألم أجعل لك

(١) الكافي ٤/٢٦٦.

مالاً وولداً ؟ فيقول: بلى، فيقول الله تبارك وتعالى: فانظر ما قَدَّمْتَ
لِنَفْسِكَ، فينظر قَدَّامَهُ وخلفه وعن يمينه، وعن شماله فلا يجد شيئاً
يقي به وجهه من النار»^(١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «أفضل الصدقة سقي
الماء»^(٢) يعني إبراد كبد حارة .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «أفضل الصدقة إبراد الكبد
الحري، ومن سقى كبداً حري من بهيمة أو غيرها أظله الله وَعَجَّلَ يوم
لا ظل إلا ظله»^(٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «أفضل الصدقة أن يتعلم
المرء علماً ثم يعلمه أخاه»^(٤) .

وقال عليه السلام : «ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر»^(٥) .
إن تعليم العلم لعباد الله المنفقين به ترسيخ له في النفس
وتمكين له في الصدر وتثبيت له في العقل مما يوجب النماء
والسعة.

(١) الكافي ١١/٤/٤ .

(٢) مستدرک الوسائل ٨١٦٧/٢٥٠/٧ .

(٣) بحار الأنوار ٩٣ / ١٧٢ ح ٨ .

(٤) منية المرید / ١٥ .

(٥) منية المرید / ١٥ .

ما هو المن ؟

المن هو القطع، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١) أي غير مقطوع، ويراد من المن أيضاً أن يذكر المتصدق قولاً ويتكلم بعد تصدقه مما يفسد البر ويحبط الأجر ويقطع الثواب وحين يعتبر المتصدق أن صدقته نعمة على الغير وفضلاً عليه، كأن يقول: أنا الذي أحسنت إليك، أو أنا الذي صنعت لك المعروف الكذائي وأخرجتك من حالة الفقر والحاجة وغيرها من الكلمات التي تشعر الفقير بالإذلال وتذكير بشعور النقص الذي يحسه المحتاج في ذاته.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته»^(٢).

قال الإمام العسكري عليه السلام: «دخل رجل على محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام وهو مسرور، فقال: مالي أراك مسروراً؟

قال: يا ابن رسول الله، سمعت أباك يقول: أحق يوم بأن يسر العبد فيه يوم يرزقه الله صدقات ومبرات وسد خلات من إخوان له

(١) سورة فصلت، الآية: ٨.

(٢) مستدرک الوسائل ٧/٢٣٣/٢٠١٢١.

مؤمنين، وانه قصدني اليوم عشرة من إخواني المؤمنين الفقراء لهم عيالات، قصدوني من بلد كذا وكذا، فأعطيت كل واحد منهم فلها سروري.

فقال محمد بن علي H : لعمرى إنك حقيق بأن تُسر إن لم تكن أحبته أو لم تحبته فيما بعد.

فقال الرجل: وكيف أحبته وأنا من شيعتكم الخُص.

قال: هاه قد أبطلت برك بإخوانك وصدقاتك.

قال: وكيف ذلك يا بن رسول الله ؟

قال له محمد بن علي H : اقرأ قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(١) قال الرجل: يا بن رسول الله ما مننت على القوم الذين تصدقت عليهم ولا آذيتهم.

قال له محمد بن علي عليه السلام : إن الله ﷻ إنما قال : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ ولم يقل لا تبطلوا بالمن على من تتصدقون عليه، [وبالأذى لمن تتصدقون عليه] وهو كل أذى، أفترى أذاك للقوم الذين تصدقت عليهم أعظم، أم أذاك لحفظتك وملائكة الله المقربين حوالبك، أم أذاك لنا ؟

فقال الرجل: بل هذا يا بن رسول الله .

فقال: قد آذيتني وآذيتهم وأبطلت صدقتك.

قال: لماذا ؟

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

قال: لقولك: (وكيف أحببته وأنا من شيعتكم الخُص) ويحك،
أتدري مَنْ شيعتنا الخُص ؟
قال: لا .

قال: شيعتنا [الخُص] حزقيل المؤمن، مؤمن آل فرعون
وصاحب يس الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(١) وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار، أسويت نفسك
بهؤلاء أما آذيت بهذا الملائكة، وآذيتنا؟

فقال الرجل: استغفر الله وأتوب إليه، فكيف أقول ؟

قال: قل أنا من مواليكم ومحبيكم، ومعادي أعدائكم، وموالي
أوليائكم .

فقال: كذلك أقول، وكذلك أنا يا بن رسول الله، وقد تبت من القول
الذي أنكرته، وأنكرته الملائكة، فما أنكرتم ذلك إلا لإنكار الله ﷻ .

فقال محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام : الآن قد
عادت إليك مثنوبات صدقاتك وزال عنها الإحباط»^(٢) .

ما هو الأذى ؟

الأذى: هو السوء والضرر الواصل إلى المنفق عليه، وهو
الحزن والغم الوارد على نفس المتصدق من مقالة يحدثها المنفق

(١) سورة يس ، الآية: ٢٠ .

(2) تفسير الإمام العسكري ص ٣١٤ - ٣١٦ .

أو فعلة يوجد لها المتصدق فيؤلم نفس المنعم عليه، أو يحزن قلبه بأن يواجهه أو يتحدث أمام الناس فيبلغه كلامه فيؤلم قلبه ويؤذيه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته ثم ضرب الله مثلاً فقال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)»^(٢).

ما هو الرياء؟

الرياء: وأصله من الرؤية كالذي يتصدق وينفق ماله لرؤية غيره من الناس مباحة بما أنفق وافتخاراً بما تصدق لا يريد بذلك رؤية الله بصدقته لها فقط بل يشرك رؤية الناس مع رؤية الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كل رياء شرك إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله»^(٣).

وقال عليه السلام: «في قول الله وَعَلَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٤).

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢٦٤.

(٢) تفسير القمي ١/ ١١٨.

(٣) الكافي ٢/ ٢٩٣/ ٣.

قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله ، إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه ثم قال: ما من عبدٍ أسرَّ خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يُظهر الله له خيراً، وما من عبدٍ يسرَّ شراً فذهبت الأيام أبداً حتى يُظهرَ الله له شراً» (١) .

وقال عليه السلام أيضاً: «من أراد الله عز وجل بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعبٍ من بدنه وسهرٍ من ليله أبى الله عز وجل إلا أن يقلله في عين من سمعه» (٢) .

وفي الآية الكريمة خطاب عام للمنفقين ونصح شامل للمتصدقين أن لا يبطلوا نفقاتهم ولا يذهبوا بها هدراً فاقدة للثواب خالية من الأجر في الآخرة والعقبى بواسطة المن والأذى اللاحقين لصدقته وبرّه لأنهما يفسدان الصدقة ويبطلان الأجر ويمنعان قبول العمل، والله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣). وهذا من الله تعالى تخفيف عن كاهل المحتاجين وبؤس المعوزين وفاقاة المفتقرين بسؤالهم ومد أيديهم للغني حيث يشعرون بانكسار

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠ .

(١) الكافي ٢/٢٩٣-٢٩٤/٤ .

(٢) الكافي ٢/٢٩٦/١٣ .

(٣) سورة المائدة ، الآية: ٢٧ .

القلب وضعفه فإذا تعقب ذلك المن والأذى ازداد انكساراً، ومن أجل ذلك حرمهما الله - المن والأذى - وتوعد بأبطال الأجر والثواب ووعد بأحسن الأجر والثواب لمن لا يتبع صدقته بالمن والأذى فقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) .

وقد ضرب الله مثلاً لمن تصدق وأتبع بما يبطل تصدقه بالمن والأذى فشبّه بمن انفق ماله رياء الناس وأعطى صدقته من دون ابتغاء وجه الله ومن غير تقرب نحوه ولا قصد مرضاته سبحانه، حيث وجه التشابه بينهما: بطلان الأجر وضياع الثواب وذهاب الصدقة هدراً لا فائدة فيها ، إلا أن بطلان الأجر بالإنفاق رياء الناس أقوى وضوحاً وأشدّ ظهوراً، وفي هذا التشبيه أراد الله أن يقول لنا بهذه الآية الشريفة: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى نظير إبطال من ينفق رياء الناس، وكأن المنفق رياءً لا يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً صادقاً حقيقياً، فلو كان يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً صادقاً وحقيقياً لأخلص عمله لله وصفى نيته عند التصدق لوجه الله ولم يشرك معه سواه.

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٢ .

ثم ضرب الله مثلاً آخر لمن يتصدق ويتبع صدقته بالمن والأذى ومن ينفق ماله رثاء الناس، وشبه كلاً منهما ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾^(١) أي حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل من المطر عظيم من القطر فأذهب التراب النافع وتركه حجراً صلباً وجسماً مجرداً لا يصلح لإنبات أو غرس أو إثمار ولا ينفعه ماء المطر حينئذ بل قد أضره حين زال التراب عنه. وهكذا من تصدق واتبع صدقته بالمن والأذى ومن أنفق ماله سمعة ورياءً حيث يضيع أجر كل منهما، وفي هذا التشبيه تحذير كبير للمنفقين من رذيلة المن وخطيئة الأذى وجريمة الرياء، وتثبيت مبغوضيتهما في نفوس المؤمنين وتنبههم إلى أن الإنفاق المصحوب بأحدهما عمل فاسد باطل لا خير فيه ولا قرب إلى الله به وإن حسبه الناس عملاً صالحاً أو اعتقد به العامل مقرباً إلى الله ﷻ .

عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه قال: «أن رسول الله سئل فيما النجاة غداً؟

فقال: إنما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان ونفسه يخدع لو يشعر.

قيل له: فكيف يخادع الله؟

(1) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

قال: يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره، فاتقوا الله في الرياء فإنه الشرك بالله، إن المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له»^(١) .

وقد سيقت الآية الكريمة لتشريع حكمين من أحكام الزكاة والصدقة بمعناها الواسع الشامل:

الأول: المن التابع للتصدق والأذى اللاحق للإنفاق يوجب بطلان الصدقة وعدم قبول الله بها وعدم ترتب الأجر الكبير والثواب المضاعف الكثير، فهذه الآية دلت على أنه يشترط في استقرار الثواب للمتصدق ودوام الأجر للمنفق أن لا يعقب الصدقة مَنْ على المتصدق عليه وأن لا يلحقه أذى من المنفق المتصدق إذ إن الصدقة بمجرد أن يدفعها إلى المحتاج استحق الدافع المعطي على ربه الأجر الكبير ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) لكن بشرط أن لا يتبع صدقته مناً ولا أذى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) .

(١) وسائل الشريعة ١/٦٩/١٥٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦١ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢ .

كما أن الصدقة تنزل في يد الله أولاً ثم إلى يد المتصدق عليه ولن يؤخر الله أجر من تصدق.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لم يخلق شيئاً إلا وله خازن يخزنه إلا الصدقة فإن الرب يليها بنفسه، وكان أبي إذا تصدق بشيء وضعه في يد السائل ثم ارتده منه فقبله ثم رده في يد السائل»^(١).

الحكم الثاني: إن الصدقة التي يترتب عليها الأجر الجزيل والثواب الجميل والقبول والرضى من الله تعالى هي الصدقة الخالصة لوجهه بحيث لا يقرنها مراعاة الناس أو طلب سمعة لديهم، يقول تعالى: «وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»^(٢).

وقد وردت العديد من الأحاديث عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام التي تؤكد كراهة المن بعد الصدقة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال وكرهتهن للأوصياء من ولدي وأتباعهم

(1) الكافي ٣/٩/٤.

(2) سورة البقرة / آية : ٢٦٥

من بعدي العبث في الصلاة والرفث في الصوم والمن بعد الصدقة وإتيان المساجد جنباً والتطلع في الدور والضحك بين القبور»^(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «يقول الله ﷻ: حرمت الجنة على المنان والبخيل والفتات - وهو النمام - ألا ومن تصدق بصدقة فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة، ومن مشى بصدقة إلى محتاج كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء»^(١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم.

قلت: من هم خابوا وخسروا .

قال : المُسْبِلُ والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(٢) .
أعادها ثلاثاً .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «لا يدخل الجنة العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بفعل للخير إذا عمله»^(٣) .

وقد يسأل البعض ما البديل عن الصدقة التي يتبعها المن والأذى ؟

(٣) من لا يحضره الفقيه ١/١٨٨/٥٧٥ .

(١) من لا يحضره الفقيه ٤/١٧/٤٩٦٨ .

(٢) مستدرک الوسائل ١٣/٢٧٠/١٥٣٢٥ .

(٣) قرب الإسناد ٨٢ ح ٢٦٧ .

قول معروف :

يقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ
وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (١)

وهو يعطي علاجاً عملياً ناجحاً وسلوكاً عقلانياً نافعاً هو
بديل الصدقة التي يتبعها اللمن والأذى، وهو خير منها وأفضل،
ويراد من القول المعروف أن يرد السائل ولا يعطي المحتاج
الطالب ويعتذر بعذر مقبول وقول غير مرفوض ودعاء جميل،
ووجه غير عبوس بحيث لا يؤذي السائل ويستر عليه سؤاله
واستعطاءه ولا يهتك سره واحتياجه ولا يفضح حالته وابتئاسه ولا
يزيد عسره وشقاءه.

فلنتصدق لوجه الله مع الستر والكتمان، ولننفق في سبيل الله
وابتغاء مرضاته ، وليعلم الجميع أن الله سبحانه وتعالى يأخذ
صدقته قبل أن يأخذها العبد المحتاج، وليطمئنوا إلى أن الله جل
وعلا يقبل عطيته قبل أن يقبضها مخلوقه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «إن الله تبارك وتعالى يقول ما
من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيري إلا الصدقة فإني
أتلقها بيدي تلقفاً حتى أن الرجل ليتصدق بالتمرة أو بشق تمرة

(1) سورة البقرة، الآية : ٢٦٣.

فأرببها كما يربي الرجل فلوله أو فصيله فيأتي يوم القيامة وهو مثل أحد أو أعظم من أحد»^(١).

وينبغي للعاقل أن يتذكر قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «الكلمة الطيبة صدقة»^(٢) ويضع بين عينيه ما كان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام يقول: «من علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبظ الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك ووقيت به عرضك، وأعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن رده»^(٣).

فمن صنع خيراً وعمل معروفاً فإنما يعمل لنفسه ويحسن لذاته وبمهد لآخرته، ومن علم ذلك والتفت إليه وصدق به لم يتوقع حينئذٍ من الناس أن يشكروه ولا يستبظئ منهم الشكر لو حرموه منه بعد أن صنع المعروف وأسداه إليهم، ومن اطمأن إلى أن أعمال الخير يعود نفعها إليه، وصنائع المعروف يرجع كسبها إليه لم يطلب من الناس أن تزيد مودته عندهم وتكثر محبته في نفوسهم بل كانت بغيته كسب محبة الله وأمنيته تحصيل مرضاة الله بالإتفاق بغية مرضاة الله من دون رياء ولا سمعة أو مودة أو شكر من أحد ومن دون من أو أذى .

(١) الكافي ٦/٤٧/٤ .

(٢) وسائل الشيعة ٥/٢٣٣/٥٠٦٤٢١ .

(٣) الكافي ١/٢٨/٤ .

التكبر والفخر

قال الله تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(١) .

لقد ذم الله التكبر في عدة مواضع من كتابه و ذم كل جبار متكبر فقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢) . وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٤٦ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٧٢ .

(٤) سورة الإنعام، الآية ٩٣ .

وقال تعالى: ﴿فَلْيَبْسُ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(١) وقال تعالى:
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾^(٢)

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا موسى أتدري أن عبدا من عبادي يكون له ذنوب وخطايا تبلغ عنان السماء فاغفر له ولا أبالي.

قال: يا رب وكيف لا تبالي؟

قال تعالى: لخصلة شريفة تكون في عبدي أحبها، وهي أن يحب إخوانه الفقراء المؤمنين، ويتعاهدهم ، ويساوي نفسه بهم، ولا يتكبر عليهم، فإذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه، ولا أبالي.

يا موسى إن الفخر ردائي والكبرياء إزاري ، من نازعني في شيء منهما عذبتة بناري.

يا موسى إن من إعظام جلالى إكرام العبد الذى أنلته حظاً من حطام الدنيا عبداً من عبادى مؤمناً، قصرت يده فى الدنيا، فإن تكبر عليه فقد استخف بعظيم جلالى»^(٣).

فالمتكبر من الناس إما أنه يتكبر على الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلوماً جهولاً، فتارة يتكبر على

(١) سورة النحل، الآية ٢٩.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٣٥.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ، ص ٣٦.

الخلق، وتارة يتكبر على الخالق، فإذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام:

الأول: التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثال له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاثل رب السماء وكما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (١) إذ استكف أن يكون عبداً لله ﷻ ولذلك قال عنه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٦٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٣).

الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد ظناً منه أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة إذ لا تطاوعه نفسه

(١) سورة النازعات الآية ٢٤

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠ .

(٣) سورة النساء ، الآيتان: ١٧٢ - ١٧٣ .

للاقتياد للحق والتواضع للرشد كما قال الله ﷻ عنهم ﴿أَتُؤْمِنُ
لبشرين مثلنا﴾^(١) و﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٢) وقوله تعالى :
﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾^(٣) وَقَالَ الَّذِينَ لَا
يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾^(٤) وقالوا : ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
نَذِيرًا﴾^(٥).

وقال فرعون فيما أخبر الله عنه: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ
مُقْتَرِنِينَ﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ﴾^(٧) فتكبر هو وجنوده على الله جميعاً.

قال موسى لفرعون: يا فرعون آمن ولك ملكك.

قال: حتى أشاور هامان، فشاور هامان فقال له هامان:
بينما أنت ربُّ تُعبد إذ صرت عبداً تُعبد فاستتكف عن عبودية الله
ﷻ ومن اتباع موسى ﷻ.

(١) سورة المؤمنون، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ١٠ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية : ٣٤ .

(٤) سورة الفرقان، الآية : ٢١ .

(٥) سورة الفرقان، الآية : ٧ .

(٦) سورة الزخرف، الآية : ٥٣ .

(٧) سورة القصص، الآية : ٣٩ .

وقالت قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١) ، يعنون بذلك الوليد بن المغيرة، ثم طلبوا من هو أعظم من رئاسة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعته الله إلينا، فقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿لِيَقُولُوا هَؤُلَاءِ مِمَّنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٣) أي استحقاراً لهم واستبعاداً لتقدمهم.

وقالت قريش: كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء؟ إشارة إلى الفقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرتهم، وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) وقد أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين استزدلوهم فقالوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾^(٥) ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وآله وسلم محقاً ومنهم من عرف ذلك ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ

(١) سورة الزخرف، الآية : ٣١.

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٣٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٥٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية : ٥٢.

(٥) سورة ص ، الآية : ٦٢.

عَلَى الْكَافِرِينَ»^(١) وقال: «وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا»^(٢) وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وإن كان دونه ولكنه تكبر عن اتباع أمر الله .

الثالث: التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم.

إن هذا النوع من التكبر وإن كان دون الأول والثاني إلا أنه خطير أيضاً من وجهين :

١- إنَّ الكبر والعز والعظمة والتعالي لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق به الكبر؟ فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله.

يقول الله تعالى: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قصمته»^(٣). وإذا كان الكبر على عباده لا يليق فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويترفع عليهم ويستأثر بما حقّ الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه، فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٩ .

(٢) سورة النمل، الآية : ١٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣ / ١٢٨ .

والكبرياء عليهم، فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه .

٢- إن الذي تعظم به رذيلة الكبر إنما يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استتكف من قبوله وشمر ساعديه لجحده ولذلك نرى بعض المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين فيما هم يتجادون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان أحدهم أنف الآخرون من قبوله وذلك من أخلاق المنافقين والكافرين الذين وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) فكل من يناظر لا ليغتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾^(٢).

روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبصر رجلاً يأكل بشماله فقال: «كل بيمينك».

فقال: لا أستطيع.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا استطعت.

(١) سورة فصلت، الآية : ٢٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٦ .

فما وصلت إلى فيه يمينه بعد كلما رفع اللقمة ذهبت في شق آخر.

وقد ضرب إبليس مثلاً لهذا وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به حين قال : «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ»^(١) وهذا الكبر في النسب لأنه قال : «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»^(٢) تحمله ذلك على الامتناع عن السجود الذي أمره الله تعالى به فكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجرّه ذلك على التكبر على أمر الله فكان ذلك سبباً لهلاكه، وهذه آفة من آفات الكبر عظيمة.

وقد شرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر بهاتين الآفتين حينما سأله ثابت بن قيس فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني امرؤ حُبِبَ إِلَيَّ من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «لا، ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس»^(٣) أي ازدرأهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله وخير منه. وهذه الآفة الأولى، وقوله (سفه الحق) هو رده به وهذه الآفة

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٢.

(٣) بحار الأنوار ٧٠/١٩٦.

الثانية^(١) فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه فازدرأه ونظر إليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من أن يخضع لله ﷻ ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى وبين الرسل.

حدود الحرية وضرورة الأخلاق :

طلبت من الأخ الكريم سماحة الحاج السيد محمد على الرياني (دام توفيقه) أن يذكر لي ما لديه من خاطره مع أستاذه آية الله العظمى المرجع الديني الحاج السيد علي السيستاني دام ظلّه العالی حيث كان قد تتلمذ عنده أكثر من اثنتي عشرة سنة ورافقه في سفره إلى حج بيت الله الحرام مرتين ماعدا مرافقته له في النجف الأشرف . فذكر على سبيل العجالة ما كان عليه السيد السيستاني من أخلاق كريمة من أخلاق كريمة بداية شبابه والتي كانت قاعدة انطلاقته وتوفيقاته ، يقول السيد الرياني : إن طالباً قد حضر درس أستاذنا السيستاني يوماً وأجرى معه نقاشاً هاماً حول مسألة علمية ، فصدرت عنه تجاه سماحة السيد إساءة أدب أثناء الرد والنقد ، وكان الطالب يحاول الاستتصار لرأي المرجع الأعلى زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي

(٤) بحار الأنوار ١٩٦/٧٠ .

قدس سره مقابل رأي السيد الأستاذ ولكن دون حجة منطقية ، وهو أمر في أصله جميل لأنه نابع من الحرية الفكرية في عملية الاجتهاد الذي يعتز مذهب التشيع لفتح بابه منذ أكثر من ألف عام إلا أن طريقة التلميذ المناقش للسيد السيستاني كانت لا تمت إلى الأخلاق والاحترام بصلة مما جعل السيد يتألم كثيراً ، وبعد ما خرجت برفقته من محل الدرس متوجهين إلى المنزل ذكر لي السيد أنه : لما كنت في الثامنة عشر من العمر أنهيت دراسة الفلسفة بفهم دقيق لمفاهيمها المعقدة حتى أصبت بعض الأحيان بشيء من العجب والغرور ، وكنت لذلك معجباً بالفلاسفة ومشدوداً إلى أفكارهم ، ومع هذا حضرت في حوزة مشهد المقدسة دروس آية الله العظمى الشيخ الحاج ميرزا مهدي الأصفهاني قدس سره وكان ناقداً للفلسفة وشديداً على الفلاسفة ، ولازال صوته يدوي في أذني حيث كان يخطب فينا وهو يهاجم أنصار علم الفلسفة قائلاً : " هل أنكم تريدون صنع مذهب في وجه مذهب أهل البيت عليهم السلام من أنتم وما شأنكم ، ارتدعوا ، عودوا إلى رشدكم ، دعوا هذه الفلسفة الممتزجة بالآراء الغربية عن منهج الأئمة الطاهرين عليهم السلام "

ولكني رغم ذلك لم أناقشه بإساءة أدب فأستتصر لفلاسفة كنت أؤيدهم واستمر حضوري لدروسه حتى أقنعتني تدريجياً بإعادة النظر في التأييد المطلق لعلم الفلسفة وحبّي المبالغ فيه للفلاسفة ، فصرت

محايدا في الأمر لا مؤيدا ولا منددا ، وهناك اكتشفت فائدة التواضع والأدب وضرر العجب والغرور .

أقول ولقد أكد لي حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد جواد الشهرستاني (حفظه الله) - صهر السيد السيستاني (دام ظله العالي) - هذا الموقف من السيد تجاه الفلسفة المتداولة في الحوزات العلمية ، حيث يرى بعض حرمة تعلمها بينما يرى بعض آخر أن الضرر الأكثر فيها هو إتلاف الوقت إذ لا حاجة إليها في استنباط الأحكام الشرعية ، ويرى بعض ثالث أهمية تعلمها القصوى لأنها تفتح ذهن المتعلم وفي نظري القاصر أن النظريات الفلسفية قد تطورت حديثا وفندت النظريات القديمة فإذا كان لابد لتقوية ذهن الطالب من دراسة الفلسفة فليدرس الجديدة منها على أن يدرس قبلها دراسة واعية لمعارف القرآن وأحاديث أهل البيت عليهم السلام لكي يوظف الفلسفة في خدمة القرآن والعترة عند عملية الاصطكاك بالآراء المناوئة للإسلام . فلا يؤخذ من هذه الفلسفة ما يتعارض مع القرآن والعترة ، وكذلك الموقف بالنسبة إلى الفلسفة القديمة (١).

(1) قصص وخواطر - ص ١٨٤

أسباب التكبر

لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دُنْيوي. فالديني: هو العلم والعمل.

والدُنْيوي: هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار، فهذه سبعة أسباب :

أولاً : أ- العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذلك يقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «آفة العلم الخيلاء»^(١).

ب - أن يخوض الإنسان في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيئ الأخلاق فلم يشتغل أولاً بتهديب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره.

يقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « يظهر الدين حتى يجاوز البحار وتخاض البحار في سبيل الله ثم يأتي من بعدكم أقوام يقرءون القرآن يقولون: قرأنا القرآن من أقرأ منا ومن أفاقه منا ومن أعلم منا، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل في أولئك من خير؟ قالوا: لا. قال: أولئك منكم من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار»^(٢).

(١) بحار الأنوار ١٩٦/٧٠.

(٢) منية المرید، ص ٤٣.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بلا عمل»^(١).

ثانياً: العمل والعبادة وليس يخلف عن رذيلة العز والتكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدنيا والدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسب ابن آدم من الشر أن يحقر أخاه المسلم»^(٢)، وكم من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو ما لا يفرق بينهما يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه الله فهم يتقربون إلى الله بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالنتزه والتباعد منهم كأنه مرتفع عن مجالستهم، فما أجدرهم إذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال.

روي أن رجلاً في بني إسرائيل - يقال له: خليع بني إسرائيل لكثرة فساده - مرَّ برجل آخر يقال له: عابد بني إسرائيل وكانت على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه: أنا خليع بني إسرائيل كيف أجلس بجانبه وهذا عابد بني

(١) إرشاد القلوب ١/١٥.

(٢) مجموعة ورام ٢/١٢٢.

إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمني فجلس إليه، فقال العابد في نفسه: أنا عابد بني إسرائيل وهو خليع بني إسرائيل كيف يجلس إليّ؟ فأنف منه وقال له: قم عني، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحببت عمل العابد، وفي حديث آخر تحولت الغمامة إلى رأس الخليع^(١).

وهذه الآفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقراً في قلبه يرى نفسه خيراً من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه وهذا قد رسخت في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية.

الدرجة الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الإنكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصعّر خده للناس كأنه معرض عنهم، وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم، وليس يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى يقطبها ولا في الوجه حتى يعبس ولا

(١) بحار الأنوار ٧٠/١٩٨.

في الخد حتى يصعّر ولا في الرقبة حتى يطأطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب.

يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «التقوى هاهنا»، وأشار إلى صدره. (١)

وهؤلاء أخف حالاً ممن هو في المرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعو إلى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس أما العابد فإنه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو؟ وما عمله؟ ومن أين زهده؟ فيطيل اللسان فيهم بالتقص ثم يثني على نفسه ويقول: إنني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام بالليل وفلان ليس كذلك، وقد يزكي نفسه ضمناً فيقول: قصدني فلان فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض وما يجري مجراه، هذا يدعي الكرامة لنفسه .

وأما العالم فإنه يتفاخر ويقول: أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق، رأيت من الشيوخ فلاناً وفلاناً، ومن أنت؟ وما فضلك؟ ومن لقيته؟ ومن ذا الذي سمعت من الحديث؟ كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه. فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعرُّز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه يا ليت شعري من عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول

(1) ميزان الحكمة : مادة تقوى .

الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»^(١).

ثالثاً: التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب نسبه شريف يستحق من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً وعلماً.

روي عن أبي ذر K أنه قال: «قاولت رجلاً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فقلت له: يا ابن السوداء

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن السوداء فضل.

قال أبو ذر K: فاضطجعت وقلت للرجل: قم فطأ على خدي»^(٢).

وافخر رجلان عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «أتفتخران بأجساد بالية وأرواح في النار؟ إن يكن لك عقل فإن لك خلقاً، وإن يكن لك تقوى فإن لك كرمًا، وإلا فالحمار خير منك ولست بخير من أحد»^(٣).

رابعاً: التفاخر بالجمال وذلك يجري أكثره بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والتلب والغيبة وذكر عيوب الناس.

(١) بحار الأنوار ٧٠/١٩٨/١٩٩.

(٢) المحجة البيضاء ٦/٢٤٣.

(٣) وسائل الشيعة ١٦/٤٣-٤٤/٢٠٩٣١.

قالت عائشة: «دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قد اغتبتها ، ونهاني عن مثل ذلك»⁽¹⁾.

يعاقبهم بالعفو عنهم!

نقل لي الأخ الفاضل صادق (أبو حسن) - دام عزه - وهو من أصدقائي الكرام : كنت جالسا عند المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الحاج السيد محمد الشيرازي (دام ظلّه العالی) بقم المقدسة إذ دخل عليه رجل وجلس بين يديه جلسة نادم معتذر وهو يقول : سيدي أريدك أن تعفو عني وتبرأ ذمتي .

فقال له السيد -من دون أن يسأله عما صدر منه تجاهه- لقد عفوت عنك وبرأت ذمتك .

فقال الرجل بغرابة :سيدي أنا ممن أفرط في الكلام عليك سنين طويلة وأسرف في غيبتك أينما جلس وقام .

قال له السيد : وأنا عفوت عنك من أعماق قلبي ، وعفوت عن كل من استمع إليك ونشر ضدي ، وعفوت عن السابقين الذين اغتابوني ، وعن الحاضرين وأيضا اللاحقين الذين يأتون بعدي أقول : وهذا الموقف عظيم لا يقدر عليه إلا من مارس العظمة

(1) مجموعة ورام ١١٨/١ .

في حياته ونظر إلى الأهداف العالية من بعد حياته ، وهل نتعلم
هذه الدروس من عظمائنا بالعفو عن المسيئين إلينا؟!
ونعم ما قاله الشاعر :

من رافق الرفق في كل الأمور فلم * يندم عليه ولا يذممه إنسان^(١)

خامساً: الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في الخزائن،
وبين التجار في بضائعهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم
ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له: أنت كداد
مسكين وأنا لو أردت لاشرتيت مثلك واستخدمت من هو فوقك،
ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك، وأنا
أنفق في اليوم ما لا تأكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى
واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر،
وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ
مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾^(٢)، حتى أجابه وقال: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا
وَوَلَدًا ﴿١﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا
مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٢﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غُورًا فَلَنْ
تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾^(٣).

سادساً: الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف.

(1) قصص وخواطر - ص ١٦٠

(2) سورة الكهف، الآية : ٣٤ .

(3) سورة الكهف، الآيات: ٣٩-٤١ .

سابعاً: التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والأقارب
والبنين^(١).

وقد وصف بعض الشعراء الإنسان فقال:

يا مُظْهِرَ الكِبَرِ إعجاباً بصورته
انظرْ خَلَاكَ فَإِنِ النِّتَنَ تَثْرِيْبُ
لو فِكرِ النَّاسِ فيمَا في بطونهم
ما استشعرَ الكِبَرِ شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ
هل في ابنِ آدَمِ مثلُ الرَّأْسِ مكرمةٌ
وهو بخمسٍ مِنَ الأقدارِ مضروبُ
أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحها سَهْكَ
والعينُ مرفضةٌ والثُّغْرُ ملعوبُ
يا ابنِ الترابِ ومأكولِ الترابِ غداً
أقصرِ فَإِنَّكَ مأكولٌ ومشروبُ^(٢)
بقي أن نقول: هل يحق لابن آدم أن يتكبر؟ وهو كما يقول
الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مكتومُ الأجلِ مكنونُ العِللِ
محفوظُ العملِ تُولمُهُ البَقَّةُ وتقتله الشَّرْقَةُ وتنتنه العِرْقَةُ»^(٣).

(1) بحار الأنوار ١٩٨/٧٠ - ٢٠٠ .

(2) أدب الدنيا والدين ، ص ٢٣٣ .

(3) نهج البلاغة، ص ٥٥٠ .

إن كنت لا تعلم :

بعض الناس يعتبر نفسه أنه صار عالماً فلا يجوز له أن ينزل بنفسه إلى مرتبة التلميذ . وبعض الناس قد تتضخم شخصيته حيث يتضخم موقعه فيصير مجتهداً من خلال أن موقعه يفرض أن يكون مجتهداً ! نحن نقرأ في وصية الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من بين الوصايا الخمس ما مضمونه أن الإنسان إذا سئل عن شيء لا يعلمه ، يقول : لا أعلم ، وإذا كان لا يعلم الشيء أن يتعلمه . إن بعض الناس قد يجدون خطأ من شأنهم أن يقولوا لا نعلم أو نحتاج إلى مراجعته . وأحب أن أذكر لكم هذه الحادثة .

سئل مرة المرجع الأعلى المرحوم السيد محسن الحكيم رحمه الله عن مسألة فقال : آتوني بالرسالة حتى أراجعها ، وهي رسالته ، لأنه ليس من المفروض أن يحفظ كل فتاواه وأن يستحضرها . هذا أفضل من أن نفتي للناس بغير علم على مستوى الدنيا والآخرة (١).

(1) قصص وخواطر - ص ١٢٤

العلمية في كبح الهوى :

كان في شبابه طالباً مجداً وقاد الذهن ، دقيق النظر ، قليل الكلام ، ولكنه في حلقة الدرس شديد النقاش بحثاً عن حقيقة العلم .

فقد حضر درس المرجع الراحل السيد الشاهرودي (رحمه الله) في النجف الأشرف ودخل معه في نقاش علمي حتى نهاية الوقت من غير نتيجة لصالح أحدهما ، وفي اليوم الثاني وبينما كان بعض الطلبة (ممن لم يتأدبوا بآداب الإسلام بعد) يستهزئون بنقاشه ويستصغرون شأنه دخل السيد الشاهرودي المسجد فسمعهم فقال لهم السيد : أصغوا جيداً ولا تستعجلوا !

فهذا الحاضرون ورفعوا أعناقهم ليروا ماذا يقول الأستاذ ، وإذا بهم يسمعون قائلاً : " لقد طالعت البارحة في كتاب تقارير بحث الآخوند (الخراساني) - وهو من كبار المجتهدين الأعلام - فوجدت الحق مع الشيخ بهجت - وهذا اسم صاحب القصة الذي يعد اليوم واحداً من مراجع التقليد في حوزة قم المقدسة.

إلى جانب هذه العلمية لقد عرف سماحة آية الله العظمى الحاج الشيخ محمد تقي بهجت (دام ظله) بمقاماته الروحانية وزهده الكبير حتى أن المرحوم آية الله الشيخ مرتضى الحائري (رحمه الله)

كان ينقل أن الشيخ بهجت لشدة نقاشاته العلمية الثاقبة في درس المرجع الراحل السيد البروجردي **قدس سره** كاد يكسب رأي الأستاذ إلى رأيه أكثر من مرة ، وأخذ يشتهر في الحوزة بقدرته العلمية فيشار إليه بالبنان في مجالس العلماء ، فما أن علم الشيخ بالأمر غاب عن درس السيد البروجردي ، فسأل السيد عنه وتفقده حاله ، وبعد أيام عاد الشيخ يحضر الدرس ولكنه لم يناقش ، فتعجبنا من سكوته وصمته ، طلبنا منه أن يفتح باب السؤال والجواب وأثينا على نقاشاته المفيدة ، إلا أنه رفض ، فظننا أن بعض المتعصبين هدده بأن النقاش مع السيد يعتبر نوعاً من الجسارة على مقام المرجع .

ولكن الحقيقة ظهرت بأن الشيخ كان يريد الفرار من الشهرة وأن لا يشار إليه بالبنان في الوسط العلمي .
هكذا كان سماحته صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه⁽¹⁾.

(1) قصص وخواطر - ص ١٣٨

الغضب

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

إن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد.

وقد انكشفت للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان فمن استقرته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

يعيش الإنسان في هذه الحياة وينتقل بين أكنافها لعله يجد ما ينقذه يوم الحشر، ويحاول دائماً الاتصال بنور الملائكة، ومما

(١) سورة الحشر، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٢ .

لا شك فيه ولا بد منه أن يجد هذا السير الدؤوب الذي ينحى فيه الإنسان منحى الرقي خطأ معارضاً يقف في مسيره ويعرقل حركته، ذلك هو خط إبليس الذي أقسم على نفسه بقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) باحثاً عن التائهين والضائعين، دون المؤمنين، الذين أفنوا أنفسهم في سبيل طاعة الله وتنفيذ أوامره . إن محاولة إبليس الدائمة في ثني الإنسان عن الاتصال بنور الملائكة إنما هو دليل على قوة بذرة الإيمان في النفوس المستقبلية لذلك النور.

ومن أجل أن يقف إبليس عائقاً أمام ذلك الاتصال ويخترقه كان لا بد من سلاح يستخدمه في مهمته تلك فكان الغضب.

يقول الإمام علي بن موسى الرضا H: «أوحى الله ﷻ إلى نبي من أنبيائه إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه، والخامس فاهرب منه.

فلما أصبح مضى فاستقبله جبل عظيم أسود فوقف وقال: أمرني ربي ﷻ أن آكل هذا، وبقي متحيراً، ثم رجع إلى نفسه فقال:

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٦ .

إن ربي ﷻ لا يأمرني إلا بما أطيق. فمشى إليه ليأكله،
فكلما دنا منه صغر حتى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها، فوجدها
أطيب شيء أكله.

ثم مضى فوجد طشتاً من ذهب فقال :

أمرني ربي أن أكتم هذا، فحفر له وجعله فيه، وألقى عليه
التراب ثم مضى فالتفت فإذا بالطشت قد ظهر فقال: قد فعلت ما
أمرني ربي ﷻ ، فمضى فإذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير
حوله فقال:

أمرني ربي ﷻ أن أقبل هذا، ففتح كفه فدخل الطير فيه
فقال له البازي: أخذت صيدي ، وأنا خلفه منذ أيام.
فقال: إن ربي ﷻ أمرني أن لا آيس هذا، فقطع من فخذ
قطعة فألقاها إليه ثم مضى.

فلما مضى إذ هو بلحم ميتة منتن مدود فقال: أمرني ربي
أن أهرب من هذا، فهرب ، ورجع ورأى في المنام كأنه قد قيل
له: إنك قد فعلت ما أمرت به فهل تدري ماذا كان ؟
قال: لا .

قال له: أما الجبل فهو الغضب فإن العبد إذا غضب لم ير
نفسه، وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا عرف نفسه وعرف
قدره وسكن غضبه كان عاقبته كاللقمة الطيبة التي أكلها.

وأما الطشت فهو العمل الصالح إذا كتبه العبد وأخفاه، أبا
الله ﷺ إلا أن يظهره ليزينه به مع ما يدخر له من ثواب الآخرة.
وأما الطير فهو الرجل الذي يأتيك بنصيحة فاقبله، وأقبل
نصيحته، وأما البازي فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة فلا
تؤيسه.

وأما اللحم المنتن فهو الغيبة فاهرب منها»^(١) .
قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله
علمني.
قال: اذهب ولا تغضب.

فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك؛ فمضى إلى أهله فإذا بين
قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس
سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم: «لا تغضب»، فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين
هم عدو قومه فقال: يا هؤلاء ، ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو
ضرب ليس فيه أثر فعليّ في مالي أنا أوفيكموه.

فقال القوم: فما كان فهو لكم فنحن أولى بذلك منكم. قال
فاصطح القوم وذهب الغضب»^(٢) .

(١) قصص الأنبياء للجزائري ٥١٠ - ٥١١ .

(٢) الكافي ١١/٣٠٤/٢ .

لقد خلق الله الغضب من النار وغرزه في الإنسان وعجنه بطينته، فمهما قصد في غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارث ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار، وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر ولذلك ينصب إلى الوجه فيحمرُّ الوجه والعين والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجاة لون ما فيها، وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من هو فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزيناً ولذلك يصفر اللون، وإن كان الغضب من نظير شك فيه تولد منه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن الغضب جمة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض»^(٢).

(١) من كتاب المجحة البيضاء في تهذيب الأحياء ٥ / ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٢) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٧٢.

إبليس والعباد

عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا عَبْدَ اللَّهِ زماناً من الدهر، حتى كان يوتى بالمجانين يداويهم ويعودهم فيبرؤن على يده، وأنه أتى بامرأة في شرف قد جنت، وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده، فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت.

فلما استبان حملها قتلها ودفنها، فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب، وأنه دفنها في مكان كذا، ثم أتى ببقية إخوتها رجلاً رجلاً فذكر له، فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول: والله لقد أتاني آتٍ ذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره، فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ملكهم. فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب.

فلما رفع على خشبة تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه ؟

قال : نعم.

قال: اسجد لي سجدة واحدة.

فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة ؟

قال: أكتفي منك بالإيماء. فأومئ له بالسجود فكفر بالله وقتل المرأة. فأشار الله تعالى إلى قصته في قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) «(٢) .

علاج الغضب

إنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل.

أما العلم فهو ستة أمور:

الأول: أن يتفكر فيما ورد من روايات وأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) «(٤) .

الثاني: أن يخوف نفسه من عقاب الله وهو أن يقول: قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان فلو أمضيت غضبي

(١) سورة الحشر، الآية : ١٦ .

(٢) قصص الأنبياء للجزائري ، ص ٥١٦ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٣٤ .

(٤) الكافي ٥/١١٠/٢ .

عليه بم آمن أن يمضي الله غضبه عليّ يوم القيامة وأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أوحى الله إلى نبي من أنبيائه يا ابن آدم اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي فلا أمحك فيمن أمحك وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك، وأعلم أن الخلق الحسن يذيب السيئة كما تذيب الشمس الجليد، وأن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»^(١)

الثالث: أن يحدث نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمّر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوّف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب.

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ، ولا بد أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له: إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس فليقل لنفسه: ما أعجبك يا

(١) أعلام الدين، ص ١٨٤.

نفس تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين بانتقامك من هذا، فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه الله وذلك يُعظمه عند الله فما له وللناس، وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة «ليقم من كان أجره على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا عن مظلمته»^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم أناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا غفرنا وإذا أسئ إلينا عفونا، وإذا جهل علينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»^(٢).

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول: مرادي

(١) بحار الأنوار ٧٢ / ٢٤٣.

(٢) مجموعة ورام ١٢٤ / ١ - ١٢٥.

أولى من مراد الله تعالى، ويوشك أن يكون غضب الله أعظم من غضبه^(٣) .

وأما العمل:

١- فأن تقول بلسانك: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقال عند الغيظ»^(١).

٢- أن تتوضأ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الغضب من الشيطان وإنما الشيطان من النار وإنما الماء يطفئ النار»^(٢) .

٣- أن تسكت: فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا غضبت فاسكت»^(٣).

٤- أن يغير هيئته: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه ذكر عنده الغضب فقال: «إن الرجل ليغضب حتى ما يرضى أبداً ويدخل بذلك النار، وأيما رجل غضب وهو قائم فليجلس فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وإن كان جالساً فليقم، وأيما رجل غضب على ذي رحمه فليقم إليه وليدن منه وليمسسه فإن الرحم إذا مست الرحم سكنت»^(٣).

(٣) المحجة البيضاء ٣٠٥/٥ - ٣٠٧. بتصرف.

(1) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٧٢.

(2) مجموعة ورام ١ / ١٢٣.

(3) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٧٢.

(4) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٧٢.

٥- أن يُسَلِّمَ على من غضب عليه أو يَمْسَسَ بدنه أو يده : كما ورد في الحديث السابق وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال: «يا عائشة قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مُضِلَّاتِ الفتن»^(٤).

٦- أن يضع له شيء يذكره بالامتناع عن الغضب وحكي أن بعض ملوك الفرس كتب كتاباً، ودفعه إلى وزير له، وقال: إذا غضبت فناولنيه ، وكان فيه: « مَا لَكَ وَالغضب، إنما أنت بشر، أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء»^(١).

٧- أن يتذكر أن الغضب يؤدي إلى الاعتذار ممن غضب عليه وقال بعض الأدباء: «إياك وعزّة الغضب، فإنها تُفْضِي إلى ذل العذر»^(٢).

وقال بعض الشعراء:

وَإِذَا مَا اعْتَرَك فِي الْغَضَبِ الْعِزَّةُ

فَاذْكَرْ تَذَلُّلَ الْاِعْتِذَارِ^(٣)

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٢٥١.

(٢) أدب الدنيا والدين، ص ٢٥١.

(٣) أدب الدنيا والدين، ص ٢٥١.

إن قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها عند ثورانها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها، والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها، ولا تسكن إلا به.

ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال.

أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه: إنه لا حمية له ولذلك قيل: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، فمن فقد قوة الحمية والغضب أصلاً فهو ناقص جداً، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الصحابة بالشدة والحمية فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) وإنما الغلظة والشدة من آثار القوة والحمية وهو الغضب^(٣).

إن قلباً يستتير بنور الملائكة لا يجتمع فيه حب الشيطان، وإن إنساناً يعبد الشيطان بعينه وأذنه وبصره لا يمكن أن يهتدي إلى الطريق القويم وإن ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ

(١) سورة الفتح، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة التوبة، الآية : ٧٣ .

(٣) المحجة البيضاء ٥/ ٢٩٦ .

فَأَنَّمَا يُضِلُّ عَلَيْهَا ﴿١﴾ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ .

الفصل الرابع

مصير الإنسان
ومنازل الآخرة

- ❖ صفة الجنة .
- ❖ صفة أهل الجنة .
- ❖ صفة أهل النار .

صفة الجنة

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْنَآءَ ﴿٤٦﴾ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٧﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٨﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٥٠﴾﴾^(١).

إذا ما رغب الإنسان في شيء ما تراه يتحرق شوقاً إلى رؤيته ومعرفته، وبحسب الأيام والليالي، بل الساعات والدقائق بانتظار لحظة يكحل عينيه برؤيته، وهو في تلك الفترة يرسم لذلك الشيء في مخيلته صوراً شتى، خصوصاً إذا كان ذلك الشيء الذي رغب فيه لا نظير له ولا مثيل. ولكن إذا ما صار أمامه حقيقة ملموسة هدأت شعلة الشوق واللهفة عند أول نظرة ثم خمدت بعد ساعة أو يوم أو سنة على أكثر تقدير.

(١) سورة الصافات، الآيات: ٣٨-٤٩.

ولكن ماذا عن الجنة فهل يمكن للإنسان أن يتصور كيف تكون إذا ما وفق لها، وكيف تكون أرضها وماؤها، أهلها بنسائها ورجالها وولدانها وحرور عينها، والزمان فيها، وكيف ينتقل فيها من مكان إلى مكان، وطريقة العيش.. لا أعتقد أن أحداً يمكن أن يتصور ذلك إلا من خلال ما جاء من الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، وكما يقول تعالى: «أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر»^(١).

عن أبي بصير قدس سره قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «جعلت فداك يا بن رسول الله شوقني.

فقال: يا أبا محمد إن من أدنى نعيم الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام من مسافة الدنيا، وإن أدنى أهل الجنة منزلاً لو نزل به أهل الثقيلين الجن والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص مما عنده شيء، وإن أيسر أهل الجنة منزلة من يدخل الجنة فيرفع له ثلاث حدائق، فإذا دخل أدناهن رأى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والأثمار ما شاء الله مما يملأ عينه قرّة وقلبه مسرة، فإذا شكر الله وحمده قيل له: ارفع رأسك إلى الحديقة الثانية ففيها ما ليس في الأخرى. فيقول: يا رب أعطني هذه.

(١) المحجة البيضاء، ج ٨ ص ٣٧١

فيقول الله تعالى: إن أعطيتك إياها سألتني غيرها.

فيقول: يا رب هذه هذه.

فإذا هو دخلها شكر الله وحمده.

قال: فيقال: افتحوا له باب الجنة، ويقال له: ارفع رأسك

فإذا قد فتح له باب من الخلد، ويرى أضعاف ما كان فيما قبل.

فيقول عند تضاعف مسراته: رب لك الحمد الذي لا يحصى

إذ مننت عليّ بالجنان، ونجيتني من النيران.

قال أبو بصير: فبكيت، قلت له جعلت فداك زدني.

قال: يا أبا محمد إن في الجنة نهراً في حافته جوار نابتات

إذا مر المؤمن بجارية أعجبه قلعهها ، وأنبت الله مكانها أخرى.

قلت: جعلت فداك زدني.

قال: المؤمن يزوج ثمانمائة عذراء وأربعة آلاف ثيب

وزوجتين من حور العين.

قلت: جعلت فداك ثمانمائة عذراء!؟

قال: نعم ما يفرش (يفترش) فيهن شيئاً إلا وجدها كذلك .

قلت : جعلت فداك من أي شيء خلقن الحور العين؟

قال: من تربة الجنة النورانية، ويرى مخ ساقبها من وراء

سبعين حلة كبدها مرآته وكبده مرآتها.

قلت: جعلت فداك ألهن كلام يكلمن به أهل الجنة؟

قال: نعم كلام يتكلمن به لم يسمع الخلاق بمثله.

قلت: ما هو ؟

قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبوس، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن خلق لنا، وطوبى لمن خلقنا له، نحن اللواتي لو أن قرن إحدانا علق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار^(١).

لباس أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من يدخل الجنة ينعم، ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٣).

وقال رجل: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تُخلَق أم نسج تُنسَج ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضحك بعض القوم.

(١) تفسير القمي ٨١/٢ - ٨٢ . (جزء من الحديث).

(٢) سورة فاطر، الآية : ٣٣ .

(٣) المحجة البيضاء ٣٧١/٨ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مم تضحكون من جاهل سأل عالماً. ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين»^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة ألقى إلى أهل الدنيا لم تحتمله أبصارهم، ولماتوا من شهوة النظر إليه»^(٢) . فإذا كان هذا حال الثوب فما ظنك بلباسه ؟

غرف الجنة

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم.

قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا أحدثكم بغرف الجنة ؟

(١) المحجة البيضاء ٣٧١/٨ .

(٢) عدة الداعي، ص ١٣٤ .

قال: قلت: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمتنا.

قال: إن في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر كله، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال: قلت يا رسول الله لمن هذه الغرف؟

قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام.

قال: قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟

قال: أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك: من لقي أخاه فسلم عليه أو ردّ عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة، وصلى الغداة في جماعة، فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس»^(١).

طعام أهل الجنة

لقد ذكر القرآن طعام أهل الجنة من الفواكه والطيور والمنّ والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى، قال تعالى:

(١) المحجة البيضاء ٨/٣٦٩.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (٢) .

قال ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء حبر من أخبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال: فمن أول الناس إجازة؟ - يعني على الصراط - فقال: فقراء المهاجرين.

قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟

فقال: زيادة كبد حوت.

قال: فما غذاؤهم على أثرها ؟

قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل في أطرافها.

قال: فما شرابهم عليه ؟

قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً.

فقال: صدقت» (١) .

وقال زيد بن أرقم رضي الله عنه: «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة

يأكلون فيها ويشربون ؟

وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذا خصمته.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥ .

(١) المحجة البيضاء ٣٧٣/٨ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع. فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمّر»^(٢) .

وسأل أحد علماء النصارى الإمام الباقر عليه السلام فقال : «أخبرني عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون أعطني مثلهم في الدنيا ؟

فقال أبو جعفر H : «هذا الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ولا يتغوط»^(١) .

وقال ابن مسعود: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً»^(٢) .

وسأل ابن سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أخبرني عن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ؟

(٢) المحجة البيضاء ٣٧٣/٨ .

(١) الكافي ٩٤/١٢٣/٨ .

(٢) المحجة البيضاء ٣٧٣/٨ .

قال : نعم يا ابن سلام مثلهم في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ويشرب مما تشربه ولا يبول ولا يتغوط ولو راث في بطنها وبال لانشق بطنها.

قال: صدقت يا محمد فأخبرني عن أنهار الجنة ما هي ؟

قال: يا ابن سلام لبن لم يتغير طعمه وخمر وعسل مصفى وماء غير آسن.

قال: صدقت يا محمد، فجامدة هي أم جارية؟

قال: بل جارية بين أشجارها.

قال: فهل تنقص أم تزيد؟

قال: لا يا ابن سلام.

قال: فهل لذلك مثل في الدنيا ؟

قال: نعم.

قال: وما هو ؟

قال: يا ابن سلام انظر إلى البحار تمطر فيها السماء وتمدها الأنهار من الأرض فلا تزيد ولا تنقص.

قال: صف لي أنهار الجنة.

قال: يا ابن سلام في الجنة نهر يقال له الكوثر رائحته أطيب من رائحة المسك الأذفر والعنبر، حصاه الدر والياقوت عليه ختام من اللؤلؤ الأبيض وهو منزل أولياء الله تعالى.

قال: صدقت يا محمد ، فصف لي أشجار الجنة.

قال: في الجنة شجرة يقال لها طوبى أصلها من در وأغصانها من الزبرجد، وثمرها الجواهر، ليس في الجنة غرفة ولا حجرة ولا موضع إلا وهي متدلّية عليه.

قال: صدقت يا محمد فهل في الدنيا لها من مثل ؟

قال: نعم الشمس المشرقة على بقاع الدنيا ولا يخلو من شعاعها مكان.

قال: صدقت يا محمد، فهل في الجنة ريح ؟

قال: نعم يا ابن سلام، فيها ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة واللذات يقال لها البهاء، فإذا اشتاق أهل الجنة أن يزوروا ربهم هبت تلك الريح عليهم التي لم تخلق من حر ولا برد بل خلقت من نور العرش تنفخ في وجوههم فتبهي وجوههم وتطيب قلوبهم، ويزدادوا نوراً على نورهم وتضرب أبواب الجنان وتجري الأنهار وتسبح الأشجار وتغرد الأطيّار فلو أن من في السماوات والأرض قيام يسمعون ما في الجنة من سرور وطرب لمات الخلائق شوقاً إلى الجنة، والملائكة يدخلون عليهم فيقولون كما قال الله ﷻ في محكم كتابه العزيز ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٢).

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٤.

قال: صدقت يا محمد، قال: فاخبروني عن أرض الجنة ما هي؟

قال: يا ابن سلام أرضها من ذهب وترابها المسك والعنبر ورضراضها الدر والياقوت وسقفها عرش الرحمن.

قال: صدقت يا محمد ، فاخبرني مما يأكل أهل الجنة إذا دخلوها ؟

قال: يا ابن سلام يأكلون من كبد الحوت، الذي يحمل الأرض وما عليها واسمه بهموت .

قال: صدقت يا محمد، قال: فأخبرني عن أهل الجنة كيف يصرفون ما يأكلون من ثمارها وكيف يخرج من أجوافهم ؟
قال: يا ابن سلام ليس يخرج من أجوافهم شيء بل عرقاً صلباً أطيب من المسك وأزكى من العنبر، ولو أن عرق رجل من أهل الجنة مزج به البحار لأسكر ما بين السماء والأرض من طيب رائحته.

قال: صدقت يا محمد»(١).

إن كل إنسان في هذه الدنيا سيحاسب وسيجزى كل حسب عمله إلا المخلصين، المتقين فإنهم لا يحاسبون في يوم الحساب،

(١) بحار الأنوار ٥٧/٢٥٥ - ٢٥٦.

كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(١) .

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٢) .

فقال: يا علي إن الوفد لا يكونون إلا ركبانا أولئك رجال اتقوا الله، فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم فسامهم المتقين ثم قال: يا علي، أما والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم ، وإن الملائكة لتستقبلهم بنوقٍ من نوق العز عليها رحائل من الذهب مكللة بالدر والياقوت، وجلائلها الإستبرق والسندس، وخطمها جدل الأرجوان تطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله يزفونهم زفاً حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم، وعلى باب الجنة شجرة، إن الورقة فيها ليستظل تحتها ألف رجل من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكّية. قال: فيسقون منها شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد ويُسقط من أبشارهم الشعر وذلك قول الله عز وجل : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾^(٣) من تلك العين المطهرة.

(٢) سورة مريم، الآية : ٨٥ .

(٣) سورة مريم، الآية : ٨٥ .

(١) سورة الإنسان، الآية : ٢١ .

قال: ثم ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً .

قال: ثم يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحر والبرد أبداً .

قال: فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة ولا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم ووجبت رحمتي لهم، وكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات.

قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنة، فإذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم ، ضرب الملائكة الحلقة ضربة فتصر صريراً يبلغ صوت صريرها كل حوراء أعدها الله ﷻ لأوليائه في الجنان فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة، فيقول بعضهن لبعض: قد جاءنا أولياء الله فيفتح لهم الباب، فيدخلون الجنة وتُشرفُ عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقتلن: مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم. ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك^(١)... ثم قال أبو جعفرH: «أما

الجنان المذكورة في الكتاب فإنهن : جنة عدن ، وجنة الفردوس، وجنة نعيم، وجنة المأوى ، قال وإن لله ﷻ جناتاً محفوفة بهذه الجنان، وإن المؤمن ليكون له من الجنان ما أحب واشتهى يتنعم فيهن كيف يشاء، وإذا أراد المؤمن شيئاً أو اشتهى إنما دعواه فيها إذا أراد أن يقول سبحانك اللهم، فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما

(١) الكافي ٨/٩٥-٩٧ ح ٦٩ .

اشتهدى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به وذلك قول الله ﷻ
﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(١) يعنى الخدام.

قال: ﴿وَأَخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) يعنى بذلك
عندما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب يحمدون الله
ﷻ عند فراغهم.

وأما قوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾^(٣) قال: يعلمه الخدام
فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إياه.

وأما قوله ﷻ: ﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾^(٤) قال: فإنهم لا
يشتهون شيئاً في الجنة إلا أكرموا به»^(٥).

قد يقول قائل: ماذا نعمل حتى لا تفوتنا الجنة؟

يجيب الإمام زين العابدين عليه السلام قائلاً: «معاشر شيعتنا أما
الجنة فلن تفوتكم سريعاً كان أو بطيئاً ولكن تنافسوا في الدرجات
واعلموا أن أرفعكم درجات وأحسنكم قصوراً ودوراً وأبنيّةً أحسنكم فيها
أحسنكم إيجاباً لإخوانه المؤمنين، وأكثرهم مواساة لفقرائهم إن الله
ﷻ ليقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة طيبة يكلم بها أخاه المؤمن
الفقير بأكثر من مسيرة مائة ألف سنة بقدمه وإن كان من المعذبين

(٢) سورة يونس، الآية : ١٠ .

(٣) سورة يونس، الآية : ١٠ .

(٤) سورة الصافات، الآية : ٤١ .

(٥) سورة الصافات، الآية : ٤٢ .

(٦) الكافي ١٠٠/٨ ح ٦٩ .

بالنار، فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم فسوف ينفعكم الله تعالى حيث لا يقوم مقام ذلك شيء غيره»^(١).

يقول تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا
عَلَيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ
* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقُونَ
مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكَ * وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٢).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٢٠٤.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١٨ - ٢٦.

صفة أهل الجنة

قال الله ﷻ: ﴿فَأَقْبِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ❁ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ❁ يَقُولُ أَغَيْنَاكَ مِنَ الْمُسَدِّقِينَ ❁ أَتَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَغَيْنَا لِمَدِينُونَ ❁ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ❁ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴿^(١).

يسأل أهل الجنة بعضهم بعضاً عن أحوالهم من وقت بعثهم وحشرهم إلى أن أدخلوا الجنة، فيخبر صاحبه بإنعام الله عليه ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾^(٢) أي من أهل الجنة ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾^(٣) في الدنيا، أي صاحب يختص بي إما من الإنس على قول ابن عباس، أو من الشياطين على قول مجاهد.

(يقول) لي على وجه الإنكار عليّ والتهجين لفعلي إنك لمن المصدقين بيوم الدين ، بالبعث والنشور والحساب والجزاء ،

(١) سورة الصافات، الآية : ٥٠-٥٥ .

(٢) سورة الصافات، الآية : ٥١ .

(٣) سورة الصافات، الآية : ٥١ .

﴿أَنذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَعِنَّا لَمَدِينُونَ﴾^(١) أي مجزيون محاسبون.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ﴾^(٢) أي ثم قال هذا المؤمن لإخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون على موضع من الجنة يرى منه هذا القرين في النار، وفي الكلام حذف، فيقولون له: نعم اطلع أنت فأنت أعرف بصاحبك.

قال الكلبي: وذلك لأن الله تعالى جعل لأهل الجنة كوة ينظرون منها إلى أهل النار.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٣) أي فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه في وسط النار (قال) أي فقال له المؤمن ﴿تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾^(٤) أقسم بالله إنك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني إليه حتى يكون هلاكي كهلاك المتردي من شاهق، ولولا الهداية واللفظ من الله تعالى لكنت معك في النار»^(٥).

إن جلوس الإنسان المؤمن وحديثه معه في كل منهما لذة، وتشاوره مع المؤمنين نعمة من الله، ونظراً لهذا الإحساس والشعور الحقيقي بالسعادة التي يعيشها الإنسان المؤمن بلذة الحديث مع أخيه المؤمن، فقد أوجد الله سبحانه وتعالى ذلك في الجنة أيضاً.

(١) سورة الصافات، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الصافات، الآية : ٥٤ .

(٣) سورة الصافات، الآية : ٥٥ .

(٤) سورة الصافات، الآية : ٥٦ .

(٥) بحار الأنوار ٩٦/٨ .

إن المؤمنين في دار الدنيا إذا ما جلسوا في مجلس ما ودار الحديث عن هم صالوا الجحيم، فإن في ذلك راحة واطمئنان لنفسه، وفيه تذكير لموقف أهل الجنة وهم يتحدثون عن أهل النار.

كما أن أهل النار إذا دخلوها ورأوا نكالها وأهوالها، وعلموا عذابها وعقابها ورأوها كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام : «ما ظنك بنار لا تبقي على من تضرع إليها ولا يقدر على الحفيف عن خشع لها واستسلم إليها تلقي سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال» يعرفون أن أهل الجنة في ثواب عظيم كما قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَبَادِيَ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(١) .

قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ثم يجيبونهم بلسان الاحتقار والتهوين ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢) . قال: فيرون الخزنة عندهم وهم يشاهدون ما نزل بهم من المصاب فيؤملون أن يجدوا عندهم فرجاً بسبب من الأسباب كما قال الله عز وجل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾^(٣) .

(١) سورة الأعراف، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة غافر، الآية : ٤٩ .

قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ثم يجيبونهم بعد خيبة الآمال ﴿قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١).

قال: فإذا يئسوا من خزنة جهنم رجعوا إلى مالك مقدم الخزان وأملوا أن يخلصهم من ذلك الهوان كما قال ﷺ: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(٢).

قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة وهم في العذاب ثم يجيبهم كما قال الله في كتابه المكنون: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ﴾^(٣).

قال: فإذا يئسوا من مولاهم رب العالمين الذي كان أهون شيء عندهم من دنياهم، وكان قد آثر كل واحد منهم عليه هواه مدة الحياة وكان قدر عندهم بالعقل والنقل أنه أوضح لهم على يد الهداة سبل النجاة وعرفهم بلسان الحال انهم الملقون بأنفسهم إلى دار النكال والأهوال وأن باب القبول يغلق عن الكفار بالممات أبد الآبدين، وكان يقول لهم في أوقات كانوا في الحياة الدنيا من المكلفين بلسان الحال الواضح المبين هب أنكم ما صدقتموني في هذا المقال أما تجزون أن أكون من الصادقين فكيف أعرضتم عني وشهدتم بتكذبي وتكذيب من

(٢) سورة غافر، الآية : ٥٠.

(٣) سورة الزخرف، الآية : ٧٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية : ٧٧.

صدقني من المرسلين، وهلا تحررتم من هذا الضرر المحذر الهائل؟ أما سمعتم بكثرة المرسلين؟ ثم كرر ﷺ مرافقتهم في النار بلسان المقال فقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾^(١).

فقالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(٢) فيقفون أربعين سنة نزل الهوان لا يجابون، وفي عذاب النار لا يكلمون ثم يجيبهم الله ﷻ: ﴿أَخْسِنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلَّمُونَ﴾^(٣).

قال: فعند ذلك ييأسون من كل فرج وراحة ويغلق أبواب جهنم عليهم ويدوم لديهم ماتم الهلاك والشهيق والزفير والصراخ والنياح»^(٤).

وإن من الحوار الذي يدور في وسط الجنة بين عباد الله المخلصين، حديثهم عن أهل جهنم، وذكرياتهم عما جرى لهم في الدنيا.

فيقول أحدهم: ﴿إِنِّي كَانَتْ لِي قَرِينٌ﴾^(٥) أي كان لي صديق من الأصدقاء في الدنيا يقول لي ﴿أَنْتَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ﴾^(٦) بأنه

(١) سورة المؤمنون، الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان : ١٠٦-١٠٧ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية : ١٠٨ .

(٤) بحار الأنوار ٨/ ٣٠٤ - ٣٠٥ ح ٦٣ بتصرف.

(٥) سورة الصافات، الآية : ٥١ .

(٦) سورة الصافات، الآية : ٥٢ .

سنقوم القيامة وأنا مدينون ومسؤولون عما نحن نفعل الآن؟ هل تدرّون أين هو الآن؟

ترى هل كان جوابهم أنهم لا يعرفوه، أم أنهم جهلوا مكانه؟ ربما كان جواب أحدهم : يا أخي المؤمن إن صديقاً يقول لك : ﴿أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَعِنَّا لَمَدِينُونَ﴾^(١) صديق لا يعتقد بيوم الحساب أين يكون مكانه ؟ لا بد أن مكانه النار، فهلا اطلعت عليه ﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

إن الحوار الذي يدور بين المؤمنين في الجنة، والذي يصوره القرآن الكريم بصورة رائعة وجميلة، حوار يشمل كل مسائل الدنيا باسترجاع ذكرياتها، وكل ما في الآخرة من نعيم.

وإن من النعم في الجنة أن يرى الإنسان أهل النار وهم يعذبون، إذ يزداد سروراً وغبطة وفرحاً .

وإن من الحديث بين أهل الجنة والنار قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣) .

وإن من جواب أهل النار والاستفسار عن وجودهم في النار: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾؟^(٤).

(٣) سورة الصافات، الآية : ٥٣ .

(٤) سورة الصافات، الآية : ٥٥ .

(١) سورة الأعراف، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٤٣ .

فيأتيهم الجواب: «كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ»؟^(١).

ومن الأجوبة على أسئلة أهل النار : إنك من المصلين
والمزكين إلا أنك لم تكن ترى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب
عليه السلام حقه، ولا تعترف بمحله في الإسلام.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: « أعظم الناس حسرة رجل جمع
مالاً عظيماً بكد شديد، ومباشرة الأهوال وتعرض الأخطار ثم أفنى
ماله صدقات ومبرات، وأفنى شبابه وقوته في عبادات وصلوات وهو
مع ذلك لا يرى لعلي بن أبي طالب عليه السلام حقه، ولا يعرف له في
الإسلام محله، ويرى أن من لا بعشره ولا بعشر عشير معشاره أفضل
منه عليه السلام يوافق على الحجج فلا يتأملها ويحتج عليه بالآيات
والأخبار، فيأبى إلا تمادياً في غيه، فذاك أعظم حسرة من كل من
يأتي يوم القيامة وصدقاته ممثلة له في مثال الأفاعي تنهشه
وصلواته وعباداته ممثلة في مثال الزبانية تتبعه حتى تدعه إلى
جهنم دعاً .

يقول: يا ويلي ألم أكن من المصلين؟! ألم أكن من المزكين؟!
ألم أكن عن أموال الناس ونسائهم من المتعففين؟! فلماذا دهيت بما
دهيت.

فيقال له: يا شقي، ما نفعك ما عملت قد ضيعت أعظم
الفروض بعد توحيد الله والإيمان بنبوة محمد رسول الله صلى الله

(٣) سورة الفجر، الآية : ١٧-١٨.

عليه وآله وسلم ضيعت ما لزمك من معرفة حق علي ولي الله ﷺ وألزمت ما حرم الله عليك من الائتتام بعبود الله فلو كان بدل أعمالك هذه عبادة الدهر من أوله إلى آخره، وبدل صدقاتك، الصدقة بكل أموال الدنيا، بل بملاً الأرض ذهباً لما زادك ذلك من رحمة الله إلا بعداً ومن سخط الله إلا قريباً^(١).

عن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عمل يدخل به الجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صلِّ المكتوبات، وصم شهر رمضان، واغتسل من الجنابة وأحب علياً ﷺ، وأدخل الجنة من أي باب شئت، فوالذي بعثني بالحق لو صليت ألف عام، وصمت ألف عام، وحججت ألف حجة، وغزوت ألف غزوة، وأعتقت ألف رقبة، وقرأت التوراة والإنجيل والفرقان ولقيت الأنبياء كلهم وعبدت الله تعالى مع كل نبي ألف عام، وجاهدت معهم ألف غزوة، وحججت مع كل نبي ألف حجة ثم مت ولم يكن في قلبك حب علي وأولاده أدخلك الله النار مع المنافقين.

ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب قولي في علي ﷺ فإني لم أقل في علي ﷺ إلا بأمر جبرائيل، وجبرائيل لا يخبرني إلا عن الله ﷻ، وإن جبرائيل لم يتخذ أخاً في إلا علياً من شاء فليحب، ومن شاء

(١) مستدرک الوسائل ١/١٦٢-١٦٣/٢٦٤.

فليغض فإن الله سبحانه وتعالى حتم على نفسه أن لا يخرج
مبغض علي بن أبي طالب عليه السلام من النار أبداً» (١) .

يقول الشيخ الجليل المولى محمد مهدي النراقي قدس سره
(٢) في رسالة إلى السيد بحر العلوم قدس سره :

ألا قل لسكان أرض الغري لقد فزتم بجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء أو فنحن عطاشى وأنتم ورود

فرد عليه السيد بحر العلوم قدس سره في أبيات يقول فيها:

ألا قل لمولى يرى من بعيد ديار الحبيب بعين الشهود
لك الله من غائب حاضر على حاضر غائب بالصدود
لنحن على القرب نشكوى النظما وفزتم على بعدكم بالورود

(١) إرشاد القلوب ٢/٢٥٣ .

(٢) هو الشيخ الجليل المولى محمد مهدي بن أبي زر النراقي أحد أعلام المجتهدين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الهجرة، وقد ولد الشيخ المترجم له في مدينة (نراق) وهي قرية من قرى كاشان بإيران. ولم يذكر التاريخ سنة ولادته، وعلى التقريب يمكن استخراجها من بعض المقارنات التاريخية، فإنه تلمذ في أول نشأته على ما يظهر على الشيخ المحقق الحكيم المولى إسماعيل الخاجوي ثلاثين سنة مع العلم أن أستاذه هذا توفي عام ١١٧٣ هـ فيكون أول تلمذته عليه عام ١١٤٣ هـ على أقل تقدير إذا فرضنا أنه لازمه إلى حين وفاته. ولنفرض على أقرب تقدير أنه قد حضر عليه وهو في سن ١٥ عاماً، وعليه فتكون ولادته عام ١١٢٨ هـ، أما وفاته فقد كانت عام ١٢٠٩ هـ في النجف الأشرف ودفن فيها، فيكون قد بقي بعد وفاة أستاذه الوحيد البهبهاني سنة واحدة. له مؤلفات عديدة منها:

١- جامع السعادات، ٢- معتمد الشيعة، ٣- لوامع الأحكام، ٤- محرق القلوب، ٥- أنيس المجتهدين، ٦- تجريد الأصول، ٧- مشكلات العلوم، وغيرها. (راجع معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف ٣/١٢٨٦).

لقد أراد المولى النراقي قدس سره : إننا نعيش في نار الشوق والهيام والحب لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان رد السيد بحر العلوم قدس سره : صحيح يا شيخ أحمد أنك بعيد عن النجف الأشرف إلا أن ذلك لا يعني أنك بعيد عن وجه الحقيقة فأنت الغائب الحاضر، لكن بعض الناس موجودون في النجف الأشرف إلا أنهم غائبون بصدودهم عن أمير المؤمنين عليه السلام .

وهكذا الإنسان في جميع موارد الحياة إذا ما أراد أن يتوجه توجهاً حقيقياً فليكن حاضر القلب، وإلا فما فائدة أن يكون الجسم حاضراً دون القلب .

صفة أهل النار

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَاطَّعَ فَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * أَدْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾^(١).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد لاحظ الإنسان أن الحيوانات التي تعيش في الكهوف المظلمة - بعد أن كانت تعيش خارجها - قد فقدت القدرة على البصر، وأصبح الجهاز البصري لديها غير ذي فائدة وذلك لعدم

(١) سورة الصافات، الآيات: ٥٥-٧٠.

وجود النور في تلك الكهوف، وكذلك الإنسان الذي يعيش في ظلام المنكرات سيفقد بصره وبصيرته.

إن الظلمات التي تحيط بالإنسان إنما هي بسبب تعطيله لمصباح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريق حياته، فاستمر العيش في الظلام إلا أنه في نفس الوقت يشكو حالة التخبط وعدم رؤية الطريق بصورة واضحة.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قَلْباً فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى فمن نصرهما أعزه الله تعالى ومن خذلهما خذله الله تعالى»^(٢).

إن المنكر إذا لم يتناه عنه تحول مع الأيام معروفاً، ومن هنا كان لا بد من إنكار المنكر باليد واللسان والقلب.

وقد يقول قائل: كيف بي وأنا لا أقدر على إنكار المنكر؟ ثم إني إذا ما قمت بإنكار المنكر فإن ذلك يعني أن أدخل مع الناس في شجار وعراك.

(١) وسائل الشيعة ١٦/١٣٤/٢١١٧١.

(٢) تهذيب الأحكام ٦/١٧٧ ح ٣٥٧.

يقول النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد

الله

أوحى

إلى جبرائيل وأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفار والفجار، فقال جبرائيل: يا رب أخسف بهم إلا بفلان الزاهد ليعرف ماذا يأمر الله فيه.

فقال: أخسف بفلان قبلهم.

فسأل ربه فقال: يا رب عرّفتني لم ذلك وهو زاهد عابد؟

قال: مكنت له وأقدرته فهو لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن

المنكر، وكان يتوفّر على حبهم في غضبي .

فقالوا: يا رسول الله: فكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما

نشاهده من منكر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لتأمرن

بالمعروف ولتنهّن عن المنكر أو ليعمّنكم عذاب الله، ثم قال: من

رأى منكم منكراً فليذكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه فإن

لم يستطع فبقلبه فحسبُهُ أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره»^(١) .

وعن الإمام الباقر عليه السلام في حديث قال: «فأنكروا بقلوبكم

والفُظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم،

فإن اتعضوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم إنما السبيل على

الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم

عذاب أليم هنالك، فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين

(١) وسائل الشيعة ١٦/١٣٤-١٣٥/٢١١٧٣.

سلطاناً ولا باغين مالاً ولا مريرين بالظلم ظفرأ حتى يفئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته» (١) .

وفي حديث طويل للإمام الصادق عليه السلام ملخصه: «إن إبليس احتال على عابد من بني إسرائيل حتى ذهب إلى فاجرة يريد الزنا بها.

فقال له: إن ترك الذنب أيسر من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها.

فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت وإذا على بابها مكتوب أحضروا فلانة فإنها من أهل الجنة، فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله سبحانه إلى نبي من الأنبياء - ولا أعلمه إلا موسى بن عمران أن انت فلانة فصل عليها ومُر الناس فليصلوا عليها فإني قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثيبتها عبدي فلاناً عن معصيتي» (٢).

إن الإنسان الذي يعيش في مجتمع لا يُنهي فيه عن المنكر، كالإنسان الذي يعيش في وسط موبوء بالجراثيم والأمراض، فمهما كانت المناعة ضد المرض في جسمه عالية فلا بد وأن يصاب بمرض ما في يوم من الأيام، وعند ذلك لا ينفعه حذره ولا مناعته.

(١) وسائل الشيعة ١٦/١٣١/٢١١٦٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٦/١٣٢/٢١١٦٤.

كما أن الذنوب التي تحيط به إنما هي من آثار ارتكاب الناس للمنكرات وهي كالنار التي تحيط بالكافرين. يقول تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(١).

إن الإنسان في لحظات ارتكاب المعاصي والمنكرات كمن يخرج من فيه ناراً.. فلننظر إلى صفات أهل النار ونستطلع أحوالهم فيها، ولنرى إن كنا قادرين على تحمل عذاباتهم التي يتعرضون لها في النار، أو إذا كنا سنبتلى بمثل ما ابتلوا به في دار الدنيا أم لا .

هؤلاء يدخلون النار

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار»^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر المتكبرون يوم القيامة في خلق الذر النمل الصغير في صور الناس يُوطَّنُون حتى يفرغ الله من حساب خلقه ثم يسلك بهم إلى النار يُسْقُونَ من طينة خبال من عصارة أهل النار»^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية : ٤٩ .

(٢) وسائل الشيعة ١٦/٣٤/٢٠٩٠٢ .

(٣) وسائل الشيعة ١٥/٣٧٨/٢٠٧٩٥ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في جهنم وادياً يستغيث أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة منه إلى أن قال فقيل له لمن يكون هذا العذاب؟: قال لشارب الخمر من أهل القرآن وتارك الصلاة»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي من تعلم علماً ليما ري به السفهاء أو يجادل به العلماء أو ليدعو الناس إلى نفسه فهو من أهل النار»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مُدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم، ومن مات مُدمن خمر سقاه الله عَذَاباً من نهر العرطة (الغوطة).

قيل : وما نهر العرطة (الغوطة) ؟

قال : نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريحهن»^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأبي ذر : «يا أبا ذر يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وإنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم وتأديبكم ؟ فيقولون: إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله»^(٤).

(١) وسائل الشيعة ٦/١٨٤/٦٠٧٦٨٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤/٣٦٣/٥٧٦٢.

(٣) وسائل الشيعة ١٥/٣٤٦/٢٠٧٠٢، ومعاني الأخبار ٣٢٩ - ٣٣٠ ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ١٦/١٥٢/٢١٢١٩.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من نكح امرأة حراماً أو رجلاً أو غلاماً حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل جهنم ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وأحبط الله عمله ويدعه في تابوت مشدود بمسامير من حديد، ويضرب عليه في التابوت بصفائح حتى يشتبك في تلك المسامير، فلو وضع عرق من عروقه على أربعمئة أمة لماتوا جميعاً، وهو من أشد أهل النار عذاباً»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أشد أهل النار عذاباً من وصف عدلاً ثم خالف إلى غيره»^(٢).

وعن رفاة النخاس قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا رفاة ألا أحدثك بأشد أهل النار عذاباً؟ قلت: بلى.

قال: من أعان على مؤمنٍ بشطر كلمة»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «من عاب أخاه بغيب فهو من أهل النار»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أطعم طعاماً رياءً وسمعةً أطعمه الله مثله من صديد جهنم وجعل ذلك الطعام ناراً

(١) وسائل الشيعة ٢٠/٣٢٢/٢٠٥٧٢٦.

(٢) مستدرک الوسائل ١١/٣٢١/١٣١٤٩.

(٣) مستدرک الوسائل ١٨/٢١٤/١٢٥٣٦.

(٤) الاختصاص، ص ٢٤٠.

في بطنه حتى يُقضى بين الناس، ومن فجر بامرأة لها بعل يفجر من فرجيهما من صديد واد مسيرة خمسمائة عام يتأذى أهل النار من نتن ريحهما، وكان من أشد الناس عذاباً، واشتد غضب الله على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير ذي محرم منها، وإذا فعلت ذلك أحبب الله كل عمل عملته، فإذا أوطأت فراشه غيره كان حقاً على الله أن يحرقها في النار بعد أن يعذبها في قبرها، وأيما امرأة اختلعت من زوجها لم تنزل في لعنة الله وملائكته ورسوله والناس أجمعين حتى إذا نزل بها ملك الموت قيل لها: ابشري بالنار، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: أدخلني النار مع الداخلين، ألا وإن الله ورسوله بريئان من المختلعات بغير حق»^(١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه غضب الله ولعنة الله في الدنيا والآخرة، وكان حقاً على الله أن يرضخه بألف صخرة من نار، ومن مشى في فساد بينهما ولم يفرق كان في سخط الله ولعنته في الدنيا والآخرة وحرّم الله عليه النظر إلى وجهه»^(٢) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن في النار لئاراً يتعوذ منها أهل النار ما خلقت إلا لكل متكبر جبار عنيد ولكل شيطان مريد، ولكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ولكل ناصب العداوة لآل محمد»^(٣) .

(١) أعلام الدين، ص ٤١٨ .

(٢) أعلام الدين، ص ٤٢٠ .

(٣) تفسير القمي ٢/٢٦١ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تولى خصومة ظالم أو أعانه عليها نزل به ملك الموت بالبشرى بلعنة الله ونار جهنم خالداً فيها وبئس المصير، ومن خف لسلطان جائر كان قرينه في النار، ومن دل سلطاناً على الجور قرن مع هامان وكان هو والسلطان من أشد أهل النار عذاباً، ومن عظم صاحب دنيا وأحبه لطمع دنياه سخط الله عليه وكان في درجته مع قارون في الباب الأسفل، ومن بنى بيتاً رياءً وسمعة حمله يوم القيامة إلى سبع أرضين ثم يطوقه ناراً يوقد في عنقه ثم يرمى به في النار»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤتى بالزاني يوم القيامة حتى يكون فوق أهل النار فيقطر قطرة من فرجه فيتأذى بها أهل جهنم من نتنها فيقول أهل جهنم للخزان: ما هذه الرائحة المنتنة التي قد آذتنا؟

فيقال لهم: هذه رائحة زانٍ؛ ويؤتى بامرأة زانية فيقطر قطرة من فرجها فيتأذى بها أهل النار من نتنها»^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجلٌ دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الجنة وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى»^(٣).

(١) ثواب الأعمال ، ص ٢٨١ .

(٢) الجعفریات، ص ٩٩ .

(٣) عدة الداعي ، ص ٩١ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أكل الربا ملأ الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل وإن اكتسب منه مالاً لم يقبل الله منه شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده قيراطاً»^(١).

صفة النار وما فيها

قال الإمام الكاظم عليه السلام: «إن في النار لوادياً يقال له سقر لم يتنفس منذ خلقه الله، لو أذن الله ﷻ له في النفس بقدر مخيط لأحرق ما على وجه الأرض. وإن أهل النار ليتعودون من حر ذلك الوادي ومنتنه وقدره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الوادي لجبلً يتعوذ جميع أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ومنتنه وقدره وما أعده الله لأهله، وإن في ذلك الجبل لشعب يتعوذ جميع أهل الجبل من حر ذلك الشعب ومنتنه وقدره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الشعب لقليباً يتعوذ جميع أهل ذلك الشعب من حر ذلك القليب ومنتنه وقدره وما أعد الله فيه وإن في ذلك القليب لحيّة يتعوذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية ومنتنها وقدرها وما أعده الله في أنيابها من السم لأهلها، وإن في جوف تلك الحية لسبعة صناديق فيها، خمسة من الأمم السالفة واثنان من هذه الأمة.

قال : جعلت فداك من الخمسة ؟ ومن الاثنان ؟

(١) وسائل الشيعة ١٨/١٢٢/٢٣٢٨٤.

قال: أما الخمسة؛ فقبائل الذي قتل هابيل ونمرود ﴿الَّذِي حَاجَّ
إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(١) قال: ﴿أَنَا أُخِي وَأُمِّيْتُ﴾^(٢)، وفرعون الذي قال:
﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٣)، ويهود الذي هود اليهود وبولس الذي
نصر النصارى ومن هذه الأمة الأعرابيان»^(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «بينما رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ذات يوم قاعد إذ نزل جبرئيل عليه السلام وهو كئيب حزين
متغير اللون، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا
جبرئيل مالي أراك كئيباً حزيناً؟

قال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك، وإنما وضعت منافخ
جهنم اليوم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وما منافخ جهنم
يا جبرائيل؟

قال: إن الله تبارك وتعالى أمر النار فأوقد عليها ألف عام
حتى احمرت، ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر
بها فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت، وهي سوداء مظلمة، فلو أن
حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥ .

(٣) سورة النازعات، الآية: ٢٤ .

(٤) روضة الواعظين ٢/٥٤٥ ح ١٧٩٨ .

لذابت الدنيا من حرها، ولو أن قطرة من الزقوم أو الضريع قُطرت في شراب أهل الدنيا ل مات أهل الدنيا من ننتها.

قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبرئيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال: إن ربكما يقرؤكما السلام ويقول لكما إني قد أمنتكما من أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه»^(١) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقد أطفأت سبعين مرة بالماء ثم التهبت ولولا ذلك ما استطاع آدمي أن يطيقها وإنه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في النار لحيات مثل أعناق البُختِ يسعن أحدهم الساعة فيجد حَموتها أربعين خريفاً وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يسعن أحدهم فيجد حَموتها أربعين خريفاً»^(٣) .

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «إن جهنم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأخرى، فقال: هكذا، وإن الله وضع الجنان على العرض، ووضع الميزان

(١) روضة الواعظين ٥٤٣/٢-٥٤٤ ح ١٧٩٦ .

(٢) بحار الأنوار ٢١/٢٨٨/٨ .

(٣) روضة الواعظين ٥٤٨/٢ ح ١٨٠٣ .

بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة
وفوقها سقر وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية»^(١) .

وعن ابن عباس قال: «لجهنم سبعة أبواب على كل باب
سبعون ألف جبل، في كل جبل سبعون ألف شعب، في كل شعب
سبعون ألف وادٍ ، في كل وادٍ سبعون ألف شق، في كل شق
سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف حية، مسيرة ثلاثة
أيام، أنيابها كالنخل الطوال، تأتي ابن آدم فتأخذه بأشعار عينيه
وشفتيه، فيكشط كل لحم على عظمه وهو ينظر فيهرب منها فيقع
في نهر من أنهار جهنم يذهب به سبعين خريفاً. قال الشاعر:

إلهي كَأني في القيامة واقفٌ

وقد فاضَ دمعي حين أقرأ كتابيا

يقول لي الجبارُ اقرأ فإني

أُثيبك يا عبدي بما كنت ساعيا

فيا سواتاً من موقفي وصحيفتي

تُخبره تُحصي عليّ الدواها

تُعرفني ذنباً قديماً عملته

وقد كنتُ عنها ساهي القلب لاهيا

وقد وُضع الميزانُ للفصل والقضا

(٤) بحار الأنوار ٨/٢٤٥ - ٢٤٦ .

كفى لعباد الله بالله قاضيا

فهذا بوجه مسفر اللون ضاحك

وأخرُ مصروفاً إلى النار باكياً^(١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان في هذا المسجد مائة ألفٍ أو يزيدونَ ثم تنفس رجلٌ من أهل النار فأصابهم نَفْسُهُ لاحترق المسجدُ ومن فيه»^(٢).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «وأما أهل المعصية فخلدوا في النار وأوثق منهم الأقدام، وغل منهم الأيدي إلى الأعناق، وألبس أجسادهم سراويل القطران وقطعت لهم منها مقطعات من النار، وهم في عذاب قد اشتد حره، ونار قد أطبق على أهلها فلا يفتح عنها أبداً ولا يدخل عليهم ريح أبداً، ولا ينقضي منهم الغم أبداً، العذاب أبداً شديداً، والعقاب أبداً جديداً، لا الدار زائلة فتفى ولا آجال القوم تقضى، ثم حكى نداء أهل النار فقال: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(٣) قال: أي نموت، فيقول مالك: ﴿إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾^(٤)»^(٥).

وفي رواية أبي الجارود قدس سره عن أبي جعفر H في

قوله

:

(١) روضة الواعظين ٥٤٨/٢ - ٥٤٩ ح ١٨٠٣ .

(١) روضة الواعظين ٥٤٨/٢ ح ١٨٠٢ .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٧٧ .

(٣) سورة الزخرف، الآية : ٧٧ .

(٤) تفسير القمي ٢٨٩/٢ .

﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) فوقوفهم على الصراط وأما
﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾^(٢) فبلغني -والله
أعلم- إن الله جعلها سبع دركات أعلاها الجحيم يقوم أهلها
على الصفا منها تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية: ﴿لَطَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُوا مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ
* وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾^(٣).

والثالثة: ﴿سَقَرٌ * لَا تُبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا
تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٤).

والرابعة: (الحطمة) ومنها يثور شرر كالقصر كأنها جمالات
صفر تدق كل من صار إليها مثل الكحل فلا يموت الروح كلما
صاروا مثل الكحل عادوا.

والخامسة: الهاوية فيها ملأ يدعون يا مالك أغثنا فإذا
أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيه صديد ماء يسيل
من جلودهم كأنه مهل، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم
وجوههم فيها من شدة حرها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعِينُوا
يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٥)

(٥) سورة الحجر، الآية: ٤٣.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٤٤.

(١) سورة المعارج، الآية: ١٥-١٨.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٢٧-٣٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار كلما احترق جلده
بدل جلدًا غيره.

والسادسة : هي السعير فيها ثلاثمائة سرداق من نار في
كل سرداق ثلاث مائة قصر من نار، في كل قصر ثلاثمائة بيت
من نار، في كل بيت ثلاثمائة لون من عذاب النار، فيها حيات
من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار، وسلاسل من نار،
وأغلال من نار وهو الذي يقول الله ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا
وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾^(١) .

والسابعة: جهنم، وفيها الفلق وهو جب في جهنم إذا فتح
أسعر النار سعراً وهو أشد النار عذاباً ، وأما ﴿صَعُودًا﴾^(٢) فجبل
من صفر من نار وسط جهنم ، وأما ﴿أَثَامًا﴾^(٣) فهو وادٍ من
صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشد النار عذاباً^(٤) .

شجرة الزقوم

(١) سورة الإنسان، الآية : ٤ .

(٢) سورة المدثر، الآية : ١٧ .

(٣) سورة الفرقان، الآية : ٦٨ .

(٤) بحار الأنوار ٢٨٩/٨ - ٢٩٠ .

الزقوم ثمر شجرة منكرة جداً من قولهم تزقم هذا الطعام إذ تناوله على تكره ومشقة شديدة.

وقيل الزقوم شجرة في النار يفتاتها أهل النار لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الريح، وقيل إنها شجرة معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب، وقيل إنها لا تعرفها، فقد روي أن قريشاً لما سمعت هذه الآية قالت: ما نعرف هذه الشجرة.

قال ابن الأبرعى: الزقوم بكلام البربر التمر والزبد، وفي رواية بلغة اليمن.

قال أبو جهل لجاريته: يا جارية زقمينا .

فأنته الجارية بتمر وزبد، فقال لأصحابه: تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم أن النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر. فأنزل الله سبحانه ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾^(١) أي خبرة لهم افتتوا بها وكذبوا بكونها، فصارت فتنة لهم^(٢) .

ولما نزلت هذه الآية: ﴿سَأْصَلِيهِ سَقَرَ﴾ ❁ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ ❁ ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ ❁ ﴿لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ ❁ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٣) قال أبو جهل لقريش: نكلتكم أمهاتكم أسمعون ابن أبي كبشة يخبركم أن

(١) سورة الصافات، الآية : ٦٣ .

(٢) بحار الأنوار ٢٥٧/٨ بتصرف .

(٣) سورة المدثر، الآيات: ٢٦ - ٣٠ .

خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم والشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يببطشوا برجل من خزنة جهنم.

قال أبو الأسد الجمحي: أنا أكفيكم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني أنتم اثنين، فنزل ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(١)،^(٢).

«إن الزقوم بلغة البربر التمر والزبد ولكنها في جهنم ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ * ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣) أي في قعر جهنم وأغصانها ترفع إلى دركاتها عن الحسن، ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته في النار من جنس النار أو من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما أنها لا تحرق السلاسل والأغلال، وكما لا تحرق حياتها وعقاربها وكذلك الضريع وما أشبه ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ يسأل عن هذا فيقال: كيف شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين وهي لا تعرف إنما شبه الشيء بما يعرف.

وأجيب عنها بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها أستن، قال الأصمعي يقال له: الصورم.

(١) سورة المدثر، الآية : ٣١.

(٢) بحار الأنوار ٢٧٢/٨ .

(٣) سورة الصافات، الآيتان : ٦٤-٦٥.

وثانيها: أن الشيطان جنس من الحيات فشبه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيات.

وثالثها: أن قبح صور الشياطين متصور في النفوس ولذلك يقولون لما يستقبحون جداً كأنه شيطان، فشبه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت به شناعته في قلوب الناس وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب.

وقال الجبائي: إن الله تعالى يشوه خلق الشياطين في النار حتى أنه لو رآه راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبه برؤوسهم. **﴿فإنهم لآكلون منها﴾** يعني أن أهل النار يأكلون من ثمرة تلك الشجرة، **﴿فمالتون منها البُطون﴾** أي يملؤون بطونهم لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع.

وقد روي أن الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة وفيهم أبو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم فيستسقون فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة، فإذا قرّبوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله **﴿يشوي الوجوه﴾** فإذا وصل إلى بطونهم صهر ما في بطونهم كما قال سبحانه: **﴿يُصَهِّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾** ^(١) فذلك شرابهم وطعامهم.

(١) سورة الحج، الآية : ٢٠.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ زيادة على شجرة الزقوم ﴿لَشَوْبَاءً مِنْ حَمِيمٍ﴾^(١) أي خلطاً ومزاجاً من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب، وقيل إنهم يُكرهون على ذلك عقوبة لهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾^(٢)

بعد أكل الزقوم وشراب الحميم ﴿لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾^(٣) وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما تورد الإبل الماء، ثم يوردون إلى الجحيم ويدل على ذلك قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾^(٤) والحميم النار الموقدة والمعنى أن الزقوم والحميم طعامهم وشرابهم والجحيم المسعرة منقلبهم ومآبهم»^(٥).

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه:

«اللهم إني أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك، وتوعدت بها من صدف عن رضاك، ومن نار نُورُهَا ظِلْمَةٌ، وَهَيْئُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْ نَارٍ تَذُرُّ الْعِظَامَ رَمِيمًا، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيمًا، وَمِنْ نَارٍ لَا تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا وَلَا تَرْحَمُ مِنْ اسْتَعْطَفَهَا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسَلَّمَ إِلَيْهَا تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحْرَّ مَا

(١) سورة الصافات، الآية : ٦٧.

(٢) سورة الصافات، الآية : ٦٨.

(٣) سورة الصافات، الآية : ٦٨.

(٤) سورة الرحمن، الآية : ٤٤.

(٥) بحار الأنوار ٨/٢٥٧-٢٥٩.

لديها من اليم النَّكَالِ وشَدِيدِ الوَيَالِ، وأعوذُ بِكَ من عقَابِهَا الفَاغِرَةِ
أفْوَاهَهَا، وحيَاتِهَا الصَّالِقَةِ بَأَنْيَابِهَا، وشرَابِهَا الذي يَقْطَعُ أَمْعَاءَ وَأفْنِدَةَ
سُكَانِهَا وَيَنْزَعُ قُلُوبَهُمْ، وأَسْتَهْدِيكَ لما بَاعَدَ مِنْهَا، وَأَخَّرَ عَنْهَا» (١) .

إن النار التي توعده الله بها على من عصاه والتي يقول عنها
﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ لأنهم ﴿أَلْفَا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ فاتبعوهم
﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ إلى ما يأتي من الغرب الذي دمر كل
شيء فينا، قلوبنا ونفوسنا وعقولنا. ترى هل سيغنيننا الغرب ساعة
المحشر، وهل سيدافعون عنا، وهل سيشفعون لنا ؟

لن يشفع لنا إلا أهل البيت عليهم السلام فلا نجاة من عذاب
الله إلا بولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل
عليه السلام عن ميكائيل عليه السلام عن إسرئيل عليه السلام عن اللوح عن القلم قال:
«يقول الله عز وجل: ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن
من عذابي» (٢) .

وليس من فائدة أن نقول أننا نحب أهل البيت عليهم السلام
إلا أن أفعالنا تخالف أفعال أهل البيت عليهم السلام .
يقول الإمام الصادق عليه السلام: ما أحب الله عز وجل من عصاه (٣) ثم تمثل:

(١) الصحيفة السجادية ، ص ١٥٦-١٥٧ .

(٢) بحار الأنوار ١/٢٤٦/٣٩ . ومعاني الأخبار ٣٧١ ح ١، وجامع الأخبار للشعيري ١٥-١٦

الفصل الخامس، وأمالى الصدوق ٣٠٦ ح ٣٥٠ .

(٣) روضة الواعظين ٢/٣٥٦ ح ١٣٢١ .

تعصي الإلهَ وأنت تُظهر حُبَّه
هذا لعمرك في الفِعال بديعُ
لو كان حُبُّك صادقاً لأطعتهُ
إن المُحِبَّ لمن يُحِبُّ مطيعُ^(١)

(١) روضة الواعظين ٣٥٢/٢ ح ١٣٠٧ .

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا الجهد المتواضع في ذات الله، والذي أردنا من خلاله المساهمة في خلق الأجواء الروحانية التي يدعو إليها الإسلام العظيم ، مما يساعد في تطهير المجتمع من الآثام والذنوب، والتوجه إلى الله بالتوبة النصوح والعمل بالتزام المبادئ السامية للإسلام والأخلاق النبيلة التي يُرغب بها ويثيب عليها. مما يصنع مجتمعاً إنسانياً تسوده العدالة والمساواة والسلوك الحسن .

لهذا ندعو وبإصرار مستميت جميع القادرين على مواكبة التطور الفكري أن يبادروا إلى صب الجهد المكثف في هذا الإطار الأخلاقي لأجل المحافظة على المجتمع من الانحراف القاتل والانجراف وراء الإغراءات المميتة التي تجعل من الإنسان آلة لتنفيذ مآرب الشيطان وأهدافه، فإنه عدو مبين وخصم عنيد كما هو واضح بين طيات هذا الكتاب .

والذي نسأل الله تعالى أن يجعله لبنة خيرة في بناء حضارة إسلامية تحمل في أطرافها السعادة للإنسانية جمعاء .



حرم السيدة زينب عليها السلام

١٤١٩/٣/١٤ هـ

المصادر

١- الاحتجاج.

أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي .
صححه وحققه: الشيخ إبراهيم البهاري والشيخ محمد هادي بإشراف
: الشيخ جعفر السبحاني .
ط ١ قم انتشارات أسوة ١٤١٣ هـ.

٢- الاختصاص .

لأبي عبد الله محمد بن محمد العكبري البغدادي الشيخ المفيد.
صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري.
رتب فهارسه السيد محمود الزرندي المجرمي.
قم منشورات جماعة المدرسين .

٣- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي

لأبي جعفر الطوسي .
تصحيح وتعليق مير داماد الإسترابادي.
تحقيق مهدي الرجائي .

قم مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤٠٤ .

٤- أدب الدنيا والدين .

لأبي الحسن علي بن محمد البصري الماوردي .
حققه وعلق عليه مصطفى السقا .

ط٤ بيروت دار الكتب العلمية ١٩٧٨، قم، أوفست مكتبة
الأرومية .

٥- إرشاد القلوب .

أبو محمد الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي .
ط٤ بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٧٨ .

٦- أعلام الدين في صفات المؤمنين .

أبو محمد الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي .
تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث .

ط٢ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٩٨٨ .

٧- الأمالي .

أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق .
تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة .

ط١ طهران مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧

٨- الأمالي .

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد .
تحقيق حسين الاستادولي وعلي أكبر الغفاري .

ط١ قم مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٢ .

٩- أنوار العقول من أشعار وصي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ديوان الإمام علي عليه السلام).

قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري .
دراسة وتحقيق كامل سلمان الجبوري .

ط ١ بيروت دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم، ١٩٩٩.

١٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار .

محمد باقر بن محمد تقي المجلسي .

ط ٢ (مصححة) بيروت - مؤسسة الوفاء ١٩٨٣ .

- وج ٣١ .

تحقيق الشيخ عبد الزهراء العلوي .

ط ١ بيروت دار الرضا .

- وج ٣٤ .

تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي .

ط ١ طهران ١٩٩٢ .

- وج ٣٣ .

تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي

ط ١ وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي (مؤسسة الطبع) ١٣٦٨ هـ ش.

١١- بصائر الدرجات الكبرى .

أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار .

تقديم وتعليق وتصحيح ميرزا محسن كوجه باغي .

ط ٢ طهران منشورات الأعلمي ١٣٧٤ .

١٢- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة .

- السيد شرف الدين علي الحسيني الإسترابادي الغروي .
ط ٢ قم مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٧ .
- ١٣- تحف العقول عن آل الرسول .
أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني .
صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري .
ط ٢ قم مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٤ .
- ١٤- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم .
عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي .
تحقيق المصطفى الدرايتي .
ط ١ قم مكتب الإعلام الإسلامي .
- ١٥- تفسير الصافي .
المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني .
طهران مكتبة الصدر ١٤١٥ .
- ١٦- تفسير العياشي .
أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي
العياشي .
تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي .
ط ١ بيروت - مؤسسة الأعلمي ١٩٩١ .
- ١٧- تفسير فرات الكوفي .
أبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي .
تحقيق محمد الكاظم .

ط ١ طهران مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد
الإسلامي ١٩٩٠

١٨- تفسير القمي .

أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي .
صححه وعلق عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري.
ط ١ بيروت - دار السرور ١٩٩١ .

١٩- التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام
تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام برعاية السيد محمد باقر
الأبطحي .

ط ١ قم - الناشر مدرسة الإمام المهدي (مطبعة مهر) ١٤٠٩ .

٢٠- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.

محمد بن الحسن الحر العاملي .
تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
ط ١ بيروت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
١٩٩٣،

٢١- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام) .

لأبي الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري .
بيروت مؤسسة الأعلمي .

٢٢- تهذيب الأحكام .

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي .
حققه وعلق عليه السيد حسن الموسوي الخرسان .
بيروت - دار صعب ودار التعارف ١٩٨١ .

٢٣- التوحيد .

- الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق .
صححه وعلق عليه الشيخ هاشم الحسيني الطهراني .
قم - مؤسسة النشر الإسلامي .

٢٤- توحيد المفضل .

- إملاء الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .
علق عليه كاظم المظفر .
ط ١ بيروت - مؤسسة الوفاء ١٩٨٣ .

٢٥- الثاقب في المناقب .

- عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بابن
حمزة.

تحقيق نبيل رضا علوان .

ط ١ قم مؤسسة أنصاريان ١٤١٢ .

٢٦- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال .

- أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي .
قدم له السيد محمد مهدي الخرسان .
ط ٢ قم منشورات الرضي ١٣٦٤ هـ ش .

٢٧- جامع الأخبار .

- تاج الدين محمد بن محمد الشعيري .
طبعة مصححة ومنقحة .

بيروت - مؤسسة الأعلمي ١٩٨٦ .

٢٨- جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين .

- محمد بن محمد السبزواري .
تحقيق علاء آل جعفر .
ط ١ بيروت مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٩٩٣ .
- ٢٩- جامع السعادات .
محمد مهدي النراقي .
تصدى لنشره والتعليق عليه وتصحيحه السيد محمد كلانتر .
قدم له الشيخ محمد رضا المظفر .
ط ٣ النجف الأشرف - مطبعة النجف ١٩٦٣ .
- ٣٠- الجعفریات (الأشعثيات) .
أبو علي محمد بن محمد الأشعث الكوفي .
ط ١ حجرية- طهران مكتبة نينوى الحديثة .
- ٣١- الجواهر السننية في الأحاديث القدسية .
محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي .
ط ١ إيران نشر يس ١٩٨٢ .
- ٣٢- الحكم الزاهرة في النبي وعترته الطاهرة .
علي رضا الصابري اليزدي .
ط ١ قم - مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٥ .
- ٣٣- حلية الأبرار في فضائل محمد وآله الأطهار ٧ .
السيد هاشم البحراني .
ط ٢ بيروت - مؤسسة الأعلمي ١٩٩٢ .
- ٣٤- الخرائج والجرائح .

قطب الدين أبو الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي .
تحقيق مؤسسة الإمام المهدي .
ط ١ قم - نشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ١٤٠٩ هـ .
٣٥- الخصال .

الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق .
صححه وعق عليه علي أكبر الغفاري .
طهران - الناشر مكتبة الصدوق ١٣٨٩ هـ .

٣٦- دلائل الإمامة .

أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري .
ط ١ النجف - المطبعة الحيدرية ومكتبتها ١٩٦٣ .

٣٧- روضة الواعظين .

محمد بن القتال النيشابوري الشهيد .
تحقيق غلام محسن المجيدي ومجتبى الفرجي .
ط ١ قم - منشورات دليل ما ١٤٢٣ هـ .

٣٨- الصحيفة السجادية الكاملة .

يليه رسالة الحقوق وغيرها .
ط ١ بيروت - دار المرتضى ١٩٩٩ هـ .

٣٩- صفات الشيعة .

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق .
تحقيق محمود البدي .

- ط ١ قم - مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤٢١ .
- طبع بعد كتاب المواعظ وقبل كتاب فضائل الشيعة في مجلد واحد جميعها للصدوق .
- ٤٠ - صلاة الليل .
- صلاة الليل ثوابها ، أحكامها ، وكيفيتها .
- الشيخ الأوحى أحمد بن زين الدين الأحسائي (قدس سره) .
- إعداد وتقديم : الشيخ راضي ناصر السلطان .
- ٤١ - شرح نهج البلاغة .
- ابن أبي الحديد عبد الحميد المعتزلي المدائني .
- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ط ٢ القاهرة دار إحياء الكتب العربية (البابي الحلبي) ١٩٦٧ .
- ٤٢ - الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية .
- محمد بن عيسى الترمذي، بن سورة. تحقيق وتقديم فواز أحمد زمرلي.
- ط ١ بيروت دار الكتاب العربي ١٩٩٦ .
- ٤٣ - عدة الداعي ونجاح الساعي .
- أحمد بن فهد الحلبي، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية .
- ط ١ قم - مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤٢٠ .
- ٤٤ - علل الشرائع
- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق.
- صححه وقدم له وعلق عليه حسين الأعلمي .

ط ١ بيروت - مؤسسة الأعمى ١٩٨٨ .

- ٤٥ - عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية .
محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي ابن أبي جمهور .
تحقيق آقا مجتبی العراقي .
ط ١ قم - مطبعة سيد الشهداء ١٩٨٤ .
- ٤٦ - عيون أخبار الرضا عليه السلام .
أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق .
صححه وقدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي .
ط ١ بيروت - مؤسسة الأعلمي ١٩٨٤ .
- ٤٧ - فقه القرآن .
قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي .
تحقيق السيد أحمد الحسيني باهتمام السيد محمود المرعشي .
ط ١ قم - المطبعة العلمية ١٣٩٧ هـ .
- ٤٨ - قرب الإسناد .
أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري .
تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث .
ط ١ بيروت - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٩٩٣ .
- ٤٩ - قصص الأنبياء .
قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي .
تحقيق غلام رضا عرفانين اليزدي .
ط ١ مشهد - مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٩ .
- ٥٠ - قصص وخواطر .
من أخلاقيات علماء الدين .
عبدالعظيم المهدي البحراني .

٥١- الكافي .

- أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني .
صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري .
ط ٣ طهران - دار الكتب الإسلامية ١٣٨٨ هـ .
٥٢- كشف الريبة عن أحكام الغيبة .

- زين الدين الجبعي العاملي .
تحقيق السيد علي الخراساني الكاظمي .
ط ٢ بيروت - دار الأضواء ١٩٨٧ .

٥٣- المحاسن .

- أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي .
تحقيق مهدي الرجائي . ط ١ قم - الناشر التعاونية الثقافية
للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ١٤١٣ .

٥٤- المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء .

- محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني .
صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري .
ط ٢ بيروت - مؤسسة الأعلمي ١٩٨٣ .
٥٥- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل .

- ميرزا حسين النوري الطبرسي .
تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث .
ط ١ بيروت - الناشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٨٧

٥٦- معاني الأخبار .

- أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق .
صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري .
قم - مؤسسة النشر الإسلامي ١٣٧٩ هـ .

- ٥٧- معجم رجال الفكر والأدب في النجف .
 د. محمد هادي بن عبد الحسين الأميني .
 ط ٢ بيروت - دار الأضواء ، ١٩٩٢ .
- ٥٨- مصباح الشريعة .
 للإمام الصادق عليه السلام . ط ٢ بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٨٣ .
- ٥٩- مصباح المتهدد .
 أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي .
 صححه وأشرف على طباعته حسين الأعلمي .
 ط ١ بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٩٨ .
- ٦٠- مكارم الأخلاق .
 أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي . تحقيق علاء آل جعفر .
 ط ٢ قم مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٦ .
- ٦١- من لا يحضره الفقيه .
 أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق .
 صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري .
 ط ٢ قم - مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٤ .
- ٦٢- مناقب آل أبي طالب .
 أبو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني .
 تحقيق وفهرسة د. يوسف البقاعي .
 ط ١ قم - انتشارات ذوي القربى ١٤٢١ .
- ٦٣- منية المرید في آداب المفید والمستفید .
 زين الدين بن علي العاملي الشامي .
 ط ١ قم - مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٥ .

٦٤ - المؤمن

الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي .

تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام .

ط ١ قم - نشر مدرسة الإمام المهدي ١٤٠٤ هـ .

٦٥ - ميزان الحكمة .

محمد الري شهري .

ط ٤ طهران - مكتب الإعلام الإسلامي ١٣٧٢ هـ ش .

٦٦ - نهج البلاغة .

ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح .

ط ٣ القاهرة - بيروت دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني

. ١٩٩١ .

٦٧ - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين .

السيد نعمة الله الجزائري . ط ٨ بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٧٨ .

كتب للمؤلف

اخلاف الرواحانين

في تهذيب النفس والسلوك
الى الله

تأليف

الشيخ جواد الجاسقري الطاهري

(حفظه الله)

حوزة الإمام الرضا عليه السلام العلمية

الاستفتاءات الواحدة والواحدة

عرض الفتاوى الواردة لموقع
الشيخ الواحد

طبقاً لفتاوى
آية الله العظمى خادم الشريعة الغراء
المولى الميرزا عبد الرسول الحارثي لأحقيقي
(دام ظلّه الشريف)

الكتاب الأول
تأليف

الشيخ نجوى الجاسم الطاهري
(حفظه الله)

حوزة الإمام الرضا عليه السلام العلمية

الأسس الأصولية

في

أصول الفقهاء

تأليف

الشيخ جواد الجاسر الطاهري

(حفظه الله)

حوزة الإمام الرضا عليه السلام العلمية

الإمام الأئمة الأئمة الأئمة

في
أصول الفقهاء

تأليف

الشيخ أبو الحسن محمد بن أبي
(حفظه الله)

حوزة الإمام الرضا عليه السلام العلمية

الأفكار والأصول

في
أصول الفقهاء

تأليف

الشيخ أبو جعفر الجاسقري الطاهري
(حفظه الله)

حوزة الإمام الرضا عليه السلام العلمية

أَسْرَارُ الْمَلَائِكَةِ لِأَعْلَى
فِي أَدْبَارِ الْقُبُورِ

تَأَلَّفَ

الشيخ جواد الجاسقسي الطاهري
(حفظه الله)

حَفِظَهُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَلِيَّة

الأصطلاحات الأحكامية

عرض وبيان لأصطلاحات وآراء مئذنة
الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

« ١١٦٦ - ١٢٤١ هـ »

تأليف

الشيخ أبو الجاسم الطاهري
(حفظه الله)

حوزة الإمام الرضا عليه السلام العلمية

الجلال العجلي

والبراهين الفؤادية

في قصصنا نبينا لله البراهين

تأليف

الشيخ جواد الجاسر الطاهري

(حفظه الله)

حوزة الإمام الرضا عليه السلام العملية

حَقِيقَةُ الْحَجَابِ

وَالْمِرَّةُ الْمِثَالِيَّةُ

تَأَلَّفَ

الشيخ جواد الجاسقري الطاهري

(حفظه الله)

حَفِيزَةُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ الْعَلِيَّةِ

صِرَاحُ الْمُنِيرِ

بَيْنَ

وَيْحِ الْمُتَفَقِّهِ وَالنِّمَةِ الْمُخَلْفِ

تَأَلَّفَ

الشيخ جواد الجاسقراطي الطاهري

(حفظه الله)

حَفْزَةُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ الْعَلِيَّةِ

المَعْرِفَةُ النُّورَانِيَّةُ

فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ الْوَسْطَى

تَأَلَّفَ

لِلشَّيْخِ أَبُو الْجَاوَادِ سَمْرِطَاهَرِي

(حَفِظَهُ اللهُ)

حَفِظَهُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَمِيَّةُ

النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ

فِي نَبِيَّةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ص)
وَالهِ الطَّاهِرِينَ (ع)

تَأَلَّفَ

لِلشَّيْخِ جَوَادِ الْجَانِسِيِّ الطَّاهِرِيِّ

(حَفِظَهُ اللهُ)

حَفِظَهُ اللهُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَلِيَّةُ

الانْفَانُ فِي النَّعْلِيَّةِ

يَصْنَعُ

الْمَوْهَبَاتِ وَالْأَرْبَابِ

تَأَلَّفَ

لِلشَّيْخِ جَمَالِ الْجَامِعِ السُّلَيْمَانِيَّ

(حَفِظَهُ اللهُ)

حَفِظَهُ اللهُ الْإِمَامَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَمَلِيَّةَ

مِنْ بَابِ رُحْمَةِ الرَّحْمَةِ

فِي اثْبَاتِ

الشَّهَادَةِ الْمُقَدَّسَةِ

تَأَلَّفَ

الشيخ أبو الجاسم الطاهري

(حفظه الله)

حَوْزَةُ إِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ الْعِلْمِيَّةُ

أَجْوَالُ الْآخِرَةِ

بِ

صِفَتِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمَحْشَرِ

تَأليف

للشيخ جواد الجاسم الطاهري

(حفظه الله)

حَفَظَهُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَلِيَّة

أَفْوَاهُ الْمَشْرُوكَاتِ

فِي تَفْسِيرِ

سُورَةِ الصَّافَّاتِ

تَأَلَّفَ

لِلشَّيْخِ جَمَالِ الْجَامِئِ الطَّاهِرِيِّ

(حَفِظَهُ اللهُ)

حَفِزَةُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَلِيَّةِ

إِيمَانُ الْفِطْرَةِ
(بِئْتَى)

وَ

يَقِينُ لِبُرْهَانِنَا

تَأَلَّفَ

لِلشَّيْخِ جَمَالِ الْجَامِعِ الطَّاهِرِيِّ

(حَفِظَهُ اللهُ)

حَفِظَهُ اللهُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَلِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ

بِهِ

سَجَّادِ الشُّكْرِ

تَأَلَّفَ

الشيخ جواد الجاسم الطاهري

(حفظه الله)

حَفْزَةَ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ الْعَلِيَّةِ

مَعَارِضُنَا الطَّلَبِ الْإِسْرَافِيَّةِ

حَلَّ الْغَارِ شَاعِرِ الْمُهَاجِرِ

إِلَيْهِ أَلْمِضِيَّةِ

تَأَلِيفُ

لِلشَّيْخِ أَبُو الْجَوَادِ الْإِسْمَاعِيلِ الطَّاهِرِيِّ
(حَفِظَهُ اللهُ)

حَوْزَةُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ الْعِلْمِيَّةِ

زَهْرُ السَّادَةِ

فِي حَقِيقَتِهَا

الْجَهَانِيَّةِ

بَيْنَ الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ

تَأَلَّفَ

الْمُشَيِّخُ الْجَوَادُ الْجَانِسِيُّ الرَّطَّاهَرِيُّ

(حَفِظَهُ اللهُ)

حَفِظَتْهُ الْإِمَامَةُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَمَلِيَّةُ

فهرس

الصفحة	الموضوع
٢	هوية الكتاب
٥	الإهداء
٦	المقدمة
	الفصل الأول
٨	النهج الواضح والقوة التغييرية
١٠	صلاة الليل
١٦	النظام الروحاني
٢٠	ترويض النفس على حب الخير
٢٢	قضاء الليل مع الكتاب
٢٤	الشيخ الأوحى والتزامه بصلاة الليل
٢٥	رقيق القلب سريع العبرة
٢٧	الاقتصاد هدف روحاني في الحياة
٢٧	الأمل الزائف

الصفحة	الموضوع
٣٢	الاقتصاد
٣٧	الفروض المالية
٤٠	النهج الإلهي في الحياة
٤٠	النظام الشرعي
٤٢	معاني الزكاة
٤٩	زكاة الفطرة
٤٩	آداب دفع الزكاة وقت الأداء
٥٤	زكاة الجسد
٥٥	الروابط الإنسانية في العيد
٥٩	جمال الأعياد شورى المرجعيات
٦٢	كلمة الإخلاص وحقيقتها
٦٢	مراتب التوحيد
٦٦	علم اليقين
٦٦	عين اليقين
٦٦	حق اليقين

الصفحة	الموضوع
٧١	الحجب المعنوية
٧٢	أكل الربا
٧٢	شرب الخمر
٧٤	الظلم بأنواعه
٧٥	عدم دفع الخمس
٧٧	عدم الإيمان بالمعاد
٨٣	حقيقة الإنسان
٨٣	تخلق الإنسان
٨٥	كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه
٨٨	المجلس الأول
٨٩	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في خلق الإنسان
٩١	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في منفعة الأطفال في البكاء
٩٢	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في عملية الهضم وتكون الدم

الصفحة	الموضوع
٩٣	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في الصوت والكلام
٩٤	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في الدماغ وأغشيته
٩٥	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في أفعال الإنسان
٩٦	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في القوى الأربع
٩٨	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في اختلاف صور الناس
٩٩	ما قاله الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في أصحاب الطبائع ومناقشة أقوالهم
١٠١	شبهة فلسفية
١٠٣	حقيقة الأبوة
١٠٥	أشكال الأبوة
١٠٧	التربية السليمة و القوة التغيرية في الإنسان
١٠٨	النشأة الخاطئة
١١٤	تربية أهل البيت عليهم السلام
١١٥	أهمية الولد الصالح

الصفحة	الموضوع
١١٧	أولاً : الدعاء
١١٧	ثانياً : حب الأولاد
١٢٠	ثالثاً : المساواة في العطاء

الفصل الثاني

الصفات الطيبة في حياة الإنسان

١٢٦	العلم والتقوى
١٣١	من عرف الله خافه
١٣٥	أول الدين معرفته تعالى
١٣٥	الخوف يهدي
١٤٠	التوجه والإقبال
١٤٦	التوجه الحقيقي
١٤٨	بناء الكعبة
١٥٠	إعادة الحجر الأسود
١٥٥	التربية الصالحة
١٥٥	خطر اللهو

الصفحة	الموضوع
١٥٦	أسباب اللهو
١٦١	لقاء مع المكارم
١٦٤	من ثمار الإخلاص لله
١٦٦	أخلاق أصحاب أهل البيت عليهم السلام
١٦٨	الخضر وموسى
١٧٣	المعاني الحقيقية
١٧٤	التواضع بين الأستاذ والتلميذ
١٧٧	خضوع النفس
١٧٧	المحيط الخارجي وتأثيره على الإنسان
١٨٠	المعاصي وآثارها
١٨١	حكاية وعبرة
١٨٧	تحرير النفس
١٨٩	يا أيها النفس مطمئنة
١٩١	الاعتراف بالذنب
١٩٩	موجبات المغفرة

الصفحة	الموضوع
٢٠٤	قضاء الحاجات
٢٠٧	يعقوب والبلاء
٢٠٩	داود وملك الموت
٢١٦	الإنصاف
٢١٦	النظرة الظالمة في المجتمعات البشرية
٢١٩	رقة القلب
٢٢١	الشفاعة العامة
٢٢٧	أداء الأمانة
٢٢٧	ما معنى الأمانة
٢٢٩	الأمانة المعنوية
٢٣٠	الأمانة هي الولاية

الفصل الثالث

الصفات السيئة في سلوك الإنسان

٢٤٢	الشهوات الإنسانية
٢٤٨	السعادة في الدنيا

الصفحة	الموضوع
٢٥٢	الابتلاء
٢٥٣	القوة الغضبية
٢٥٧	المن والأذى والرياء
٢٦٠	ما هو المن ؟
٢٦٢	ما هو الأذى ؟
٢٦٣	ما هو الرياء ؟
٢٧٠	قول المعروف
٢٧٢	التكبر والفخر
٢٧٤	أقسام التكبر
٢٨٠	حدود الحرية وضرورة الأخلاق
٢٨٣	أسباب التكبر
٢٨٨	يعاقبهم بالعفو عنهم
٢٩١	إن كنت لا تعلم
٢٩٢	العلمية في كبح الهوى
٢٩٤	الغضب

الصفحة	الموضوع
٢٩٩	إبليس والعابد
٣٠٠	علاج الغضب
٣٠٣	العلاج العملي للغضب

الفصل الرابع

مصير الإنسان ومنازل الآخرة

٣٠٨	صفة الجنة
٣١١	لباس أهل الجنة
٣١٢	غرف الجنة
٣١٣	طعام أهل الجنة
٣٢٢	صفة أهل الجنة
٣٣٢	صفة أهل النار
٣٣٢	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٣٦	هؤلاء يدخلون النار
٣٤١	صفة النار وما فيها
٣٤٧	شجرة الزقوم

الصفحة	الموضوع
٣٥٤	الخاتمة
٣٥٦	المصادر
٣٦٩	كتب للمؤلف
٣٩١	الفهرس
٤٠١	إشراقات من المقدمة والخاتمة

